سِتُّ مَنظُومَاتٍ

فِي ٱلرَّدِّ عَلَى ٱلصُّوفِيِّ

يوسف النّبهاني

للعلماء والفضلاء الشيخ علي بن يوسف - الشيخ إبراهيم بن عيسى
الشيخ بن سحمان - الشيخ عبد العزيز السويح - الشيخ محمد بهجت البيطار
الشيخ محمد بن حسن المرزوقي
رحمهم الله جميعًا

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

الدار الأثرية


بسم الله الرحمن الرحيم

سِتُّ مَنظُومَاتٍ

في الرّدِّ عَلَى الصُّوفيِّ

يوسف النّبهاني

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



عمان - الأردن - تلفاكس : ٠٠٩٦٢ / ٦٥٦٥٨٠٤٥
خلوي : ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ / ٠٠٩٦٢ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠
الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـد:

فإن أعداء الدعوة السلفية، ودعاة السوء، كانوا ومازالوا يبذلون جهدهم في الصد عن سبيل الله تعالى، والدعوة إلى الباطل؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ولكل قومٍ وارث ـ كما قيل ـ، فمن هؤلاء الصادين عن توحيد رب العالمين؛ المدعو يوسف بن إسماعيل النبهاني، الصوفي الخرافي، صاحب الكتب التي يجيز فيها الاستغاثة بالأموات، والأشعار المشتملة على ألوانٍ من الغلو والإطراء المتجاوز لحدود الشرع الحنيف.

إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحكمته العظيمة يُقيم حُرَّاساً لشريعته في كل زمان ومكان، ينفون عنه زيغ الزائغين وتحريفهم، ويبينون للناس أحوالهم، وقد وفَّق الله ـ عز وجل ـ ثُلةً من العلماء والأخيار للتصدي لانحرافاته وخرافاته، فردوا عليه نثراً ونظماً، ومن تلك الردود: ست منظومات متتالية، أنشأها جماعة منهم في مقابل قصيدته الرائية، التي استطال فيها على عرض شيخ الإسلام، مجدد دعوة التوحيد، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ، وعلى من يسميهم «الوهابية»، مفترياً عليهم الأكاذيب المتنوعة، كعادة أسلافه من المناوئين ـ فقابلها أولئك العلماء بالإبطال والكشف.

وهذه المنظومات الست هي:

١- منظومة الشيخ علي اليوسف ـ رحمه الله ـ[١].

٢- منظومة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى ـ رحمه الله ـ[٢].

٣- منظومة الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ[٣].

٤- منظومة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح[٤].

٥- منظومة الشيخ بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ[٥].

٦- منظومة الشيخ محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ[٦].

وقد أحببت القيام ببعثها إلى عالم المطبوعات؛ مساهمة مني في نشر العلم النافع، خاصة وأن أهل الباطل لازالوا ـ إلى اليوم ـ يطبعون كتب الصوفي النبهاني، ويوصون بها[٧].

---

(١) حصلت على صورتها من الأخ عبدالله البسيمي ـ وفقه الله ـ وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٨٦٣).

(٢) حصلت على صورتها من الدكتور أحمد البسام ـ وفقه الله ـ، وقد نشر صورتها في كتابه: «قراءة في بعض المذكرت والرسائل الشخصية للشيخ ابن عيسى»، (ص١٠٥-١٠٩).

(٣) مطبوعة ضمن ديوانه. واعتمدت على الطبعة الأخيرة للديوان؛ بعناية الشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري ـ وفقه الله ـ.

(٤) صورتها من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض. وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٧٢١).

(٥) صورتها من مكتبة الشيخ محمد نصيف ـ رحمه الله ـ، صورها لي الأستاذ الكريم: خالد السريحي ـ وفقه الله ـ. وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٧٢١).

(٦) حصلت على صورتها من الأخ عبدالله البسيمي ـ وفقه الله ـ.

(٧) ومن آخر طبعات كتابه الشركي «شواهد الحق» طبعة دار الكتب العلمية المحققة(!) بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠٠٧م. ومثله في السوء: كتابه الآخر: «مفرّج الكروب ومفرّح القلوب» المطبوع عام =

بقي أن أشير إلى أنني لم أتمكن من الحصول على منظومتين أخريين في الرد على رائية النبهاني، هما:

١ - منظومة الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - المتوفى سنة ١٣٢٩هـ. بجزيرة زعاب بعُمان. ذكرها له صاحب «مشاهير علماء

=

١٤١٥هـ. انظر منه هذه الصفحات: (١٣ و١٦ و١٣٥).

ومما يأسف له المسلم أن يقوم بعض الفضلاء بالمساهمة في نشر كتبه، وكيل المديح له، دون تحذير من شطحاته ومؤلفاته الخرافية! كما فعل الأستاذ محمد خير يوسف - عفى الله عنه -، عندما أعاد طباعة كتاب النبهاني «أربعون حديثاً في الثناء على الله» عام ١٤٢٦هـ، قائلاً في ترجمته (ص٩) - والتعجب مني -: «أما المؤلف، فعَلَمٌ مشهور(!)، ومحدِّث لامع(!)، وقاضٍ كبير(!)، ومصنِّفٌ جليل(!)...» إلى آخر مديحه، دون إشارة إلى أفكاره الخرافية التي هي مدار كتبه ومؤلفاته. فلعل الأستاذ يستدرك هذا في الطبعة القادمة، ويحتسب الأجر في عدم غش أبناء الأمة بمثل هذا التلبيس. ومثل هذا: قول الأستاذ محمود الأرنؤوط - عفى الله عنه - في ترجمته: «ولا يُنكر فضله على العلم في بعض ما خلَّفه إلا خصومه، ومن سلك مسلكهم(!)، ولا ينتصر له إلا أحبابه، ومن سلك مسلكهم، وهذا حال الكبار من الناس في كل زمان ومكان(!!)». (أعلام التراث، ص٥١). ومثله - أيضاً -: قول الأستاذ يوسف المرعشلي - عفى الله عنه - في ترجمته: «وهو ممن خدم السنة النبوية، والسيرة المطهرة، وذلك بنشر الكتب العديدة، ومنها..» - ثم ذكر كتابه «شواهد الحق..» وقال عنه: «وهو من أمتع مؤلفاته وأنفسها»!! (نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر: ٢/١٦٧٨-١٦٨٠).

قلت: قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأي محادة لله أشد من تصنيف الكتب للدعوة إلى الشرك به - عز وجل -، والاستغاثة بغيره - سبحانه -؟! إلا أن يكون المرء ممن لم يتشرب قلبه عقيدة السلف الصالح، التي من لوازمها: الحب في الله، والبغض فيه. والله الهادي.

نجد»[١]، قال: «وكان ـ يرحمه الله ـ شاعراً طويل النَفَس في الشعر، له قصيدة تبلغ سبعين بيتاً رد بها على أمين بن حنش العراقي، وقصيدة رائية تبلغ مائتي بيت، رد بها على قصيدة يوسف النبهاني، أملى عليَّ أخوه العلامة عمر بن الشيخ حسن من حفظه قطعة منها، وهي هذه الأبيات:

لك الحمدُ حمداً لا أطيق له حَصْرا ... وأُتبع حمدَ الله مني له الشُكرا
وأسأله عوناً على كلِّ مبطلٍ ... ولاسيّما الأعمى الذي أيد الكفرا
وذلك شاميٌّ لنبهان ينتمي ... وما كان من أهل النباهة والذكرى
ولكنه قد كان وَسْنان تائهاً ... كما ألف المخذول من قبله الشعرا
وأبدى مقالاً كان أقوى دلالة ... على فسقه طوراً على كفره طورا
تخير حرف الراء عاجزاً وإنما ... يعدون حرف الراء يا ذا لهم عيرا
وليس بكفء للجواب وإنه ... لأدنى الورى طُراً وقد أشبه الفأرا
ولكنَّ خوفي من غبي يظننا ... تركناه عجزاً أو رضينا بما أجرى
أجبناه رداً كافياً في اختصاره ... ونرجو إله الحق يمنحنا الأجرا

إلى أن قال:

وقولك: وهابية ضل سعيهم ... فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا
كذبتَ لعمر الله ما ضل سعيُهم ... ولكنه سعيُ الذي خالف الأمرا
كمثلك مفتوناً يرى الشر ضدّه ... ويحسب فعلَ الخير من جهله شرا
ومن دان بالتوحيد عندك كافرٌ ... ومن دان بالكفران نال به الأجرا»

(١) ص(١٢٧). وله ترجمة ـ أيضاً ـ في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٢/ ٥٩)، و«روضة الناظرين» (١/ ٧٩). وانظر: «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٦/ ٢٢٠).

٢- منظومة الشيخ أحمد بن عيسى ـ رحمه الله ـ شارح نونية ابن القيم ـ رحمه الله ـ. قال الشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ في ترجمته[١]: معدداً آثاره: «نظمٌ مطوَّل ردَّ به على يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد انتهى منه في رابع عشر ذي الحجة ١٣٣٢هـ، ويقع في نحو مئتي بيت. ومطلع النظم:

لك الحمدُ يا من يعلم السرَّ والجهرا   لك الحمدُ في السراء مني وفي الضَّرا

ومنها في مدح علماء الدعوة:

هم الأنجم الزهر الذين بعلمهم   غدا ثغر هذا الدين بالبِشر مفترا

هم الأمة الناجون والفرقة التي   تمسَّك بالحق المبين على الضرا»

هذا، وقد قدمت قبل نشر المنظومات: ترجمة للنبهاني، وبياناً لحاله ومصنفاته، مع ذكر أقوال العلماء فيه، وما أثاره في رائيته من شبهات، مع الرد المختصر عليها، والإشارة إلى من توسع في الرد[٢].

أسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بهذه المنظومات، ويغفر لأصحابها، ويجمعنا بهم في جنات عدن، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

كتبه/ سليمان بن صالح الخراشي

Alkarashi١@hotmail.ocm

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٣٢٨-٣٢٩)

(٢) ونشرت في خاتمة الكتاب رسالة صغيرة نادرة للشيخ عبدالقادر السندي ـ رحمه الله ـ في الرد عليه. وهي لا تغني عن الردود المؤصلة في المسائل المثارة.

ترجمة الصوفي يوسف النبهاني وأقوال العلماء فيه[١]

قال الزركلي في الأعلام[٢]:

يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني: شاعر، أديب، من رجال القضاء. نسبته إلى «بني نبهان» من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية «إجْزِم» ـ بصيغة الأمر ـ التابعة لحيفا في شمالي فلسطين. وبها ولد ونشأ. وتعلم بالأزهر بمصر (سنة ١٢٨٣-١٢٨٩هـ)، وذهب إلى الآستانة فعمل في تحرير جريدة «الجوائب» وتصحيح ما يُطبع في مطبعتها. ورجع إلى بلاد الشام (١٢٩٦)، فتنقل في أعمال القضاء؛ إلى أن كان رئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت (١٣٠٥) وأقام زيادة على عشرين سنة. وسافر إلى «المدينة» مجاوراً، ونشبت الحرب العالمية (الأولى) فعاد إلى قريته وتوفي بها. له كتب كثيرة، قال صاحب «معجم الشيوخ»[٣]: «خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام، كابن تيمية وابن قيم الجوزية، حملات شعواء، وتناول بمثلها الإمام

---

(١) له ترجمة في «حلية البشر» (٣/ ١٦١٢)، و«فهرس الفهارس» (٢/ ٤٢٧)، و«معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٦)، و«الأعلام الشرقية» (٢/ ٦٠٠)، و«من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» ليعقوب العودات (٦١٧-٦٢٢)، و«أعلام الأدب والفن» للجندي (٢/ ٣٤٢)، و«علماؤنا في بيروت..» للداعوق (١/ ١٣٠-١٣١)، وفي مقدمة كتابه «علامات قيام الساعة» بقلم بسام الجابي (٥-١٧)، ومقدمة كتابه «شواهد الحق».

(٢) (٦/ ٢١٨).

(٣) (٢/ ١٦٤)، وسيأتي كلامه كاملاً ـ إن شاء الله ـ.

الآلوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني وآخرين». من كتبه: «جامع كرامات الأولياء ـ ط» مجلدان، و«رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة ـ ط»، و«المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ـ ط» أربعة أجزاء، و«وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ـ ط»، و«أفضل الصلوات على سيد السادات ـ ط»، و«تهذيب النفوس ـ ط» اختصره من رياض الصالحين للنووي، و«حجة الله على العالمين ـ ط» في المعجزات النبوية، و«الفتح الكبير ـ ط» ثلاثة مجلدات في الحديث، و«نجوم المهتدين ـ ط» في دلائل النبوة، و«السابقات الجياد في مدح سيد العباد ـ ط»، و«الشرف المؤبد لآل محمد ـ ط»، و«الأنوار المحمدية ـ ط» اختصر به المواهب اللدنيّة للقسطلاني، و«خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام ـ ط»، و«هادي المريد إلى طرق الأسانيد ـ ط» ثبته، و«الفضائل المحمدية ـ ط»، و«الأساليب البديعة في فضائل الصحابة وإقناع الشيعة ـ ط»، و«منتخب الصحيحين ـ ط» حديث، وفي خزانة الرباط الرقم ٣١٠٢ كتاني، إضبارة أوراق وكراريس، كلها بخط النبهاني، اختصر بها بعض الأربعينات في الحديث وغيرها، وخمس رسائل، (في المجموعة ١١٦٣ كتاني) من تأليف النبهاني عليها خطه، ولعل بعضها بخطه، كل رسالة منها تشتمل على ٤٠ حديثاً: الأولى في «فضل عثمان» والثانية في «فضل أبي بكر وعمر وغيرهما» والثالثة في «فضل أبي بكر» والرابعة في «فضائل عمر» والخامسة في «فضائل علي».

وله «الرائية الصغرى ـ ط» قصيدة طويلة فيها هجاء لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا. وله قصائد مدح

بها بعض الكبراء في صباه، واعتذر عنها بأن «الشعر صنعة لإظهار المهارة والحذق، لا للإخبار بالحق والصدق»، ولمحمود شكري الآلوسي كتابان في الرد عليه، أحدهما «غاية الأماني في الرد على النبهاني ـ ط» والثاني «الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى».

وقال الأستاذ عبدالحفيظ الفاسي ـ رحمه الله ـ بعد أن ترجم للنبهاني في «معجم شيوخه»[1] ـ متحدثاً عن مؤلفاته ـ: «وهي وإن كانت له فيها حسنات، فهي لا تقابل ما له فيها من السيئات؛ وذلك لما خلط بها من الخرافات، ونسبة المقامات العظيمة لمن لا قدم له فيها من الطغام، وادعاء الكرامات، حتى لمن عرفوا بعدم التمسك بالتقوى، ولا مستند له فيها إلا مجرد التقول والدعوى، أو نقل فلان عن فلان عن فلان، ولو كان هيان بن بيان، أو الاغترار بظواهر الأحوال وعدم البحث عن حقائق الرجال، وبعكس ذلك عمد إلى علماء الإسلام الذين خدموا السنة والدين خدمة لم يشاركهم فيها غيرهم في عصرهم، بشهادة الموافق والمخالف لهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فحمل عليهما حملة شعواء في كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»، كما حمل بعد ذلك في «رائيته الصغرى في ذم البدعة وأهلها ومدح السنة الغراء» على الإمام الألوسي المفسر الكبير وأبنائه الأعلام».

وقال عنها ـ أيضاً ـ: «قد ملأها النبهاني بتأييد البدع، ورصعها بخرافات وأوهام، دنس بها صحيفته ووجه الدين الإسلامي النقي

---

(١) كما سبق، وعنوانه: «رياض الجنة» (٢/ ١٦١-١٦٦).

الطاهر، وأبقاها حجة ووسيلة يتدرع ويحتج بها الطاعنون في الإسلام، والثالبون لتعاليمه الصحيحة الحقة، على أن الإمام المصلح الشهير السيد محمود شكري الألوسي البغدادي قد ألف كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، وكتابه «الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى»(١)، رادًّا في الأول ما جاء في كتابه «شواهد الحق» من الجهالات والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة، وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وأنصار السنة، ورادًّا في الثاني على ما في رائيته الصغرى، كما ألف غيره: «الداهية الكبرى على الرائية الصغرى»، وسيُنَاقش الحساب على كل ذلك يوم تُبلى السرائر».

قلتُ: أما كراماته التي يدعيها ـ كما قال الفاسي ـ وينسبها إلى من هم على مشربه في الخرافة؛ فإليك شيئاً منها؛ ليتبين لك نماذجُ من مضامين كتبه، ومدى التضليل الذي مارسه هو وأمثاله من الخرافيين على الأمة الإسلامية:

قال في كتابه «كرامات الأولياء» عن أحد أوليائه: «من كراماته أنه كان له اطلاع على أهل القبور، وما هم عليه من عذاب وسرور، وله في ذلك حكايات وخوارق عادات، منها أنه قيل له: إن بعضهم يقول في قبر الإمام أحمد بن عيسى أنه ليس بقبره حقيقة، فزاره في بعض زياراته وهو متوجه لبعض حاجاته، فحصل له عند القبر هيبة وذهول، ثم أفاق وهو يقول: اجتمعتُ بروحانية الإمام أحمد بن عيسى وسألته عن قبره هل هو هذا

(١) طُبع سنة ١٤٢٣هـ، بتحقيق الأخ الفاضل: عمر الأحمد.

حقيقة؟ فقال: نعم!

ومنها: أنه طلب من بعض العرب خشبة كبيرة ليجعلها أبواباً لداره، فقال له ذلك البعض: وأنا أريد منك حاجة: أريد أن أحفظ القرآن عن ظهر قلب، فقال الشيخ: افتح فمك، ففتحه، فتفل فيه ثلاث مرات، فحفظ القرآن في أسرع زمان»[١]!!

وقال عن آخر: «ومنها ما حكاه لي ولده سيدي أبوالحسن رضي الله عنه قال: كنت مع والدي ومعنا عمود رخام على جملين، فجئنا إلى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد، فساق الشيخ رضي الله عنه الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود!

ومنها: أنه أراد أن يعدي من ميت غمر إلى زفتا، فلم يجد المعدية؛ فركب على ظهر تمساح وعدى عليه»[٢]!!

وقال عن ثالث: «ومنها: أنه قبل موته بأيام كان يقول لزوجته: إذا أنا مت فلا تصيحوا ولا تنوحوا عليَّ، فإني متوجه من مكان إلى آخر، وهي تقول له ـ وكانت هي أيضاً من أولياء الله تعالى ـ: ما يمكن نخالف عادة أهل بلدنا، فإذا لم نفعل ذلك يعيبوننا ويقولون إنك عندنا ممتهن، فقال لها: إن كنتم تفعلون ذلك تفتشون عليَّ ما تجدوني، فلما مات ناحوا عليه وبكوا، فلما جهزوه وأتوا به إلى المسجد للصلاة عليه، فبينما هم ينتظرون إمام المسجد ليصلي عليه، جاء بعض الناس ومسه يتبرك ببدنه، فلما

---

(١) ص(٣٢٨).

(٢) ص(٣٢٤).

وضع يده على الساتر الذي يضعونه فوق التابوت على الميت لم يجده في التابوت، فأخبر الناس، فضجوا وتحيروا وصاروا يفتشون عليه، ويظنون أنه سقط، حتى جاء بعض أكابر السادة بني الزيلعي فأمرهم أن يقرؤوا سورة يس أربعين مرة، فلما أتموها وجدوه مكانه»[(١)]!!

وقال في ترجمة الزنديق الحلاج: «ومن كراماته أنه كان يُـخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه، ويمد يديه في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم، مكتوباً عليها: قل هو الله أحد، ويسميها دراهم القدرة»[(٢)].

قلتُ: هذه مجرد نماذج للخرافات التي يبثها النبهاني في كتبه؛ لِيُضلل بها المسلمين، ويصرفهم إلى عبادة وتعظيم العباد، بدلاً من توحيد العبادة لله ـ عز وجل ـ.

أقوال العلماء فيه وفي كتبه:

قال العلامة محمود شكري الألوسي: «النبهاني على ما حكى لي من رآه أنه كذاب، كثيراً ما يُـحدث بمنامات لا أصل لها، وفي الحقيقة إن غالب هؤلاء المبتدعة كذلك، وهم بيت الكذب، كما أنهم المنهمكون على الدنيا، وهذا من علائم دجاجلة العصر، قبحهم الله تعالى»[(٣)].

وقال عن توليه القضاء في المحاكم الشرعية: «ثم أين زهده وورعه وتقواه، وقد صرف عمره في الأحكام القانونية في المحاكم الجزائية والبداية والحكم بغير ما أنزل الله؟ أما يستحي من هذا حاله أن يُدخل

(١) ص(٣٣٣).

(٢) ص(٤٠٣).

(٣) «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، ص (١٦٦). وانظر: (٢/ ٤٣٩-٤٤١).

نفسه في عداد المسلمين، فضلاً عن عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين؟ وهو صفر اليدين من كل فضيلة، عارٍ عن أردية المناقب الجميلة»[١].

وقال ـ أيضاً ـ: «إن الرجل جاهل..، سقيم الفهم بأخبار العدول الثقات، ورواية الصادقين من الرواة»[٢].

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالة منه للشيخ محمد نصيف ـ رحمهما الله ـ: «وأما النبهاني فدعوه يمُت بغيظه، قاتله الله من رجلٍ خرافي، أضرَّ بتآليفه كثيراً من البسطاء، ولكن سوف يخزيه الله بنشر ذلك الكتاب. على أن مظهر هذا العصر هو نبذ أمثال تآليفه العارية من العلم والأدب، فلا تحرصوا إلا على محاربته بنشر آثار شيخ الإسلام وأمثالها، لا بالمقالات في الجرائد؛ فإن الجهاد معه هو في بث أثر السلف ومشربهم»[٣].

وسُئل الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ سؤالاً جاء فيه: «ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص١٠١) أحاديث استدل بها على وجود الأقطاب والأبدال والأنجاب والأوتاد والنقباء، ووجود الخضر عليه السلام.. ولم يذكر النبهاني سنداً، ولا من أي كتاب من كُتُب الحديث أخرجها، فأرجوكم أن تفيدوني: هل تصح هذه الأحاديث؟ وهل الخضر عليه السلام حي إلى هذا الزمان؟ وما قولكم فيمن يُكذِّب

---

(١) السابق (٢/ ٤٣٢).

(٢) السابق (١/ ٦٨).

(٣) «جمال الدين القاسمي»، لظافر القاسمي، ص(٥٩٠).

بوجود الخضر وغيره من الأقطاب؟ نرجوكم الجواب الكافي الشافي.

فأجاب الشيخ بقوله: نقول قبل كل شيء: إن الشيخ يوسف النبهاني لا يوثق بعلمه ولا بنقله، ولا ينبغي أن تحفلوا بكتبه، وقد سُئِلْنا غير مرة عن بعض الخرافات التي يبثها في كتبه الملفقة، فلم نجب السائلين بشيء؛ إذ كان يتوقف ذلك على مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها، وأي عاقل يسمح بإضاعة وقته في مراجعة تلك الكتب؟!

أما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ما سألتم عنه؛ فإليكم الجواب، والله الهادي إلى الصواب ـ ثم نقض الشيخ خرافات النبهاني ـ»[1].

وقال ـ أيضاً ـ الشيخ رشيد رضا: «تركنا عملنا ورحلنا إلى عاصمة دولتنا؛ لأجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا، وكنا ونحن مجدون في هذا السعي، نأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب، يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الإصلاح؛ كالنبهاني والشيخ أحمد جمال التونسي، وصاحب جريدة جديدة في سنغافورة، والشيخ محسن العاملي، ويرسلون إلينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئاً من وقتنا؛ لمطالعة ما يرسلونه إلينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين؛ لأن الوقت والمال قد صرفا إلى ضد سعيهم، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم، ونذكِّرهم بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ولكنني

---

(١) «مجلة المنار» (محرم ١٣٢٦هـ).

رأيت بعض إخواننا مغرورين بالنبهاني؛ لما كتبه من الأوراد والصلوات ونحوها، فأقول لهؤلاء المغرورين: إن هذه الكتب كمسجد الضِّرار؛ صورتها خدمة للدين، وهي في معناها مفسدة ضارة.

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الأولى؛ وهي بشهادة النبي ﷺ خير القرون؛ أيام كان الإسلام في كماله الديني، وإنما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية، وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم؛ إذ صرفتهم عما أتاهم الله من المواهب والقوى التي فاز بها سلفهم، وعلقت آمالهم بالأموات، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به، وبما ورد في السُّنَّة من الأدعية والأذكار إلى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع، فيضعوا للناس عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، وإن خلطوها بشيء من المأثور ترويجاً لها، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة، والمنكرة، والضعيفة الشديدة الضعف؛ ولذلك قلنا من قبل: إنه لا يوثق بعلمه ولا بنقله.

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية[1]؛ بتملقه لأعوان عبدالحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة، وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم، على غش الأمة به من طريق الدين، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين، وتأثيرها الذي

---

(١) ينظر لمعرفة موقف الشيخ رشيد من الدولة العثمانية: «رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور محمد السلمان، ص(٤٨٨ وما بعدها).

يستتبعون به الغاوين، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤٤-٢٤٦]، كان النبهاني يمدح أبا الهدى[١] لمَّا كانت كلمته عند عبدالحميد هي الكلمة العليا، فكان يرفعه إلى الدرجات العلى، ويجعله من أئمة الدين وأقطاب الأولياء العارفين، فلما غلبه وبزَّه عزت العابد[٢] في الزلفى؛ قلب له النبهاني ظهر المجن، وصار يتقرب إلى عزت العابد بذمه، ويدعي أن عزت هو ركن الدولة والإسلام بعد عبدالحميد، الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو.

في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين والعثمانيين، كان يُرَوج النبهاني كتبه الملقة، وناهيك بنفوذه في المحكمة النظامية ببيروت، وكان يمهد بذلك السبيل لادعاء المهدية لنفسه، كما نقل إلينا بعض المطلعين على مخبآته، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك: ما كان يدعيه من الرؤى والمنامات.

أين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات، وقاموا بما ورد

---

(١) أبوالهدى الصيادي، الصوفي الرفاعي الشهير، ارتقى من درويش يرتزق بضرب الدف إلى أن أصبحت له حظوة كبيرة عند السلطان عبدالحميد. توفي عام ١٣٢٨هـ ـ ١٩٠٩م. له ترجمة في «الأعلام» (٦/ ٩٤). وقد جمع الأستاذ حسن سويدان ما قيل فيه من معاصريه في كتاب سماه: «أبوالهدى الصيادي في آثار معاصريه». ويُنظر لبيان حاله: كتاب «جناية أبي الهدى الصيادي» للأستاذ عبدالرحمن الشايع.

(٢) من مشهوري الساسة في عهد انهيار السلطنة العثمانية، كان سكرتيراً عند السلطان عبدالحميد، اتصل به بواسطة أبي الهدى الصيادي، ثم وقع التنافس بينهما. توفي عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م. «الأعلام» (١/ ١٦٩-١٧٠).

في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات، والأدعية والذكر والفكر، وسائر أعمال البر، ثم وجدوا فراغاً لقراءة أوراد النبهاني وصلواته؟!

وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغاً لقراءة ما لَفَّقه من الكتب، وخلط فيه بين الحق والباطل؟! ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين، حتى غفلوا عن أنفسهم، فملكت الأجانب عليهم أمرهم، فليتهم كانوا كذلك الأعرابي الذي حلف أنه لا يزيد على ما فرض عليه ولا ينقص منه، فقال النبي ﷺ: «**أفلح الأعرابي إن صدق**» رواه الشيخان. وفي رواية: «**دخل الجنة إن صدق**»، فإن الإسلام ما جاء لجعل أتباعه كعباد بني إسرائيل في الصوامع، ولا كرهبان النصارى في الأديار، بل جاء ليجعلهم سادة الأرض ووارثيها؛ لتكون لهم مزرعة للآخرة.

يا حسرةً على المسلمين، كيف سُلِبُوا استقلال عقولهم وبعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم، وساروا وراء الدجالين الذين استهووهم، وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم، ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم، وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم، فأضاعوا دينهم ودنياهم، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

كان النبهاني يُشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الأخطار المحيطة بهم من كل جانب، وعن كل ما يجب عليهم؛ للدفاع عن دينهم وأنفسهم؛ بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبدالحميد ورجاله، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله، وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلاً واستشفاعاً إلا تمهيداً

لأنفسهم، وقد فضح الزمان كيدهم الأول، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] والعاقبة للمتقين.

ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخلطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الأماني في الرد على النبهاني)؛ وهو مجلدان لأحد العلماء المحققين، وقد طبع في مصر»[١].

وقال الشيخ رشيد رضا في موضع آخر من مجلة «المنار»:

«جناية حديثية وخيانة دينية للشيخ يوسف النبهاني:

بهذه المناسبة أنبه قراء المنار لاتقاء الاعتماد على أحاديث كتاب (الفتح الكبير، في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير)، المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠هـ؛ فإن الشيخ يوسف النبهاني الدجال المشهور جمع أحاديث الجامع الصغير والزيادات عليه وحذف منه رموز المؤلف للأحاديث الصحاح والحسان والضعاف؛ ليتوهم المطلع عليه أن كل ما فيه صحيح أو مقبول يُحتج به، على أن تلك الرموز لم تكن كافية للتمييز بينها»[٢].

وقال ـ أيضاً ـ:

«طُبع الجامع الصغير ممزوجاً بذيله هذا عن نسخة تولى مزجها الشيخ يوسف النبهاني المشهور بنشر الخرافات والمنكرات

---

(١) «مجلة المنار» (شوال ١٣٢٨هـ).

(٢) «مجلة المنار» (جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ). ويُنظر مقدمة العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ لـ«صحيح الجامع»؛ حيث ذكر سبباً آخر لصنيع النبهاني، (١/ ٢٩).

والموضوعات، فخان الله ورسوله ومؤلف الجامع؛ بحذفه منها علامات الصحة والحسن والضعف؛ ليعتقد قراؤها الذين يقل أن يوجد فيهم محدث بأن كل أحاديثها معتمدة، يجب على المسلم اعتقاد ما فيها، والاعتماد عليها في العمل على عللها ومنكراتها، فليحذر هذا من اطلع عليها»(١).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ في رده على أحمد باشا العظمي: «وأما قوله: وللشيخ يوسف النبهاني ـ حفظه الله ـ فمن شاء فليرجع إليها فيستضيء من أنوارها ويرتوي من رحيقها.

فالجواب: أن يقال: مَن يوسف النبهاني وما يوسف؟ لا أكثر الله في الناس أمثاله، وقطع دابره وشتت أوصاله، ومن كان على طريقته ونحلته، من أحزابه وإخوانه وأهل ملته، لأنهم من الغواة الصعافقة المتمعلمين، ومن أهل الجهالة المتمردين الغالين(٢)، المتبعين غير سبيل المؤمنين، والسالكين على طريق الغلاة من المشركين ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، وكان هذا الرجل المسمى بيوسف النبهاني من أهل فلسطين، من أنباط قرية إجزم من أهل حيفا ثم سكن في بيروت، وكان قاضياً فيها يحكم

---

(١) السابق.

(٢) قلت: قد اعترف النبهاني بجهله، في كتابه «أسباب التأليف»، ص(٣٣٢)، بقوله: «وأكرر القَسَم بالله العظيم، أني أعلم نفسي علماً صحيحاً يقيناً، لا أشك فيه، بلا تواضع مني، ولا إظهار خلاف ما هو الواقع، الذي أتيقنه من نفسي؛ أني غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية والعقلية.. اللهم إلا أن تكون مهارتي في جودة الشعر»!

بالقانون، ويدع الحكم بكتاب الله وسنة رسوله؛ ومن العجب العجاب أن هذا الرجل يدعي محبة النبي ﷺ، ووضع فيه مدائح تجاوز فيها الحد وأفرط فيها، ومع ذلك يحكم بالقانون المخالف لشريعة الرسول، المأخوذ عن حكم الإفرنج من النصارى، ويدع حكم الله ورسوله!! وهذا من أشنع التناقض وأبشعه، وصنَّف كتاباً في الاستغاثة بالنبي ﷺ، ورد عليه أئمة أهل الإسلام وبيَّنوا ما في كتابه من الأغلاط والأوهام والغلو المفرط الذي خرج به من دين المسلمين، إلى دين عباد القبور من المشركين، وكان في عقيدته على طريقة أهل الاتحاد كابن عربي وأمثاله من أهل الكفار والعناد ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢١]، وهم من أكفر خلق الله على الإطلاق، ومن أهل الزندقة والنفاق، وكان يجحد علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، وأنه ليس فوق السماء إله يُعبد، ولا يُصلى له ويُسجد، بل ليس فوقه عندهم إلا العدم المحض، وبيان ذلك بقوله في رائيته الصغرى:

وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهم	على جهة للعلو خالقنا قصرا
هو الله رب الكل جل جلاله	فما جهة بالله من جهة أحرى
تأمل تجد هذي العوالم كلها	بنسبة وسع لله كالذرة الصغرى
فحينئذٍ أين الجهات التي بها	على الله من حُمق بهم حكّموا الفكرا
وإن اختلافاً للجهات محقق	فكم ذا من الأقطار قطرٌ علا قطرا
وكل علو فهو سُفل، وعكسه	وقل نحو هذا في اليمين وفي اليسرى
فمن قال علو كلها فهو صادق	وذلك قد يقضي بآلهة أخرى
فمن يا ترى بالشرك أولى اعتقادهم	أولئك أم أصحاب سنته الغراء

وقد أجبته على رائيته بنحو من أربع مائة بيت ونيفاً؛ فأدحضت حجته وبيَّنت ضلالته، ولله الحمد والمنة، فهل يسوغ لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن ينقل عمن هذه حاله، وهذا دينه وطريقته ونحلته، أو يُحرض على النظر في كتبه المشتملة على الكفر بالله والشرك به؟ ولكن هذا الرجل الذي ألَّف هذه الرسالة إن لم يكن أسوأ حالاً منه فليس دونه»[1].

وقال الشيخ محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ معلقاً على قول النبهاني:

فيــاربِّ زدني منــه حبــاً وزده بي وفي طيبة اختم لي على دينه العُمرا

«**أقول**: ختم القسم الخامس من قصيدته بهذا الدعاء؛ ليظهر للناس أنه من عباد الله الصلحاء، مع أن كلامه يدل دلالة صريحة أنه من المارقين؛ لما فيه من الكذب والزور والإفك، والحط على العلماء العاملين، والأئمة المتقين، هذا مع ما كان منه من الغي والضلالات، والزيغ والجهالات، فكيف يُختم له بالإيمان، أو يستجيب الله له دعائه؟ وما دعاؤه إلا في ضلال وخسران! ولابد من ذكر نبذة من أحواله على سبيل الإجمال، ليقف الناظر على ما هو عليه من الضلال، وقد أخبر بذلك بعض الرجال المجاورين له، وهذا بعض ما فصَّله فقال: «وصل إليَّ كتاب «غاية الأماني» والصارم الهندواني، المبيد أهل الإفك المتخذين دينهم لهواً ولعباً، وتكسباً عليه وتكذيباً، المشوّهين وجه الملة

(١) «كشف غياهب الظلام»، ص(٢٩٧-٢٩٩).

والدين، ولم يعبدوا مولاهم مخلصين، حيث جبلت طباعهم على النفاق، وتعظيم المارقين الفساق، وتلونوا تلون الحرباء، بما طبعوا عليه من الكذب والرياء، فنحمد الله الذي عافانا وإياكم من أحوالهم، وحماكم بفضله عن مقاصدهم وآمالهم، ونزهكم عن أعمالهم وأفعالهم، وقد طالعنا أول الكتاب فرأيناه لطيف المباني جليل المعاني، وقد يحسد على تكرر اسمه فيه البغيُّ النبهاني! لأنه أقل من ذلك، وإن موَّه على الأغبياء بما موَّه ما هو عليه من المناهج والمسالك». وقد أخبرنا عن بعض ترجمته رجل آخر من سكنة بلدته فقال: «إنه من قرية (إجزم) من قضاء حيفا بفلسطين، ومن أبناء بعض الفلاحين الخاملين، ممن ليس له نصيب من الأطيان، ولا حظ في عقار ولا بستان، فذهب إلى الأزهر، وقرأ القرآن ومن المتون ما تيسر، واشتغل بنظم الشعر والقريض، ومعرفة الكناية والتعريض، ولم يحصِّل سوى هذرٍ من الكلام، ووساوسَ وأوهام، وكان يسمع أن الأولياء من الأموات والأحياء هم المتصرفون في الأرض والسماء، فاتخذ هذا الاعتقاد الباطل وسيلة لنيل آماله عند بعض المقربين، لاسيما وهو من المداهنين الذين يرقعون الدنيا بالدين، فظن أنه فاز بالوجاهة، والعلم الأتم، فأسرج في طلب الدنيا وألجم.

إني أريـــدك للـــدنيا وزينتهـــا ... ولا أريدك يوم الـدين للـدين[1]

فهام في وادي الخرافات، وتقوَّل على الأحياء والأموات، ولفَّق ما

(١) البيت لبشار بن برد في قصيدة مطلعها:

حتى متى ليت شعري يابن يقطينا ... أثني عليك بما لا منك تولينا

لفَّق من المنامات، وخدم شيخ السجادة، وأوهم أن حبه وولاءه من العبادة، فتوصل بذلك إلى نيل نيابة القضاء، ثم ترقَّى لرئاسة محكمة الجزاء، ثم نقل لرئاسة الحقوق، فكان منه ما كان من الجور والعقوق؛ فتحمل ما تحمل من الآثام، بظلمه الأرامل والأيتام، هذا ما عدا ما هو عليه من فساد العقيدة، وعدم اتصافه بالخصال الحميدة، وهو أقل من أن يؤلَّف في ذمِّه كتاب، أو يُحسب له حساب». انتهى المقصود من نقله، وقد ذكر غير ذلك مما لا يستبعد من مثله.

وكتب آخر فقال: «هو حديث النعمة، خبيث الطعمة، ليس له أصل نابت، ولا فرع ثابت، يكاد من لؤمه يعدي من تسمّى باسمه، أو يجلس إلى جنبه، قد أرضع بلبان اللؤم، ورُبي في حجر الشر، وفُطم عن ثدي الخير، ونشأ في عرصة الخبث، لا أمس ليومه، ولا شرف لقومه، يمشي إلى حتفه بأخمصيه، ويبحث عن مديته بيديه، ويطير بجناحه إلى موضع اجتياحه، تتحفَّزه إلى مصرعه الأضاليل، وتُعجله إلى مهلكه الأباطيل، ليس عنده حياء، ولا مراعاة حقوق وإخاء، وله عُجْبُ طاووس، وجثة جاموس، ولحية طويلة، وروح ثقيلة، يقول من نظر إليه: ألا لعنة الله عليه». **وقال آخر ـ وهو من الأعلام الأفاضل المجاورين لبلد النبهاني ـ:** «قد زارني في هذا العيد أحد الأصدقاء، وجر الحديث إلى ما ألَّفه النبهاني في هذه الأيام من كتابه المسمّى بـ(جواهر البحار في فضل المختار)، وذكر منامات ابنته عائشة له، وتسميته إياها بالمبشّرات! فقال لي: لو أنَّا نرد عليه بمثل ما يستدل؛ لذكرنا مناماً لأحد صالحي بيروت، بل من لا يختلف أحد منهم في صلاحه، وهو أنه رأى النبي ﷺ، وقال له:

إني لست براضٍ عن النبهاني ـ أو ما بما معناه ـ ثم زارني أحد الكاملين، وكان سبق له وظيفة في (بيروت) فسمّى لي الرجل، وقد وعدني هذا الكامل بأن يذكر لي ترجمة حال النبهاني الصحيحة، التي يعملها، وأنه سيقدمها لنا، ونقدمها للسيادة». انتهى.

وذكر لي آخر ما ذكر من أحواله مما لا يسوغ لي ذكره في هذا المقام، ونعوذ بالله تعالى من المقت والخذلان، والحاصل أنه رجل سوء بذيء اللسان، كذاب دجال! ونسكت عن أشياء أُخر، فما كل معلوم يقال.

هذا ونسأل الله العظيم أن يبصره من ضلالته، ويوقظه من غفلته وجهالته، ويُعرفه بنفسه قبل خروج نَفَسه، حتى لا يستحقر أبناء جنسه، وأن يوفقه للعود إلى دينه، ويهيئ له من ينقذه من نيران جحيمه، وإلا فلا يفيده الحب الكاذب، والانتساب إلى أي مذهب كان من المذاهب، إنما النجاة في الموت على الإيمان، في أيّ مكان كان»[1].

وقال الشيخ إسماعيل بن عتيق: «يوسف بن إسماعيل النبهاني القاضي الشرعي في بيروت، له شطحات لا تُغتفر؛ فمن كتبه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وكتاب: الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية»[2].

وقال الشيخ مشهور حسن سلمان: «كتب يوسف النبهاني فيها كثير من الطامات، وهو من أوائل من رفع راية العداء للدعوة السلفية،

---

(١) «الآية الكبرى»، ص(١٢٧-١٣١)، بتحقيق الأخ الكريم عمر الأحمد.

(٢) مقدمة كتاب «القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس» للشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمهما الله ـ.

وأعلامها الأجلاء، وعلى رأسهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتبه طافحة في الطعن على الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، وقد حذر من كتبه غير واحد من الأعلام»[1].

كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»!

أما كتابه: «شواهد الحق» فهو ـ كما سبق ـ قد شيَّد به أركان الشرك، وأصَّل لصرف العبادة لغير الله ـ عز وجل ـ، فكان من حقه أن يسمى كما قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ: «هذا كتاب شواهد الكفر والضلال والبدع والانحلال، كل ما ذكر فيه من الأدلة من الكتاب والسنة لا تدل إلا على توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والاستغاثة بغير الله شرك دل الكتاب العزيز، والسنة النبوية على ذلك، فالنبهاني دجال، ضال، ملبِّس، داعٍ إلى الشرك والضلال، فقبحه الله، وقبَّح مَن قال بقوله الفاسد الذي ألّف كتابه لأجله»[2].

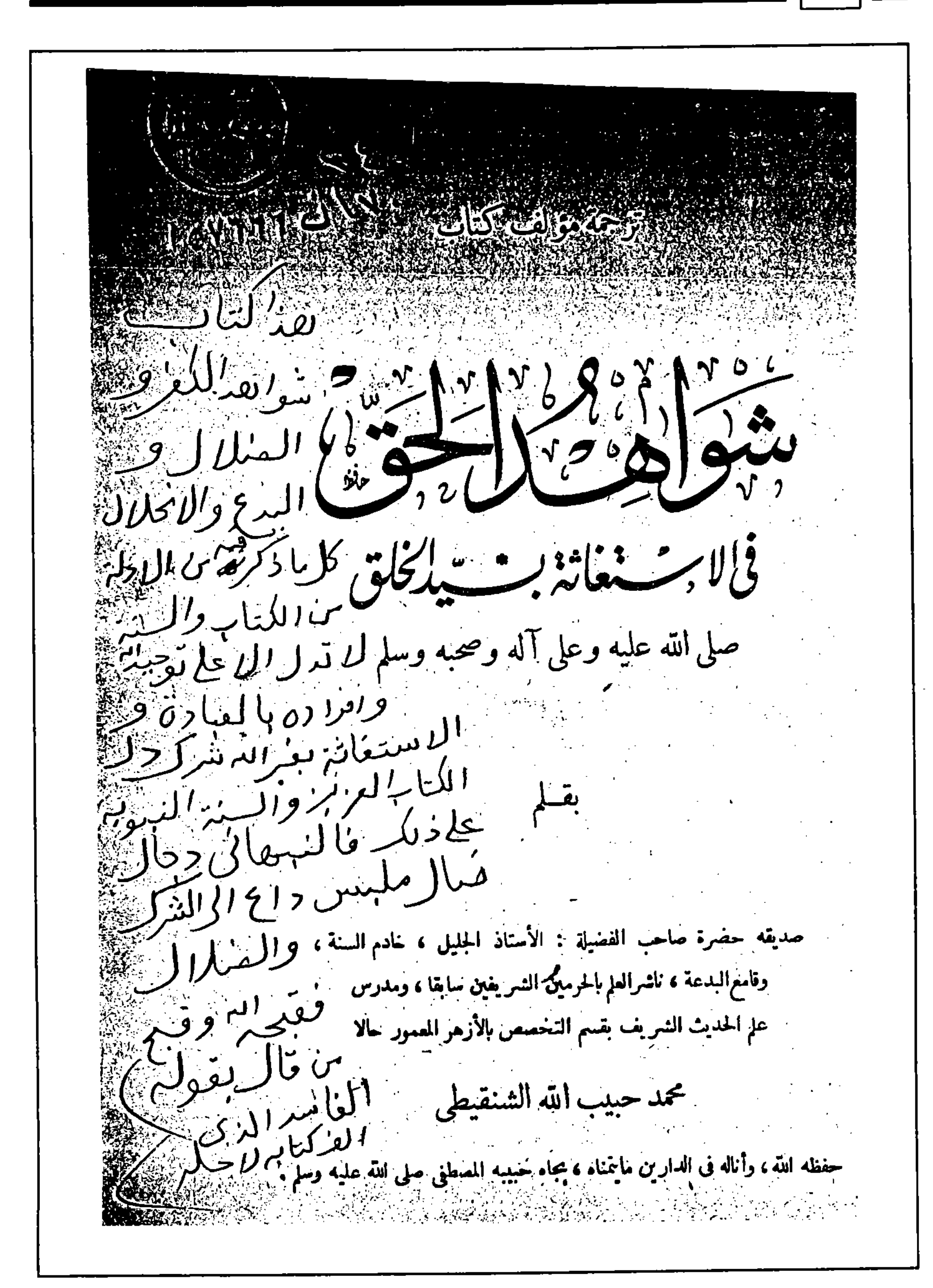
سبب المنظومات:

قال الشيخ محمد بن سبيّل في تقديمه لكتاب الألوسي «غاية الأماني في الرد على النبهاني»: «عندما عزمتُ على كتابة هذه الترجمة ـ أي ترجمة الألوسي ـ اتصلت بالعالم السلفي، الشيخ محمد نصيف بجدة، والذي كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب وطبعته الأولى،

---

(١) «كتب حذر منها العلماء» (١/ ٢٦٩).

(٢) هذا ما كتبه الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ بخطه على غلاف نسخته من «شواهد الحق»، كما في الصورة المرفقة. ومثله في الشناعة: كتاب المبتدع حسن السقاف «الإغاثة بأدلة الاستغاثة»! ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾.


ترجمة مؤلف كتاب

شواهد الحق

في الاستغاثة بسيد الخلق

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

بقلم

صديقه حضرة صاحب الفضيلة : الأستاذ الجليل ، خادم السنة ، وقامع البدعة ، ناشر العلم بالحرمين الشريفين سابقا ، ومدرس علم الحديث الشريف بقسم التخصص بالأزهر المعمور حالا

محمد حبيب الله الشنقيطي

حفظه الله ، وأناله في الدارين ما يتمناه ، بجاه حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم

صورة نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من كتاب «شواهد الحق» للنبهاني، وعليها تعليقه.

فأفاد بما ملخصه: أنه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى «شواهد الحق» وقرأه الشيخ محمد نصيف، ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف، والاستدلال السخيف، وذكر الأحاديث الباطلة الموضوعة، والضعيفة الواهية، وتهجمه على المحققين من علماء السلف، وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وغير ذلك مما يُخالف صريح الكتاب وصحيح السنة، عندما قرأه كتبَ للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي، يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني، ويدحض أباطيله، وينتصر للحق وأهله، فلم يمض سنة إلا وقد جاء الرد المسمى «غاية الأماني في الرد على النبهاني» للشيخ محمود الألوسي، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبدالقادر التلمساني ـ من تجار جدة المحسنين، والعلماء السلفيين ـ على أن يقوما بطبعه، وتكاليف الطبع بينهما نصفين. وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي بمطبعته في مصر، فقام بطبعته الأولى، وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب: تأليف: أبي المعالي الحسيني، إشارة إلى كنيته ونسبه الحسيني، وزاد عليها السلامي الشافعي؛ لئلا يتضح اسمه خوفاً؛ على نفسه، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم في معارضة أهل البدع والخرافيين ـ كالنبهاني وغيره ـ، والسبب في ذلك أن السلطان عبدالحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشايخ من أهل الطرق، من الصوفية أنصار البدع، فلذلك خاف السيد محمود شكري الألوسي من إظهار اسمه على طرة الكتاب، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه، ولم يذكر اسمه إلا رمزاً (ف، ج، ز)، ولا اسم

مطبعته، ولا البلد التي فيها المطبعة، وكذلك الشيخ عبدالقادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة؛ لأن السلطان عبدالحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز، وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة»(١).

وقال الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ:

««غاية الأماني في الرد على النبهاني» كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكني بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي.

رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات، والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وأنصار السنة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية.

بيَّن المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها، وأطال فيما لابد من الإطالة فيه؛ من تكذيب ما عزى إلى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الأقوال الباطلة، وما عزى إليه مما ظن الناقلون لجهلهم أنه انفرد به، وهو لم ينفرد به، وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء، التي تفند أقوال المعترضين الكاذبين والجاهلين تفنيداً، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً.

---

(١) ص(٨-٩)، (الطبعة الثانية).

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في: التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف، وما انفرد به بعض المشاهير، فأنكره العلماء عليه، كالإنكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما.

فعلى هذا الكتاب نُحيل الذين يكتبون إلينا من الشرق والغرب، يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها، أنه لا يوثق بعلمه ولا بنقله، هو من قبيل السب.

وحاشا لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه، بعد النظر في بعضها ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة، ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً، وهو ينكر الاجتهاد، ويعترف بأنه ليس أهلاً له.

وقد قرظ هذا الكتاب طائفةٌ من العلماء تقاريظَ حسنة، فكأنهم كلهم ردوا على النبهاني ما جمعه كحاطب ليل»[1].

قلت: ولما اطلع النبهاني على كتاب الألوسي السابق «غاية الأماني» سُقط في يده، وعجز عن نقضه بالبرهان والدليل، ففزع إلى النظم يُفرغ فيه غيظه، ونظم قصيدة رائية ركيكة، ذات خمسة فصول، هجا بها جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والألوسي، ثم أتبعهم

(١) «مجلة المنار»، شوال ١٣٢٧هـ.

ـ خامساً ـ بهجاء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ[(١)]، بسبب أن الجميع ـ رغم تباين مشاربهم ـ يخالفون بدعه الشركية القبورية.

فالأفغاني ومحمد عبده من رؤوس المدرسة العصرانية المتعقلنة المنحرفة، وقد بيّن العلماء والكُتَّاب حقيقة دعوتهما[(٢)].

نستفيد من رده على أصحاب المدرسة العقلية:

ومن المعلوم أن أهل السنة يدورون مع الحق، ويأخذونه من الموافق والمخالف، ومنهجهم من المذاهب والأعيان: رد باطلهم، والاستفادة من صوابهم، وهذا ـ كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ[(٣)]: «بيِّنٌ بحمد الله عند أهل العلم والإيمان، مستقر في فِطَرهم، ثابتٌ في قلوبهم، يشهدون انحراف المنحرفين في الطرفين، وهم لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، بل هم إلى الله ورسوله متحيزون، وإلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنى توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزهم بداوات[(٤)] آراء المختلفين، ولا تزلزلهم شبهات المبطلين، فهم الحكام على أرباب المقالات، والمميزون لما فيها من الحق والشبهات،

(١) محمود شكري الألوسي، سيرته ودراساته اللغوية، للشيخ محمد بهجة الأثري، ص(١١٢) بتصرف يسير. وانظر أيضاً: «أعلام العراق» له، ص(١٤١).

(٢) كما تجده في رسالة: «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام» للأستاذ مصطفى غزال، ورسالة: «المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» للدكتور فهد الرومي، ورسالتي: «العصرانية قنطرة العلمانية» (مطبوعة ضمن كتاب: نظرات شرعية في فكر منحرف).

(٣) في «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٥).

(٤) بداوات: جمع بداوة، وبداوة الشيء أول ما يبدو منه.

يردون على كلٍ باطلَه، ويوافقونه فيما معه من الحق، فهم في الحق سِلْمُه، وفي الباطل حَرْبُه، لا يميلون مع طائفة على طائفة، ولا يجحدون حقها لما قالته من باطل سواه، بل هم ممتثلون قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ولهذا: فلا مانع أن نستفيد مما عند مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العقلية من ردود على خرافات أهل التصوف؛ كالنبهاني وغيره. وفي المقابل نستفيد مما عند المتصوفة[١] أو غيرهم من الرد على تجاوزات أصحاب المدرسة العقلية؛ سواء في إنكارهم للمعجزات، أو تأويلهم لما يظنونه معارضاً للعقل، أو تساهلاتهم السلوكية.

فيحسن هنا نقل جزءٍ مما ذكره النبهاني في رائيته، وكتابه «العقود اللؤلؤية» ـ مع هوامشه ـ لأهميته في كشف رأسَيْ المدرسة العصرانية العقلية: الأفغاني ومحمد عبده[٢].

---

(١) كالشيخ الصوفي محمد الجنبيهي، الذي ألف كتاباً سماه «بلايا بوزا» في الرد على محمد عبده ومدرسته، وقد كان معاصراً له، وأظنه أول من نبه كتابيًّا إلى خطورة هذه المدرسة العقلية. وقد نقل عن كتابه: الدكتور محمد محمد حسين في «الإسلام والحضارة الغربية».
وكالصوفي يوسف الدِجوي ـ أحد علماء الأزهر ـ الذي رد على تأويلات محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بكتاب سماه «صواعق من نار على صاحب المنار».

(٢) وقد نقل كثيراً منه: الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإسلام والحضارة الغربية» ص(١٠٠-١١٢). والأستاذ عيسى محمد ماضي في رسالته «يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد!»، رسالة دكتوراة بالأزهر، (لم تطبع بعد)، وبعض الهوامش منه.

قال النبهاني في مقدمة رائيته: «التنبيه الثاني: أن هؤلاء المفتونين الضالين المضلين قد مشوا ببدعتهم على أثر البروتستانت[١] من النصارى الذين يدَّعون إصلاح دين النصرانية بتركهم العمل بأقوال أئمتهم السابقين، والاقتصار على ما في التوراة والإنجيل من أحكام الدين، وقد أخطأ هؤلاء الطغام بتقليدهم أولئك الأقوام؛ لأن ما زاده أئمتهم على التوراة والإنجيل ليس له أصل فيهما، وإنما هو من ترتيب مجامعهم، أما أئمة الإسلام فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم، بل جميع أحكام المذاهب الأربعة إما مأخوذة من صريح الكتاب والسنة، وهو أكثر الأحكام، أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما أو إلى أحدهما، أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما، فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارج عن الكتاب والسنة من كل الوجوه، ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث يصلح للاستدلال.

---

(١) ذكر ألفرد سكاون بلنت التشابه بين دعوة البروتستانت ودعوة الأفغاني فقال: «... وكان هم الأفغاني في الأستانة أن يُطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية، ويقيم الحجة على أن الدين الإسلامي ليس شيئاً ميتاً ولكنه نظام يصلح للإنسانية المتطورة في جميع العصور فهو لا يأبى التطور، وكل هذا يماثل ما حدث في إحياء المسيحية بأوروبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، على أن الغريب في شأن الإسلام هو أن يعود الفضل في نشوء روح النقد بين أهله إلى رجل تربى في بلاد رجعية كآسية الوسطى وتعلم في جامعة سحيقة كجامعة بخارى (التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر ص٧٨)، وراجع أيضاً عقد الشيخ مصطفى صبري لموازنة بين دعوة الأفغاني ومحمد عبده، ودعوة لوثر وكلفن في كتابه (موقف العقل والعلم والعالم في رب العالمين وعباده المرسلين (١/ ١٤٤-١٤٥).

التنبيه الثالث: أنا نحمد الله تعالى على أنا لم نكن من هذه الفرقة الضالة المضلة التي حدثت فينا معاشر المسلمين في هذا العصر، فإنه لابد من حدوثها تصديقاً لقول الصادق المصدوق ﷺ: **«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: آليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»** ففرقة[1] البروتستانت إنما حدثت في النصارى في نحو ثلاثمائة سنة، وسموا أنفسهم المصلحين لدين النصرانية، فلابد أن يكون في المسلمين فرقة تتبعهم في وصفهم المذكور؛ تصديقاً لقول الصادق المصدوق ﷺ، فظهر الشيخ جمال الدين الأفغاني أولاً ثم تبعه تلاميذه، وشرهم الشيخ محمد عبده، ثم تلاميذه وشرهم الشيخ رشيد القلموني، ثم كثروا وتفرقوا في البلاد، وسموا أنفسهم المصلحين[2]، وهم أهل الجهل والفساد، وأعداء الصلاح والإصلاح.

التنبيه الرابع: يصدق على هؤلاء المفسدين الذين سموا أنفسهم المصلحين: قوله تعالى في أوائل سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

---

(١) أشار الكونت فيليب طرازي إلى التشابه بين دعوة مارتن لوثر لإصلاح المسيحية ودعوة محمد عبده لإصلاح الإسلام ـ كما يزعم ـ راجع «تاريخ الصحافة» (١/ ٢٨٩-٢٩٠). علماً بأن مارتن لوثر قد أعرب عن احتقاره للقرآن الكريم ورفض قراءته عن الفرنسية ـ راجع مقالاً للأستاذ القزاز في مجلة هدي الإسلام، العدد الثالث والرابع، مجلد (١٩) ربيع أول وربيع ثاني (١٩٧٥).

(٢) راجع مجلة «الضياء» السنة السابعة، ص(٩٥-٩٩، ١٩٠٤-١٩٠٥) حيث أوضحت ما كان ينويه الشيخ محمد عبده من إصلاح الدين الإسلامي، وفي توسيع نطاق العلم في الجامع الأزهر، حتى يكون كإحدى الكليات الكبرى في أوروبه.

ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، وقد نقل الحافظ السيوطي في تفسيره «الدر المنثور»، ومثله البيضاوي وابن جرير الطبري، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه قرأ هذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ فقال: لم يجيء أهل هذه الآية بعد. انتهى، وهي لعمري آية باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة لما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف هذه الفرقة الخاسرة، وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر في بالي أنها موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة المفسدين الذين يزعمون إصلاح الدين، فلما راجعت التفسير المذكور ورأيت قول سلمان المسطور تيقنت أنهم هم المرادون، وإن شملت ما قبلهم ممن يدعون الإصلاح وهم أهل الفساد.

وكما كان ذلك في وصف المنافقين في عصر سيد العباد ﷺ، وإن كنت لا أحكم على هؤلاء بالكفر وإن خالفوا طرق السداد، وهم في ضلالهم درجات: الشقي، والقريب منه، والمغفل القريب من السعيد، وإن داموا على ما هم عليه في التلاعب بالأحكام وعداوة أئمة الإسلام فماهم من الكافرين ببعيد».

ثم قال في رائيته:

وكم من قرون قد توالت ولم يُجل ... بدعوى اجتهاد مطلق عالمٌ فكرا
فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنا ... فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمرا

وأولهـم قـد كـان شـيخاً مـشردا   به ملك الأفغان أجرى الذي أجرى[1]

(١) مشرد مطرود، وذلك أن جمال الدين الأفغاني لما أراد الإفساد في الدين في بلاد الأفغان طرده ملكها، وقد كان يزعم أنه من أقربائه، في جهة أخرى، يدعي الشرف وملك الأفغان لا يدعيه، هذا قبل مجيئه إلى الآستانة للمرة الأولى مطروداً من إيران، وهناك أقوال كثيرة في أن جمال الدين إيراني شيعي وليس أفغانياً سنياً، وقد ذهب إلى هذا الشيخ مصطفى عبدالرازق حيث يرى أن جمال الدين وإن كان في الحقيقة فارسياً فقد انتسب إلى الأفغان لأمرين:
(١) أن يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السني لا الشيعي.
(٢) أن يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الإيرانية لرعاياها في الخارج، «مجلة العروة الوثقى، المقدمة، مصطفى عبدالرازق» ص(١٨).
وأشار إلى هذا أيضاً: أرنست رينان الذي تحاور مع جمال الدين، فقال: «... إن الشيخ جمال الدين الأفغاني متحرر مما علق بالإسلام من أوهام وخرافات، وهو من العناصر القوية القلب التي تسكن مرتفعات إيران المجاورة لتخوم الهند، حيث تكمن روحه الآرية تحت نقاب ضعيف من الإسلام» (كتاب جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني. ترجمة الدكتور عبدالنعيم حسنين. ص١٦٦-١٦٧)، وقد تلقى الأفغاني تعليمه في النجف على يد الشيخ مرتضى أثناء زيارته للعتبات مع والده سنة ١٢٦٦هـ، وبقي أربع سنوات ثم سافر إلى الهند لاستكمال تعليمه، وكان عمره ست عشرة سنة، ثم وصل إلى بمباي سنة ١٢٧٠هـ (جمال الدين الأسد أبادي، عبدالنعيم حسنين. ص٦٤)، كما أن جمال الدين كان يلبس زي علماء الدين الإيرانيين طيلة وجوده في إيران، وقد نشر الدكتور عبدالنعيم حسنين في كتابه الذي ترجمه عن الفارسية، ومؤلفه ابن أخت جمال الدين، وهو ميرازا لطف الله خان، وفيه يوضح أن جمال الدين إيراني شيعي مولود في قرية أسد أباد، وهي معروفة في إيران وليس من قرية أسعد أباد الأفغانية، وفي هذا الكتاب نُشرت صورة لجمال الدين وهو باللباس الإيراني مع لفيف من علماء الشيعة بزيهم المعروف وخلفه ابن أخته مؤلف الكتاب المذكور. (راجع كتاب جمال الدين الأسد أبادي، ص٧٩).
ويقول الأستاذ عبدالرحمن الرافعي في كتابه عن (جمال الدين الأفغاني ص١٣٤): «... ثم استدعاه ناصر الدين شاه فارس، فلبى الدعوة وقصد إلى طهران، فاستقبله الشاه بصدر رحب وأثنى على فضله، وجعله مستشاره الخاص في إصلاح شؤون بلاده، فكان له نعم المرشد الأمين وكانت لهجته صريحة كعادته في نصح الشاه وأشار عليه بتغيير كل شأن معيب في
=

=

شؤون الحكومة». وفي ص(١٣٥) يقول: «ولما كان معرض باريس لعام ١٨٨٩ رجع جمال الدين إليها، وفي عودته منها التقى بالشاه في ميونخ عاصمة بافاريا فاعتذر له عما فرط منه ـ أي شاه إيران ـ ودعاه إلى صحبته إذ كان يرغب في الانتفاع بعلمه وتجاربه، فأجاب الدعوة وسار معه إلى فارس، وأقام في طهران، فحفه علماء فارس وأمراؤها وأعيانها بالرعاية والإجلال، واستعان به الشاه على إصلاح أحوال المملكة، وسن لها القوانين الكفيلة بإصلاح شؤونها، فعمل بجد فيما عهد إليه، ووضع دستوراً لفارس، وجعلها ملكية دستورية» فلو كان جمال الدين أفغانيًّا سنيًّا لما كانت له هذه الصلة بإيران وشاهها، وكيف يحضر الشاه رجلاً سنيًّا ليصلح المملكة والقوانين، والمعروف أن هناك عداءً تاريخيًّا مستحكماً، ثم كيف يلتف رجال الدين الإيرانيين حول رجل سني، فتكون كلمته مسموعة وإشارته مطاعة؟! كل هذا يجعلنا نجزم أن جمال الدين كان إيرانيًّا شيعيًّا، ويبدو لي من الاهتمام البالغ من جمال الدين بإيران وشؤونها أنه كان يرمي إلى إقامة دولة شيعية كبرى، لذلك ادعى الأفغانية وأنه سني ليكون مسموع الكلمة في تجواله بين المسلمين، لذلك كانت دعوته وأفكاره تغلف بأسلوب فلسفي جدلي، وهو ما تمتاز به كتب الشيعية الدينية، وقد كان الأفغاني يركز على اللامذهبية لتتساوى المذاهب جميعها، فينهدم صرح المذهب السني بتساويه مع بقية المذاهب المهجورة، وقد كان يسعى لأن تكون إيران صاحبة السيادة في العالم الإسلامي، فهو يقول: «... إن إيران مركز الإسلام، وان لها حق السيادة طبعاً، على شرط ألا يحكمها عنصر تركي وأن يكون حكمها بيد أبنائها» (جمال الدين الإيراني ص١٩٦). ويقول جمال الدين أيضاً: «... وليس ببعيد على همم الإيرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الإسلامية وتقوية الصلات الإسلامية، كما قاموا في بداية الإسلام بنشر علومه وحفظ أحكامه وكشف أسراره، وما قصروا في خدمة الشرع الشريف بأي وسيلة، ومنهم البخاري ومسلم والنيسابوري والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبوداود والبغوي وأبوجعفر البلخي الكليني وغيرهم، وممن أنبتتهم إيران: أبوبكر الرازي الطبيب الشهير، والإمام الفخر الرازي ممن نشأوا في طهران... إلخ من العلماء، إن أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط أصوله وتأسيس فنونه، ومنهم سيبويه وأبوعلي الفارسي والرضا، ومنهم عبدالقاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان إعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية...إلخ من علماء اللغة والتصوف والفقه... فأي فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى، وأي مزية من الله منَّ بها على الإسلام ولم يكونوا

=

=

من السابقين لاقتنائها؟! نعم وفيهم جاء قول النبي ﷺ: «لو كان العلم في الثريا لناله رجال فارس» فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم، وانظروا إلى آثاركم في الإسلام، وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الإسلامية وقاية، أنتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم من فتوة الإسلام، أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الإسلامية، وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم، أظن أنه لا يخفى عليكم أن هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف معهم على العادين؛ لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصينا وحرزاً منيعاً تقف دونه أقدام الطامعين» (العروة الوثقى. العدد الصادر يوم الخميس ١٤ أغسطس ١٨٨٤).

وقد ذكر الدكتور عبدالنعيم حسنين في مقدمة ترجمته لكتاب ميرزا لطف الله خان عن جمال الدين تسعة شواهد تثبت أن جمال الدين إيراني شيعي (ص٩-٢٩)، وقد كانت الصفحة الأولى من الكتاب صورة لجمال الدين مكتوباً تحتها «جمال الدين في زي علماء الشيعة الذي كان يلبسه في إيران» ومن خلال اطلاعي على ما كتب عن جمال الدين أعتقد أن الذين قالوا بأفغانيته اعتمدوا على مصدر واحد، هو الشيخ محمد عبده الذي أخذه من لسان جمال الدين نفسه وليس من مصدر آخر، كما أني لا أستبعد أن يكون سبب فتور العلاقات بين السلطان عبدالحميد وجمال الدين هو اكتشاف السلطان لهوية الأفغاني الإيرانية الشيعية، خصوصاً بعد مقتل السلطان ناصر الدين شاه إيران الذي كان للأفغاني في قتله اليد الطولى لخلاف سياسي بينهما، حيث أرسل خليفته مظفر الدين شاه عريضة موقعة من أعيان قرية أسد أباد الإيرانية التي ولد فيها الأفغاني بأنه إيراني شيعي، تحريضاً للسلطان عبدالحميد عليه، وفي مجلة «العرفان» كتب السيد صالح الشهرستاني مقالة عن جمال الدين قال فيها: «... وإني وإن كنت واثقاً منذ أن شرعت قبل ما يقرب من (٤٢) سنة في البحث عن تاريخ حياة هذا العالم المصلح اللبق، أي منذ أن نشرت أولى مقالاتي عنه على الصفحات (٥٨، ٢٣٥، ٤٠٤) من المجلد (٢٤) من مجلة «العرفان» الزاهرة المؤرخ في سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م نعم تأكدت من مليته الإيرانية وأرومته العلوية نتيجة لتحقيقاتي عنه في العراق وإيران، وفي مختلف الأسفار والمؤلفات التي بحثتها، ولكن خلال هذه السنوات الطويلة تعززت لدي تلك الثقة أكثر وأكثر، وزال عن ذهني بعد ما كان يراودني أحياناً من الشك في إمكان ما يذهب إليه كثير من الكتاب العرب من تبعية جمال الدين الأفغاني، وذلك على إثر زيادة

=

=

التحقيق والتتبع والاستزادة مما كتبه الباحثون عنه خلال العقود الأخيرة في القرن العشرين، وخاصة بعد اطلاعي مؤخراً على كتاب طبعته جامعة طهران باللغة الفارسية تحت رقم (٨٤١) وباسم مجموعة (إسناد ومدارك جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور بأفغاني) أي مجموعة الوثائق والمستندات غير المطبوعة عن السيد جمال الدين المشتهر بالأفغاني، لجامعيه الأستاذين: الدكتور أسفر مهدوي وأبر قسار، والمطبوع في مطبعة جامعة طهران سنة ١٣٤٢هـ مجلة العرفان (٦٥٥) أيار مارس حزيران الموافق ربيع الثاني و جمادى الأولى ١٣٩٤هـ ص(٥٩٩-٦٠٠)، وقد وجدت في صفحة (٦٠٠) من العدد نفسه صورة للسيد جمال الدين بالملابس الإيرانية الشيعية مع نخبة من العلماء الإيرانيين الشيعة.

و مما يؤيد عندي شيعية جمال الدين الشبهات التي كانت تحوم حول معتقداته وأفكاره التي أراد بها أن يُـهَجن الإسلام، فقوبل بالرفض والطرد من علماء الأزهر، خصوصاً الشيخ عليش والشيخ الشربيني والشيخ يوسف الدجوي وغيرهم، وبقي عداءً مستحكماً بين علماء الأزهر وأتباعه، حتى إن جمال الدين نفسه كان يدعو إلى الفرعونية الجاهلية.

يقول الأستاذ سليم العنحوري بعد أن وصف المركز الذي وصل إليه الأفغاني بفضل الماسونية: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة، حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل، وأنتم صابرون بل راضون، وينتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط وأنتم في غفلة معرضون، فلو كان في عروقكم دم في كريات حيوية، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية، لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة، ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول، ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم ضاحكون، تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك، ثم الفرنسيين والعلويين، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه، ويهيض عظامكم بأداة عسفه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت، انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط، شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم.

وتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

(كتاب سحر هاروت، ص١٨٠-١٨٣)

=

تسمى جمال الدين مع قبح فعله كما وضعوا لفظ المفازة للصحرا[1]
يقولون: هذا المصلح الأكبر الذي به صار حكم الدين في عصرنا يُسرا
مذاهب أهل العلم ممن تقدموا توافق أحوال الزمان الذي مرا
وأبدع هذا الشيخ للناس مذهباً يوافق في تيسير أحكامه العصرا[2]
غدا كل عبد فيه صاحب مذهب به صار في الأحكام مجتهداً حرا
فقد كان تنوراً لطوفان غيهم ولكن محل الماء فار لهم جمرا[3]
أتى مصرَ مطروداً فعاث بقطرها فيا قبحه شيخاً ويا حُسنه قطرا[4]

=

والسؤال هو: هل يصدر مثل هذا الكلام ممن يدعو إلى جامعة إسلامية بنية صادقة؟!

وعلى إيرانية جمال الدين يشهد بروكلمان بذلك فيقول: «... ومهما يكن من أمر فقد كان الإسلام ولا يزال هو المهيمن على الحياة الدينية في مصر، وإنما يرجع الفضل في ذلك في المحل الأول لتأثير جمال الدين، وهو فارسي آثر لأغراض سياسية أن ينتسب إلى الأفغان حيث قضى سني شبابه»، (الإسلام في القرن التاسع عشر ١٠٢-١٠٣).

كما كتبت مجلة الإخاء الإيرانية التي تصدر في طهران عدة مواضيع كانت تصرح في جميعها بإيرانيته فتقول: «المصلح جمال الدين أسد آبادي المعروف بالأفغاني». (راجع العددين ٤٥١، ٤٥٤ من المجلة).

(١) وقد سموا الصحراء مفازة تفاؤلاً وإلا فهي مهلكة، ومن هذا القبيل تسمية هذا الأفغاني الضال المضل جمال الدين وهو من أقبح المفسدين في الدين.

(٢) منها تحليله لربا القبض. راجع «جمال الدين الأفغاني»، عبدالرحمن الرافعي، ص(١٦٥).

(٣) التنور هو الذي يخبز به، وقد كان ظهور طوفان نوح عليه السلام من التنور، فجمال الدين هذا بمنزلة التنور؛ لضلال هذه الفرقة، ولكنه لم يُفر لهم ماء وإنما فار ناراً.

(٤) يقول الأستاذ سليم بك العنحوري: «... وبعد أن أقام في الهند ردحاً جاء فروق عاصمة الدولة العلية فاتصل بصدرها «أمين غالي باشا» وحظى لديه، ولما رغب إليه الصدر أن يخطب في دار الشورى، ارتجل خطبه في الصناعات غالى فيها إلى حد أن أدمج النبوة في عداد الصنائع المعنوية، فشغب عليه طلبة العلم، وشددت عليه صحف الوقت، بما ألجأ

=

وكنت بذاك الحين فيها مجاوراً | بأزهرها صاحبت أنجمه الزهرا[1]
بتاريخ ست والثمانين قد تلت | مع المائتين الألف في الهجرة الغرا
حضرت بفقه الشافعي خطيبة | على شيخ شربين فألفيته بحرا[2]
وجاء جمال الدين يوماً لدرسه | فألقى على الأستاذ أسئلة تترى[3]
ففاضت عليه من معارف شيخنا | سيولٌ أرته علمه عنده قطرا
وإذ شم منه الشيخ ريح ضلاله | وإلحاده أولاه مع طرده زجرا[4]
وذاكرته يوماً فأخبر أنه | كأستاذنا لم يلق في مصره حبرا
ومن بعد هذا حاز في مصر شهرة | وألقى دروساً للفلاسف في مصرا
وحين أتاه ذلك الحين عبده | وأمثاله أفشى لهم ذلك السرا
أسر لهم محو المذاهب كلها | ليرجع هذا الدين في زعمه بكرا

= الصدر إلى إبعاده قصد مكة مجاوراً، وجاور هناك عاماً وبعض عام، أخذ في خلالها مبادئ اللسان العربي، ثم جاء مصر». (كتاب سحر هاروت ص١٧٨).

(١) كنت مجاوراً في مصر في الجامع الأزهر سنة ١٢٨٦هـ وهي التي حضر فيها جمال الدين الأفغاني إلى مصر.

(٢) شيخ شربين هو شيخنا الإمام العلامة الشيخ عبدالرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر رحمه الله.

(٣) تترى: متتابعة.

(٤) الإلحاد: الميل والعدول عن الحق. يقول الأستاذ سليم بك العنحوري: «وبرز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى الإلحاد والقول بقدميه العالم، زاعماً أن الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكونة بترق وتحوير طبيعيين... وأن القول بوجود محرك أول حكيم وهمٌ نشأ عن ترقي الإنسان في تعظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات. (كتاب سحر هاروت ص١٧٦).

فلم يلفِ منهم غير خل موافق ... سميع له قولاً مطيع له أمراً
فساق على الإسلام منهم جحافلاً ... يرى فرقة سارت فيتبعها أخرى[(١)]
أغاروا على الإسلام في كل بلدة ... فما تركوا نجداً وما تركوا غوراً
شياطين بين المسلمين فرقوا ... بإغوائهم كم أفسدوا جاهلاً غمراً[(٢)]
قد اختصروا بالجهل دين محمد ... وما تركوا من عُشر أحكامه العُشرا
لقد زعموا إصلاحه بفسادهم ... وكم حَمَّلوه من ضلالتهم إصراً[(٣)]
كفئران قصر أفسدت فيه جهدها ... ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصرا
فما بالهم لا يُصلحون نفوسهم ... أما هي بالإصلاح من غيرها أحرى؟
وقد جاء في القرآن ذكرُ فسادهم ... وزعمهم الإصلاح في السورة الزهرا[(٤)]
وفي دره المنثور سلمان قائل ... همُ بعد لم يأتوا فخُسْراً لهم خُسْرا[(٥)]
وها هم أتونا مثل ما قال ربنا ... بأوصافهم فاعجب لها آية كبرى

---

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبري الأستاذ محمد فريد وجدي فيما كتبه في مجلة الأزهر من التشكيك في صحة النبوة دون شبهات، وإنما ضرب من ضروب العبقرية، وأن الإله هو الأثير الذي في الجو! راجع: «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين»، (٢/ ١١٧-١٢٤).

(٢) الغمر: الجاهل.

(٣) الأصر: الثقل.

(٤) قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

(٥) نقل السيوطي في تفسير «الدر المنثور» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال: لم يأتوا بعد.

خوارج لكن شيخهم غير نافع ولكنه قد كان أزرق مغبرا[(١)]

بفعل البروستنت اقتدوا باجتهادهم لقول رسول الله لو دخلوا جحرا

أولئك قد ألغوا زوائد دينهم وقد ضللوا في ذلك القس والحبرا

قد اجتهدوا في دينهم حينما رأوا مجامعهم زادته في نكره نكرا[(٢)]

ومهما يكن عذر لهم في اجتهادهم فمجتهدونا اليوم قد فقدوا العذرا

ومع كونهم مثل البرستنت فارقوا أئمتهم كلٌ غدا عالماً حبرا

فقد قلدوا أهل المجامع منهم بمؤتمر للبحث في الدين في مصرا[(٣)]

به سنن القوم النصارى تتبعوا على الإثر لم يعدوا ذراعاً ولا شبرا

فلله در المصطفى سيد الورى فقد طابقت أخبارُه كلها الخُبْرا

أمن بعد قول الله أكملت دينكم يريدون في الإسلام أن يُحدثوا أمرا؟

يقولون لا نرمي كتاباً وسنة ونتبع زيداً في الديانة أو عمرا

---

(١) أي هم مثل الخوارج الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - وغيره من أئمة الإسلام السابقين، غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الأزرق، وهؤلاء شيخهم غير نافع، ففي نافع تورية، وكذلك في أزرق، والمراد بالأزرق شديد السمرة مع الغبرة، وهكذا كان لون جمال الدين الأفغاني و محمد عبده المصري، يصلح أن يطلق على كل واحد منهما الأسود السالخ، وهو اسم الحية.

(٢) مجامعهم هي أن ملوكهم السابقين كقسطنطين كانوا يجمعون علماء دينهم فيتذاكرون ويزيدون فيه وينقصون منه على حسب أهوائهم وأغراض ملوكهم.

(٣) وقد تبعوا النصارى أصحاب المجامع بتشكيل جمعية في عهد قريب في مصر، سموها المؤتمر الديني، ليبحثوا فيه عما يرونه لتحسين دين الإسلام بزعمهم في الزيادة والنقص، وكان تشكيل هذا المؤتمر سبع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، وخدعوا شيخ الأزهر الأستاذ العلامة الكبير سليم البشري فجعلوه رئيساً لهم، ولكن الله تعالى لم يجمع قلوبهم على الاجتماع فيه، فلم يجتمعوا.

وذلك حقٌ قصدهم فيه باطل ... وخير كلام قد أرادوا به شرا

أرادوا به من جهلهم بنفوسهم ... لترفع دعوى الاجتهاد لهم قدرا

فصارت جميع الناس ساخرة بهم ... كما يدعي الحجام سلطنة كبرى

وما أخذت كل المذاهب عندنا ... بغير كتاب الله والسنة الغرا

فكل دعاوى الاجتهاد نردها ... ونرمي بها بحراً ونرمي بها برا

وما يدعيه اليوم غير حثالة ... بأسفل حوض العلم كدرت المجرى

قد اجتهدوا أن لا تكاليف عندهم ... فصاروا إباحيين لا نهي لا أمرا

فيفعل في الأحكام فعل دوابه ... إذا أطلقت من دون قيد إلى الصحرا

وقد جاوزوا أطوارهم ودوابهم ... على حالها ما جاوزت مثلهم طورا

فما قط شاهدنا حماراً مسابقاً ... جواداً وتيساً صارع الليث والنمرا

وهم لو تعدوا ألف طور ومثلها ... حدوداً وأطواراً لما جاوزوا القعرا

يقولون إنا كالأئمة كلنا ... رجال وما زادوا على أحدٍ ظفرا

وقد أخطأوا أين الثريا من الثرى؟ ... وما لبغاث الطير أن يشبه النمرا

نعم مثلهم وزناً بوزن وصورة ... على صورة كالترب قد أشبه التبرا

ولو ثم مرآة يرون نفوسهم ... بها لرأوها بين أهل النهى ذرا[1]

يقولون أغنانا كتاب وسنة ... ولم يبقيا فينا لغيرهما فقرا

وفي الألف منهم ليس يوجد حافظ ... لجزء حديث قل أو سورة تقرا

وما قرؤوه منهما عن جهالة ... فلا فاهمٌ معنى ولا عالمٌ سرا

---

(١) الذر: صغار النمل.

تـراهم إبـاحيين أو هـم نظـيرهم إذا كنت عن أسرارهـم تكشف السترا
وكل امرئٍ لا يستحي في جداله من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرا
فمن قال صلوا قال قائلهم له يجوز لنا في البيت نجمعها قصرا
وإن قيل لا تشرب يقول شربتها بقصد الشفا أو قال ليس اسمها خمرا[(١)]
فيجهر كلٌ بالمعاصي مجادلاً بـما نفث الشيطان في قلبه سرا
وفي الألف منهم واحد ربما أتى مساجدنا لكن إذا كان مضطرا
وأخبرني من لا أشك بصدقه بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
ولازمه حتى أتى بعد مسجداً فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته بدون اغتسال مع جنابته الكبرى
على وجه كلٍ من ظلامٍ علامة به عَرَّفت من لم يكن يعرف الأمرا؟
بهم غربة الدين استبانت بعصرنا فيا قبحهم قوماً ويا قبحة عصرا
يقولون عصر النور فيه تنوروا ولكنه من نورة تحلق الشعرا[(٢)]
وقد حلقت إيمانهم من قلوبهم فما تركت من نور إيمانهم أثرا
معادن سوء يتقي المرء شرهم يجاملهم جهراً ويلعنهم سرا
ويجلب مغناطيس إلحادهم لهم من الناس لعنات وإن لعنوا الغيرا[(٣)]

(١) يقول الأستاذ سليم بك العنحوري عن عادات الأفغاني في طعامه وشرابه: «... وإذا تعاطى مسكراً فقليلاً من الكونياك»!! (كتاب سحر هاروت، ص١٨٥).

(٢) قال في المصباح: النُورة بضم النون حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره، تُستعمل لإزالة الشعر، وتنور اطلى بالنورة.

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبري ما نشره الأستاذ محمد فريد وجدي في الأهرام من أن نوابغ الكُتّاب والشعراء في البلاد الإسلامية يستبطنون الإلحاد، ويهيئون الأذهان لقبوله دسًا في =

ذئاب على الإسلام صالوا وما اكتفوا بأنيابهم حتى به أنشبوا الظفرا
مقاريض أعراض بألسنة لهم حدادٍ بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
وإني وإن أحكم لظاهر حالهم بإسلامهم بالقول لا أكفل السِّرا
ففي وجه كلٍ قد بدا من ظلامه دخانٌ يرينا أن في قلبه جمرا
ولم أجتمع والله منهم بواحد وذاكرته إلا وددت له القبرا
ولم أستمع دعواه إلا مقته وإلا قرأت الحمق في وجهه سطرا
وأعداؤهم من بيننا كلُ عالم ولاسيما إن كان في فقهه بحرا
وإن كان مشهور الولاية ضمنت جوانحهم من بغضة الحصة الكبرى
على ديننا ساقوا كتائب كتبهم وفي حربه جاءت جرائدهم تترى
فيا أمة الإسلام يا خير أمة بسيل الهدى تقفوا أئمتنا الغرا
ألا فاحذروا الأسد الضواري مرة ومن هؤلاء المارقين احذروا عشرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهم فما أحدٌ من دائه أبداً يبرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذي جرى به كَلَبٌ يعدي إذا نهش الغيرا
وهم كل يوم في ازدياد كأنهم أبالسة بالحك قد ولدت أخرى
كأسنان مشط كلهم في ضلالهم فلا أحد يبدي على أحد فخرا
ولا تائب منهم وهل ثَمَّ توبة وهم لا يرون الوزر في نفسه وزرا
أجاهدهم مادمت حيًّا فإن أمت تركت لهم جيشين نظمي والنثرا
ولستُ أبالي أن أفز بجهادهم إذا فاتني فتحٌ لرومية الكبرى

=

مقالاتهم وقصائدهم. (موقف العقل والعلم ١/ ٩٩-١٠٠).

ثم قال النبهاني:

«القسم الثالث في وصف شيخهم الثاني: الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني، وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن، فصار عندهم هو الأول وعليه في بدعهم المُعَوَّل».

لهم شيخ سوء من بني القبط أصله ... بسحنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده ... وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا
أبو مرة في مصر أحرز إمرة ... فصير عيش المسلمين بها مُرا[1]
أبوجهل هذا العصر قد صار مفتياً ... بمصر فأحيا الجاهلية في مصرا
جريء على الفتوى بحق وباطل ... بحكم الهوى والجهل ما شاءه أجرى
وليس بعلم الفقه يلحق مُحضِرا ... وإن راح يعدو خلفه أبداً حَضْرا[2]
ومع جهله في ديننا وعلومه ... يرى نفسه أعلى أئمته قدرا
فنون جنون الجاهلين كثيرة ... وأقبحها قردٌ يرى نفسه بدرا
لسانٌ له كالثور لف نباته ... ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثوراً زاحم الأسد قبله ... ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا
تولع بالدنيا وصير دينه ... إليها على ما فيه من خفة جسرا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... يساراً سعى يعدو إليها من اليسرى
فمن جهة يُدعى الإمامُ ويَقتدي ... بأعمال أهل الكفر من جهةٍ أخرى[3]

(١) أبو مره كنية إبليس، والإمرة هنا الإفتاء.

(٢) المحضر هو خادم القضاة الذي يرسلونه لطلب الخصوم، والحضر هو شدة العدو.

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبري سبب اشتهار الشيخ محمد عبده فقال: «... وفي الحقيقة ماذا =

يــذمُ خيــارَ المــسلمين وعنــدما يرى حاجةً للكفر يستحسن الكفرا

لكـيما يقـال الـشيخُ حـرٌ ضـميرُه فيبلـغَ عنـد القـوم مرتبـةً كـبرى[(١)]

أتــى لــبلادِ الــشام أيــام نفيــه فأثبـتَ فيهـا مـن ضـلالته بَـذرا[(٢)]

=

يمكن أن يكون سبب اشتهار الشيخ من بين علماء مصر، واستحقاقه لدوام الصحف والمجلات في الإشادة باسمه، هل هو عدم سلوكه الطريقة العلمية كغيره في الدفاع عن الدين، وعدم نجاحه فيه لهذا السبب، كما ذكره هيكل باشا، أو كونه متهماً في دينه، والأول غير معقول جدًّا أن يكون سبباً لاشتهار أحد من العلماء وامتيازه على غيره، فتعين الثاني.

ولا تقل غير معقول أيضاً أن يكون اتهام الرجل في دينه مزية له ومنقبة أدت إلى ارتفاع درجته عند الناس، إذ لا تستبعد كونها مزية له عند الذين يعدون هذه التهمة حرية، وهم المتغلبون في زماننا، وقد قال فضيلة الأستاذ المراغي شيخ الأزهر في خطبة ألقاها بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده يوم ١١ يونيه ١٩٤١ نقلاً عن الإمام الغزالي: «استصغر كل من بالكفر لا يعرف وبالضلال لا يوصف». وكان هذا القول من الشيخ الخطيب بعد كلام عن الاتهام المعروف الموجه نحو الشيخ المحتفل بذكراه. (موقف العقل والعلم (١/ ١٣٩).

(١) راجع التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر، ألفريد بلنت، ص(٨١).

(٢) كانت الحكومة المصرية قد نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصري، فجاء إلى بلاد الشام وأقام فيها عدة سنوات، تمكن في أثنائها من بذر ضلاله في نفوس الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم، وكان ينتقل من بلد إلى بلد، فأثر تأثيراً سيئاً، وكان قد نفي من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبدالجواد وأخوه الشيخ أحمد، فسكنوا في بيروت كالشيخ محمد عبده، فأقبل على هذين الأخوين الصالحين جمهور المسلمين إقبالاً عظيماً ونفروا من الشيخ محمد عبده نفوراً كبيراً، وكان معروفاً عندهم بعدم التقوى، فلا يزالون يعترضون على أفعاله وأحواله المخالفة للدين... ومع ذلك أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم، وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين، فصار يحبهم ويحبونه، وهكذا أصحابه في مصر، لم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبة، وقد أجمع كل الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الأفغاني وجميع تلاميذه ومحبيه لم

=

بها باض بيضاً كان إبليسُ حاضناً　　لـه فـسعت أفراخُـه تتبـع الإثـرا
وعـاد إلى مـصرَ فأحـدث مـذهباً　　ولوَّث من أقذاره ذلك القطرا[1]
وأيـد أعـداءَ الـبلاد بـسعيه　　وأوهمَ أهلَ الجهل أن بهم خيرا
يُـحَسن بـين النـاس قبحَ فعالهم　　ومهما أساءوا راح يلتمسُ العُذرا
بمقـدار ماخَـان الـبلاد ومـا أتـى　　لأعدائها نُصحاً علا عندهم قدرا[2]

=

يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين، بمعنى الصلاح المعروف في دين الإسلام من العمل بالفرائض والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، وهو وهم جميعاً لا يعدون الصلاح في العالم وغيره منقبة، بل بالعكس، ينسبون الصلحاء إلى الغفلة وقلة العقل ولا يرون لهم أدنى مزية، ولذلك ترى جماعته يبالغون في الثناء عليه ويجعلونه فريد العصر، مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الإسلام، مع شربه الخمر ومعاشرته لنساء النصارى وغير ذلك من المحرمات، وقد تمكن بدهائه وقوة شيطانه أن يرسخ في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين، ولذلك لا تجد أحداً منهم ملازماً للصلوات مثابراً على الطاعات تاركاً لأنواع الفسوق والمحرمات، فهؤلاء هم الذين يدعون الاجتهاد!! ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الأوغاد، ولا يعجبهم إلا أمثالهم أهل الزيغ والفساد، والتاركون لشرائع الإسلام المجاهرون بالفسق والزندقة والإلحاد، ومع كل هذا يعتقدون في أنفسهم أنهم على الحق وجميع الأمة من أهل المذاهب الأربعة على الباطل، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والإسلام.

(١) أحدث: أوجد، وفيه تورية بأحدث من الحدث بمعنى نقض الطهارة بنحو بول أو غائط.

(٢) قال صاحب الأعلام الشرقية: ولما صدر العفو عن المترجم وعاد إلى مصر قال اللورد كرومر في كتابه «مصر الحديثة»: «إن العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطاني وكان أهم غرض له من الإصلاح إصلاح العقيدة والمؤسسات الإسلامية»، (ص٦٨)، أما السيد رشيد رضا فيُرجع الفضل في العفو عن الشيخ محمد عبده من منفاه إلى أحمد مختار باشا ولا ينكر وساطة كرومر أيضاً. (تاريخ الأستاذ الإمام ١/ ٨٩٤-٨٩٥).

ولم يقتنع منهم بدنيا استفادها ولكنه قد شاركَ القومَ في الأخرى
وأحدث بين المسلمين نظيرَهم برستنتَ صاروا مثلهم فرقة أخرى[١]
ونال بجاه القوم في الناس رتبةً بها حاز فيمن شاءه النفع والضرا
فأصلى رجالَ العلم من كل مذهبٍ بنارِ فسادٍ منه قد قَذفت جمرا
فمِن رهبة أو رغبة كم سعى له طَغامٌ من الجهال أكسبهم خُسْرا[٢]
وألقى لهم درساً يخالفُ حكمه بأزهرها المعمور دينَ أبي الزهرا
وقد ضلَّ في القرآن مع عظم نوره كما خَبطت عشواءُ في الليلة القمرا[٣]
فتفسيره من رأيه ليس خالياً فإما يُرى فسقاً وإما يُرى كفرا
أحذِّر كلَّ الناس من كُتْب دينه وبالردِّ والإعراض تفسيرُه أحرى
وساوسُ أوحتها إليه أباليس جِنَّةٍ بها يجد المُراق إن عُذلوا عُذرا
عقيدته من قبحها مثلُ وجهه تشاهد في مرآة ملتنا الغَرّا

(١) يقول الإنجليزي بلنت: «... وبينت أصل الإسلام ومفاخره وتدهوره الظاهري بالتدهور الذي خيل للناس أنه استولى على المسيحية منذ أربعمائة سنة، والذي قد تلافاه الإسلام كما تلافته المسيحية في الإصلاح الديني وتحرير أفكارها من قيود التقاليد الضيقة التي أوقفت تطورها وعرقلت تقدمها، وقد شرحت الآراء كما تعلمتها من الشيخ محمد عبده أستاذ المدرسة الجديدة الحرة، وتوسلت إلى مواطني بكل ما فيهم من خير أن يعطفوا على آمال أحرار المسلمين ويؤيدوهم ضد الرجعيين، ذوي المكائد والتعصب الأعمى، والذين يلجأون في آخر الأمر إلى حل مشكلاتهم بحد السيوف». (التاريخ السري لمصر، ص٩٢).

(٢) الطغام: أوغاد الناس وأدنياؤهم، الواحد والجمع فيه سواء.

(٣) ذكر الشيخ مصطفى صبري قولاً لمحمد عبده وهو: «أن وجود شيء في القرآن لا يقتضي صحته»! راجع كتاب (موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين وعباده المرسلين، ص٣٤٧-٣٤٨).

وأقوالــه مثــلُ الــسَّراب بقيعــة بظاهرها قد تخـدع الجاهـل الغِـرا[(١)]
بــه بــرزت حـسناءُ في شرٍّ مَنبـت كما نبتت في الدِّمنة البقلةُ الخضرا
يعاشر نـسوان النصارى ولا يـرى بذلك من بأسٍ وإن كشفوا السترا[(٢)]
ويأكـل معهـم كـلَّ مـا يأكلونـه ويشربها حمراء إن شـاء أو صـفرا
ويفتي بحِـلِّ المسكرات جميعها إذا هي بالأسـماء خالفـتِ الخمـرا
ويأكــل مخنوقــاً ويفتــي بحلِّــه لـئلا يقولـوا: إنـه ارتكـب الـوزرا
وتحليلـه لـبسَ البرانـيط والربـا به بعض أهل العلم قد ألحق الكفرا[(٣)]

---

(١) القيعة: هي القاع، وهو المستوي من الأرض.

(٢) الذي أعلمه من حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك أنه حين كان في بيروت منفياً كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهم، والاختلاط مع نسائهم بدون تستر، وهذا مما يعلمه كل من عرف حاله في هذه البلاد، فضلاً عن أسفاره المشهورة إلى بلاد أوربية، واختلاطه بنساء الإفرنج، وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المنخنقة وترك الصلوات، ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا توهمه فيه، فكيف يكون قدوة في دين الإسلام؟! نعم هو إمام للفساق والمُراق مثله، ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ولا صوم ولا صلاة ولا غيرها من شرائع الإسلام.

(٣) «طلب العلامة الشبراملسي مراراً مناظرة الشيخ ونشرها على صفحات الجرائد في المسائل الثلاث التي أباحها الشيخ: الحل للميتة: ولبس البرنيطة: والربا القانوني، فلم يستطع أن يقابله، وهذه سنة كل من يريد الظهور وهو خلو مما يريد الظهور به» (راجع المسائل الكافية، محمد بن يوسف الكافي ص١٢٣)، وراجع تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ١٤٦-١٤٧)، حيث أكد السيد رشيد محاربة الإمام للثورة العرابية في كل مجال، خصوصاً في القسم الأدبي من الوقائع المصرية التي رأس تحريرها، وفي ص(١٤٩) يقول رشيد رضا: «... وقد قال الإمام لعرابي مراراً كثيرة: عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين، ونهاه بعد ذلك عن محاربة الإنجليز». وفي الصفحة نفسها يقول: «انتهت الثورة العرابية بالاحتلال الانجليزي، وقبض على زعمائها وألقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلاً، =

=

وجعل الفقيد منهم لأمر ما، (ليت السيد رشيد رضا وضح لنا العبارة الأخيرة)، ولعل فيها حدث للأستاذ الإمام بعد النفي ما يلقي الضوء على الموضوع، إذ أنه أول من عاد من جميع المنفيين، حيث توسطت له الأميرة نازلي حليم لدى اللورد كرومر، الذي بمساعدته عين في منصب مفتي القطر المصري، وزادت صلاته بالإنجليز وثوقاً، يقول الأستاذ أحمد أمين: «انكشف الغطاء وظهر العداء ودبرت المؤامرات ودست الدسائس، وكلما أمعن الخديوي في ذلك اضطر الشيخ محمد عبده إلى كثرة الاتصال بالإنجليز، وكلما اتصل زاد غضب الخديوي، حتى لقد هم الخديوي بعزله عن الإفتاء، فصرح اللورد كرومر: إنه لا يوافق على عزله من منصب الإفتاء مهما كانت الأحوال مادام موجوداً»، (زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص٣٢٠).

ويقول الدكتور فيليب حتى: «... وكان الجو الفكري في مصر في آخر القرن التاسع عشر قد أصبح ملائماً لاستقبال الأفكار الجديدة وإنمائها، وذلك بتأثير الكتابات والخطب التي كان يذيعها المصلح الحر الشيخ محمد عبده، وكان قد بلغ أعلى مركز ديني في البلاد - مركز مفتي الديار المصرية - وكان محمد عبده قد تتلمذ على جمال الدين الأفغاني، وكان محمد عبده لا يرى أي تناقض أساسي بين الإسلام والعلم الحديث، ولقد فسر بعض الآيات القرآنية تفسيراً عقليًا، وأوضح قصور الطريقة المدرسية الإسلامية، وبينما كان جمال يقول بالثورة السياسية لتحقيق الإصلاح المنشود، كان محمد عبده يرى أن اليقظة الدينية هي التي تحققه، وقد ساهم كلاهما أكثر من أي كاتب عصري في تمزيق ثوب المحافظة والرجعية الذي التف به الإسلام منذ العصور الوسطى... وهو أول من هجم بعنف على تعدد الزوجات والطلاق والحجاب». (تاريخ العرب مطول د. فيليب حتى ص٨٨٨)، وترجم له صاحب الأعلام الشرقية فقال: «وفي الفتاوى والمسائل العلمية المهمة كان ينكر الوسيلة ويحلل الموقوذة ويُسَوغ لبس القبعة ويجيز ربح صناديق التوفير ويحاول الاجتهاد، ويفسر القرآن على غير طريق السلف، وبسبب هذه الفتاوى رد عليه كثير من مشاهير العلماء في مصر». (راجع الأعلام الشرقية، ص٦٩). كما حامت شبهات أخرى حول الشيخ محمد عبده، يقول الأستاذ عثمان أمين: «... فلا عجب أن نراه في بيروت يسعى إلى توكيد روابط الود بين أهل الأديان الثلاثة السائدة في الشرق العربي، وقد حانت الفرصة لذلك حين جاء إلى سوريا (مرزا باقر) الفارسي الذي كان قد عرفه الشيخ محمد عبده في باريس أثناء الاشتغال بتحرير العروة

=

وكـــم زار بـــاريزاً ولنـــدرةً ولم ... يـزر مكـةً يومـاً ولا طيبـةَ الغـرا
وإن كـان يومـاً للريـاء مـصلياً ... يُـرى فـاعلاً يومـاً وتاركهـا شـهرا
فمن قال كالكلب العقور فصادقٌ ... سوى أنه في الدين قد فَعَل العقرا(١)
وقد كنتُ في لبنان يوماً صحبته ... لقرب غروب الشمس في ضحوة كبرى(٢)
وصليتُ فرضَ الظهر والعصر بعده ... لديه وما صلى هو الظهر العصرا

= الوثقى. واتصل محمد عبده في بيروت ببعض الشخصيات المعروفة بالاهتمام بالشؤون العامة. وألف هو ومرزا باقر جمعية سرية سياسية دينية، غرضها التأليف بين الإسلام والمسيحية واليهودية، والعمل على إقامة الوئام بين أهل هذه الأديان، والتعاون على إزالة ضغط الغرب على الشرق، وانضم إلى تلك الجمعية «مؤيد الملك» أحد وزراء إيران، و«حسن خان» مستشار السفارة الإيرانية في الآستانة، كما انضم إليها بعض الإنجليز واليهود»! (محمد عبده للأستاذ عثمان أمين ص١٠٣-١٠٤).

ومن هذه الشبهات ما ذكره الأستاذ عثمان أمين حيث يقول: «وكان طبيعياً ـ وقد اتصل المجاور الأزهري بتلك الشخصية القوية الجذابة ـ أي الأميرة نازلي ـ أن يُفتن بها وأن ينساق إلى الطريق التي رسمتها له، فلا بدع إذن أن نرى اللاهوتي الشاب الذي كان يناصر في العقيدة المحمدية آراء السنيين والأشاعرة ـ وهم يمثلون حزب المحافظين في الإسلام ـ لا يتردد الآن في التحول عن تلك الطريق، وإذا به في «الحاشية على شرح العقائد العضدية» ينقلب مناصراً للمعتزلة والعقليين وجميع النظار من الأحرار والمتسامحين». (المرجع السابق ص٢٥).

(١) عقره: جرحه.

(٢) قد دعاني رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة وألف هجرية إلى بيته، فتوجهت معه، فوجدت هناك الشيخ محمد عبده، فتصاحبنا من الصباح إلى المساء لم أفارقه نهاراً كاملاً، فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهراً ولا عصراً، ولم يكن به علة ولا عذر إلا خوفه من أنه إذا صلى بحضوري يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلي أمامهم أنه مراء في هذه الصلاة لأجلي، فغلب عليه شيطانه، وأصر على عدم الصلاة، وإلا فقد بلغني عنه أنه كان يصلي تارة ويترك تارة، والترك أكثر.

وكان صحيحَ الجسم لا عذر عنده — بلى إن ضعفَ الدين كان له عذرا

ومع كل هذا فهو أستاذُ عصره — فأفٍ له شيخاً وأفٍ له عصرا[(١)]

وقبل غروب الشمس صاحبَ شيخه — لقرب العشا أيام جاورتُ في مصرا[(٢)]

حكى الحسن بن الأسطواني وهو مِن — بدور الهُدى في الشام أكرم به بدرا[(٣)]

حكى أنه من بعد ما مات عبده — رأى عينه في النوم مطموسةً عَورا

---

(١) قال الشيخ مصطفى صبري: «... وكان من مضار الشيخ ـ محمد عبده ـ بالإسلام وعلمائه، أن الناشئين بعده من حملة الأقلام بمصر، المنحرفين عن الثقافة الإسلامية لما أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة ـ التي انتقدتها في هذا الكتاب ـ وأوجدوا له من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طنينه في أذن الشرق الإسلامي ـ ولا شك في تأييد القوة الماسونية له ـ كان ذلك حثًّا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوه بوساطة الشذوذ في الرأي، والتزلف إلى الكتاب المتفرنجين، بل الانتهاء إلى الماسونية». (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين مصطفى صبري ١/ ١٣٤).
ويقول أيضاً: «... أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده، فإنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة واحدة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بوساطة شيخه جمال الدين الأفغاني». (المرجع السابق ١/ ١٣٣).

(٢) اجتمعت في مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف هجرية بالشيخ جمال الدين الأفغاني وأنا مجاور، ولازمته من قبل الغروب إلى قرب العشاء، فلم يصل المغرب، وتحققت أنه كان تارك صلاة، ويصلي في بعض الأحيان، والغالب عليه الترك، كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقته، كلهم تاركون الصلاة، ولا أظن أنه يوجد منهم واحد مداوم على صلاته، وقليل منهم يصلي تارة ويتركها تارة أخرى.

(٣) أخبرني الشيخ حسن أفندي الأسطواني خطيب الجامع الأموي في دمشق الشام، وهو من المداومين على حج بيت الله الحرام في كل عام، بأنه رأى في منامه الشيخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين، ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظم الممهدين في هذا العصر للأعور الدجال.

فأولتُ أن الشيخَ دجالُ عصره ... وما زال دجالاً وإن سكن القبرا
فقد مات لكن أحيت الدَّجلُ كتبَه ... وورَّث كلاً من تلاميذه قَدرا
وهم كلهم والشيخ أيضاً وشيخه ... إلى الأعور الدجال نسبتهم تُدرى
ولولا حديث المصطفى لأسامة ... يقول به: هلا شققت له الصدرا
لما صحت الدعوى بإسلام بعضهم ... لدي وما استبعدت عن بعضهم كفرا
وكنتُ كتبت الكاف والفاء بعدها ... على جبهات القوم كي يُعرفوا والرا
كما جاء في الدجال يَكتب لفظها ... فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقرا
فقد أشبهوه في معانٍ كثيرة ... من الدَّجْل والإلحاد والبدع الأخرى
وما الفرق إلا أنهم في قلوبهم ... عماهم ودجالُ الورى عينه عورا
تقدم فيها نائباً عنه عبده ... فأغوى الذي أغوى وأغرى الذي أغرى
فويلٌ له ويلٌ لمن يتبعونه ... ومَن كان من أعدائهم فله الشرى

انتهى نقل المقصود من رائية النبهاني[1].

وقال النبهاني في كتابه «البشائر الإيمانية»: «لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا[2]، ذاكرته بشأن شيخه الشيخ محمد عبده، فقلت له في شأنه: إنكم تتخذونه قدوة في دينكم، وتدعون الناس إلى ذلك، وهذا غير صواب، فإنه

---

(١) ديوان النبهاني، ص(٣٦٥-٣٧٤).

(٢) اجتمع به في سنة ١٣٢٦هـ (وهي توافق ١٩٠٨م) كما جاء في قصيدته (الرائية الصغرى) حيث قال:

ومن نحو عام جاءني فنصحته ... كما تنصح الثعبان أو تنصح الفأرا
وذاكرته في شيخه وهو عبده ... تملكه الشيطان عن قومه قسراً

وقد جاء في ص(٤٠٠) من كتابه (العقود اللؤلؤية) أنه أنشأ هذه الرائية سنة ١٣٢٧هـ.

لم يكن محافظاً على الفرائض الدينية، فلا يصح أن يكون قدوة في الدين. فمن المعلوم المسلَّم أنه كان يترك كثيراً من الصلوات بلا عذر، وأنا نفسي رافقته من وقت الضحى إلى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا في جبل لبنان، فلم يُصلِّ الظهر ولا العصر، ولم يكن له عذر، بل كان بكمال الصحة، ورآني صليت الظهر والعصر ولم يصلِّهما، فسلَّم الشيخ رشيد رضا تركه لبعض الصلوات، وقال في الجواب عنه: لعل مذهبه يجوِّز الجَمْعَ في الحَضَر! فتعجبت من هذا الجواب؛ لأن الجَمْعَ إنما يجوز في السفر والمطر والمرض عند بعض الأئمة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، كما صح عنه ﷺ ذلك، ولم يقل أحد إن الظهر والعصر يجمعان مع المغرب والعشاء حتى نحتمل صحة هذا الجواب ولو جَدَلاً.

قلت له: وأيضاً كان تاركاً للحج إلى بيت الله الحرام مع الاستطاعة. وبتلك الاستطاعة التي كان مالكاً لها من القوة الجسمية والمالية كان يحج باريس ولندرة وغيرهما من بلاد أوروبا وغيرها مراراً كثيرة، ولم يخطر له أن يكون سفره مرة واحدة للحج، مع قرب الديار، فلا شك أنه آثم بذلك أشد الإثم، وتارك لركن من أركان الإسلام.

ثم قلت له: ومما لا يختلف فيه أحد أنه كان هو وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغاني داخلين في الجمعية المسونية، وهي لا تجتمع مع الدين بوجهٍ من الوجوه، بل هي ترفض الأديان كلها، وهي ضد السلطات كلها، الدينية وغيرها، فكيف يمكن أن يكون قدوة في دين الإسلام مع كونه ماسونياً، وكذلك شيخه. فقال الشيخ رشيد: نعم، هما داخلان في الماسونية، ولكن أنا لم أدخل فيها.

قلت له: فلو قلتم: إن الشيخ محمد عبده هو فيلسوف الإسلام، بمنزلة ابن سينا والفارابي، لسلمنا لكم ذلك، وإن كان خلاف الحقيقة، لأنه لا ضرر فيه علينا، ولا على ديننا، وأما أن يكون من أفسق الفساق بتركه أركان الإسلام، ومع ذلك تقولون عنه: إنه في دين الإسلام إمام، فهذا شيء منكر لا يقبله أحد من ذوي الأحلام. فقال الشيخ رشيد: نحن لا نعتبره مثل ابن سينا، ولكن نعتبره مثل الإمام الغزالي. فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة، فإنه يسلِّم أنه كان تاركاً للصلاة والحج وأنه كان ماسونياً، ويقول: إنه مثل الغزالي. وفي الحقيقة، كلُّ واحد من هذه الفرقة الضالة يعتقد نفسه أجلَّ من الغزالي، لأنهم يدَّعون الاجتهاد المطلق، صغيرهم وكبيرهم، والإمام الغزالي لم يدع الاجتهاد المطلق، بل صرَّح في (الإحياء) بعدم وجود المجتهد المطلق في عصره بقوله، كما هو في حكم جميع أهل العصر، وكذلك الفخر الرازي صرح بذلك، وغيرُهما من الأعلام. وهؤلاء الجهال كلُّ واحد منهم يعد نفسه بمنزلة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم. وقد رسخ هذا الضلال في نفوسهم الخبيثة، فليس للموعظة فيهم أدنى تأثير، وهم يجتهدون في أن تكون الناس على شاكلتهم ضالين مضلين، ومع هذا الفساد العظيم يزعمون أنهم هم مُصلحون لهذا الدين المبين! ولا شك أنهم من جملة الذين شملهم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]»[(١)].

---

(١) «البشائر الإيمانية»، ص(٣٤-٣٦).

المسائل التي انتقدها النبهاني على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ مع ردها:

بالتأمل في القسم الخامس من رائية النبهاني، المخصَّص لنقد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، نجد أنه لامهم وذمهم بسبب ست مسائل:

المسألة الأولى: أن بلادهم هي بلاد «جدهم» مسيلمة الكذاب! وذلك بقوله:

مسـيلمة الجـد الكبـير وعرسـه ... سجاح ولكل منهم الجدة الكبرى

والجواب: أن النبهاني لم يأتِ بجديد في هذه التهمة الساذجة! فقد رددها قبله المناوئون لدعوة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ بعد أن أعيتهم الحجة[1]. وإلا فما علاقة مسيلمة بدعوة الشيخ؟! وهل يُذم المسلم بسبب وجوده في أرض كان فيها كفار أو مشركون أو مرتدون؟! إذاً فليذم النبهاني جميع بلاد المسلمين، حتى مكة!

وما أحسن ما قاله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ في رده على واحدٍ من أمثال النبهاني أورد هذه التهمة الساذجة، فقال له الشيخ:

«ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد، فقد عاب جمهور الأمة، وسبَّهم، وآذاهم بغير ما اكتسبوا، وقد داول الله الأيام بين البقاع والبلاد، كما داولها بين الناس والعباد.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وكم من بلد قد فُتحت، وصارت من خير بلاد المسلمين، بعد أن

(١) انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، (ص١٧٨-١٩٢).

كانت في أيدي الفراعنة والمشركين، والفلاسفة والصابئين، والكفرة من المجوس والكتابيين؛ بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام؛ ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين.

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين، وطَرْد هذا القول جراءة على النبيين وأكابر المؤمنين.

وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه، ولا يدري؛ وقد قال بعض الأزهريين: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقلت: وفرعون اللعين رئيس مصركم! فبهت. وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون؟»[1].

المسألة الثانية: أنهم لم يتوسلوا بالنبي ﷺ التوسل البدعي أو الشركي. وذلك بقوله:

إلى الله بالمختار لم يتوسلوا لأن لكلٍ عند خالقه قَـدْرا

والجواب: أن التوسل يأتي على ثلاثة أنواع: بدعي وشركي ومشروع. فهم يتوسلون بالتوسل المشروع الذي جاءت به النصوص الشرعية؛ وينهون عن التوسل البدعي والشركي. ولتوضيح هذه المسألة يُقال[2]:

---

(١) «مصباح الظلام..» (ص٣٦٨-٣٦٩).

(٢) ألخصها من «فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٢/١٠٣-١٠٩). وينظر للزيادة: رسالة «القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي»، للشيخ محمد الشقيري ـ رحمه الله ـ، تحقيق: الدكتور يوسف السعيد ـ وفقه الله ـ.

١ - التوسل الشرعي يكون بأحد الأمور التالية:

أ - التوسل بأسماء الله تعالى؛ كما ورد في الحديث: «... أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي... إلخ»[(١)].

ب - التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته؛ كما ورد في الحديث: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق: أحيني إذا علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي»[(٢)].

ج - أن يتوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بالإيمان به، وبرسوله ﷺ، فيقول ـ مثلاً ـ: «اللهم إني آمنت بك، وبرسولك، فاغفر لي».

د - أن يتوسل إلى الله ـ سبحانه ـ بعمله الصالح؛ كما ورد في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار؛ فتوسل كل واحدٍ منهم بعمل صالح فعله؛ حتى فَرَّج الله عنهم[(٣)].

هـ - أن يتوسل إلى الله ـ تعالى ـ بذكر حاله، وما هو عليه من الحاجة؛ كما في قوله تعالى حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

و - أن يتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي تُرجى إجابته؛ كما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم، كما في قصة الأعرابي الذي قال: «يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادعُ الله أن يغيثنا...»[1] الحديث.

٢- **التوسل البدعي**: كمن يتوسل بجاه النبي ﷺ، فهذا قد توسل بأمر لا علاقة له به، فما علاقة المتوسل بكون النبي ﷺ له جاه عند الله ـ عز وجل ـ؟!

فالتوسل الصحيح أن يتوسل إلى الله بإيمانه به وبرسوله ﷺ، أو يتوسل بمحبته لرسوله ﷺ.

٣- **التوسل الشركي**: وهو الاستغاثة بالأموات والمقبورين. وهذا يسميه دعاة القبورية، من أمثال النبهاني «توسلاً» تلبيساً على المسلمين[2]، وإلا فإنه استغاثة شركية؛ لأن الميت قد انقطع عمله، ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته، حتى النبي ﷺ، ولهذا لم يتوسل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته، بل قالوا: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا**»، فقام العباس ـ رضي الله عنه ـ فدعا الله تعالى[3]. ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة؛ لكان عمر والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يطلبون ذلك منه ﷺ؛ لأن إجابة دعائه ﷺ أقرب وأحرى من إجابة دعاء العباس.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٩)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) وقد نقلت جملة من ردود علماء الدعوة على هذا التلبيس والخلط المتعمد في رسالتي «ثناء العلماء على كتاب الدرر السنية»، (ص١١٦-١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٠).

المسألة الثالثة: أن النبي ﷺ ذم بلادهم، وأنها بلاد فتنة، وطلوع قرن الشيطان! وذلك بقوله:

أشـار رسـول الله للشـرق ذمَّـه وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا

والجواب: لم يأتِ النبهاني بجديد في هذه الفرية، فقد تابع فيها أعداء دعوة الشيخ السابقين[1]. وهي فرية ساذجة، كالفرية الأولى؛ وتنزلاً مع النبهاني وأضرابه أن المقصود بحديث النبي ﷺ بلاد نجد، فما دليلكم على أن المقصود بالذم هو دعوة الشيخ وأتباعها؟! فهلاً كان المقصود المرتدين الذين ارتدوا زمن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، أو كان المقصود أناساً من المنحرفين الذين وُجدوا في هذا المكان؛ كالدولة الأخيضرية مثلاً؟! وما جوابكم لو قال لكم قائل: إن المقصود بالذم هم المناوئون لدعوة الشيخ محمد من أهالي نجد! فجوابكم هو جوابنا.

والمراد بحديث النبي ﷺ: نجد العراق؛ لأنها شرق المدينة، وقد ورد هذا صريحاً في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مكتنا، وبارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، وبارك لنا في صاعنا ومُدِّنا**». فقال رجل: يا رسول الله، وفي عراقنا. فأعرض عنه، فقال: «**فيها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[2].

(١) انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، (ص١٧٨-١٩٢).

(٢) صححه الألباني ـ رحمه الله ـ في تخريجه لأحاديث «فضائل الشام» (حديث رقم ٨)، وقال: «أخرجه أحمد مختصراً بلفظ: «رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يؤم العراق: ها إن الفتنة ههنا ـ ثلاث مرات ـ من حيث يطلع قرن الشيطان. وإسناده صحيح». قلت: هو في المسند برقم (٦٣٠٢). وقال الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وقال الخطابي: «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة»[١].

وقال الشيخ الألباني ـ بعد أن ساق طرق حديث: «**اللهم بارك لنا في شامنا**» ـ: «فيستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد من نجد في رواية البخاري، ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وإنما هو العراق، وبذلك فسَّره الإمام الخطابي والحافظ ابن حجر... وقد تحقق ما أنبأ به ـ عليه السلام ـ؛ فإن كثيراً من الفتن الكبرى كان مصدرها العراق؛ كالقتال بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ، وبين علي والخوارج،... وغيرها مما هو مذكور في كتب التاريخ، فالحديث من معجزاته ﷺ، وأعلام نبوته»[٢].

المسألة الرابعة: أنهم منعوا الاستغاثة الشركية! وذلك بقوله:

وقد عذروا من يستغيث بكافر   وما وجدوا للمستغيث بهم عُذرا

والجواب: أن هذا من تلبيس وتهويل النبهاني الذي ورثه عن دعاة الشرك قبله؛ لتشويه دعوة الشيخ.

فعلماء الدعوة عمدتهم النصوص الشرعية التي أجازت الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه. أما الميت فلا تجوز الاستغاثة به. ولتوضيح هذه المسألة يُقال:

«**الاستغاثة**: مصدر، وعند النحاة من أنواع النداء، وتعريفها لغة: أن

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٧).

(٢) تخريج أحاديث فضائل الشام، (ص٢٧-٢٨).

يطلب من المُنادى الإغاثة لغيره، وهي: طلب الغوث، وهو كشف الشدة، كالاستنصار طلب النصر، وكالاستجارة والاستعاذة، فكلها من أنواع الطلب والدعاء؛ لأن الفعل الثلاثي إذا تقدمه السين والتاء دل على طلب الشيء، والنداء والدعاء بمعنى واحد، وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث.

والمستغاث به هو المطلوب منه الغوث، والمستغيث هو الذي يطلب الإغاثة من غيره، ولفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

والفرق بين الاستغاثة والتوسل، أنه في الاستغاثة لا يُقال: استغثت إليك بفلان، يا فلان أن يفعل بي كذا، وإنما يقال: استغثت بفلان أن يفعل بي كذا، وفي التوسل يقال ذلك، كما أن من سأل بشيء أو توسل به لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به، لأن قول السائل المتوسل: أتوسل إليك يا إلهي بفلان، إنماهو خطاب لله، لا لذلك المتوسل به، بخلاف المستغاث به؛ فإنه مخَاطَب مسؤول منه الغوث.

وتنقسم الاستغاثة إلى: استغاثة مشروعة، واستغاثة ممنوعة.

والاستغاثة المشروعة أنواع:

أولها: الاستغاثة بالله ـ تعالى ـ، وهي الاستغاثة المأمور بها في الشرع، فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله ـ تعالى ـ، وكل غوث فهو من عنده. قال تعالى إخباراً عن المؤمنين في استغاثتهم إياه ليلة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، وقد أمر تعالى عباده أن يدعوه ويستغيثوه، فهو تعالى غياث المستغيثين: ومعناه: المدرك لعباده في الشدائد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، عبادتي: أي دعائي.

الثاني: الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه ويليق بمنصبه، وهذا لا ينازع فيه مسلم، وهذا النوع جائز أيضاً في حق غير النبي ﷺ من عامة المؤمنين وخاصتهم، بل والفجار والكفار أيضاً، ومن هذا النوع ما وردت به النصوص من الاستغاثة بالنبي ﷺ يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، فهذه الاستغاثة في ما يقدر عليه موسى ـ عليه السلام ـ، وهذا لا ينافي كمال التوحيد.

وقد غلط بعض الغلاة فسوى بين حياة النبي ﷺ وموته، وأثبتوا له بعد موته حياة حقيقية؛ كحياته ﷺ في الحياة الدنيا، وأن الشهداء أحياء في قبورهم، وحياة الأنبياء أكمل، وبناء على هذا أجازوا الاستغاثة بالنبي ﷺ حيًّا وميتاً.

ولم يعلموا أن حياته ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ حياة برزخية، وهذه الحياة البرزخية من الغيب الذي أخبرنا الله به، ولم نعلم حقيقتها وكنهها، فوجب علينا الإيمان بحياة الأنبياء على هذا الأساس، مع الجزم باختلافها عن الحياة الدنيا، ولو أريد أن حياتهم كحياتهم في الدنيا لاقتضت جميع لوازمها من أعمال، وتكليف، وعبادة، ونطق، وغير ذلك.

وأما الاستغاثة الممنوعة، فهي أقسام أيضاً:

الأول: الاستغاثة بالنبي أو الرجل الصالح الحَيَّين الشاهدين الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ تعالى ـ؛ مثل غفران الذنوب، وهداية القلوب، وشفاء المرض، والرزق، والنصر على الأعداء، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ـ تعالى ـ، وهذه الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة، وهذا شرك العرب في الجاهلية.

الثاني: الاستغاثة بالميت؛ سواء كان نبيًّا أو غير نبي، وهذا شرك بالله ـ عز وجل ـ.

الثالث: الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبته، وهذا أيضاً لا يجوز، فإنه لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب.

فهذه أقسام الاستغاثة، عرف المسلمون الاستغاثة المشروعة، ولم يعرف القبورية إلا الاستغاثة الممنوعة، وجعلوها أصل دينهم»[(١)].

المسألة الخامسة: أنهم منعوا شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ. وذلك بقوله:

وما جوَّزوا للمسلمين رحيلهم ... لزورة خير الخلق في طيبة الغَرا

والجواب[(٢)]: أن المانع من ذلك؛ هو النبي ﷺ، وليس هم ـ كما يوهم النبهاني ـ.

---

(١) من مقدمة كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: «الاستغاثة في الرد على البكري» للشيخ عبدالله السهلي (١/ ٥٧-٦٠). وهو كتاب مهم في الرد على دعاة الاستغاثة الشركية، ويُنظر أيضاً كتاب «الرد على المستغيثين بغير الله» للشيخ أحمد بن عيسى ـ رحمه الله ـ.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ، (٢/ ٧٦٣-٧٤٦) (ط: دار الوطن).

فالسفر لا يجوز بقصد زيارة قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الناس؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تُشَد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» متفق عليه[1].

والمشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ﷺ، وهو بعيد عن المدينة، أن يقصد بالسفر زيارة المسجد النبوي، فتدخل زيارة القبر الشريف وقبرَيْ أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعاً لذلك.

أما نية القبر بالزيارة فقط؛ فلا تجوز مع شد الرحال، أما إذا كان قريباً لا يحتاج إلى شد رحال ولا يُسَمى ذهابه إلى القبر سفراً؛ فلا حرج في ذلك؛ لأن زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه من دون شد رحل سنة وقربة، وهكذا زيارة قبور الشهداء وأهل البقيع، وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة، لكن بدون شد الرحال، لقول النبي ﷺ: «**زوروا القبور فإنَّها تذكِّركم الآخرة**». أخرجه مسلم في صحيحه[2]، وكان ﷺ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**» أخرجه مسلم في صحيحه[3].

المسالة السادسة: أنهم أثبتوا صفة العلو لله ـ عز وجل ـ، بقوله:

هو الله رب الكل جل جلاله ... فما جهة بالله من جهة أحرى

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).
(٢) برقم (٩٧٦).
(٣) برقم (٩٧٥).

والجواب[١]: أن العلو من صفات الله تعالى الذاتية، التي لا تنفك عنه، وقد دل عليها: الفطرة، والعقل، والسمع، وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى عالٍ على كل شيء.

ومما ورد من الآيات في ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

٢- قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

٣- قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

٤- قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠].

٥- قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على علوّ الله تعالى.

وأما الأحاديث فكثيرة أيضاً، وقد بلغت مبلغ التواتر[٢]، ومنها:

١- حديث الإسراء والمعراج[٣].

٢- حديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء، فقال ﷺ لسيدها: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»[٤].

---

(١) انظر: «عقيدة الإمام ابن عبدالبر»، للدكتور سليمان الغصن، (ص٣١٦-٣١٧).

(٢) انظر حكاية التواتر في: «العلوّ» للذهبي (ص١٦)، وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية عشرين نوعاً على إثبات العلو، ثم قال: «وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل»، شرح الطحاوية (ص٣٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٧).

٣- قوله ﷺ: «ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء مساءً وصباحاً»(١).

وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في الدلالة على علوّ الله تعالى(٢)، ولم يجحد هذه الصفة إلا الجهمية وأمثالهم من أسلاف النبهاني.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٢) وقد تتبع الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ أدلة العلو من الكتاب والسنّة وأقوال السلف، وجمعها في كتاب سماه: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»؛ كما ألف الحافظ الذهبي في هذه المسألة: كتابه المشهور: «العلو للعلي العظيم»، وهو مهم، مع مقدمة محققه الدكتور عبدالله بن صالح البراك ـ وفقه الله ـ.

(١)

منظومة

الشيخ علي بن سليمان بن يوسف

ـ رحمه الله ـ

(ت ١٣٣٧هـ)



ترجمته[1]:

هو الشيخ علي بن سليمان بن علي اليوسف، وتعرف أسرته بالحلوة[2].

ينتمي إلى عشيرة آل يوسف المعروفة في مدينة أشيقر بمنطقة الوشم وفي القصيم، وعدد من بلدان المملكة والعراق ودمشق والكويت. وهو من الرواجح من الوهبة من بني حنظلة من بني تميم.

انتقل أجداده من بلدهم أشيقر إحدى بلدان منطقة الوشم إلى عنيزة وعيون الجواء بالقصيم، وكان ذلك حوالي عام ١١٧٥هـ سعياً وراء الرزق[3].

---

(١) نقلاً عن مقدمة الأخ الكريم الأستاذ سعود اليوسف ـ وفقه الله ـ لكتاب «أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة» للشيخ ابن يوسف ـ رحمه الله ـ. وقد ترجم له ـ أيضاً ـ الشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ١٩٥-٢٠٠).

(٢) الحلوة: لقب اشتهرت به أسرة الشيخ علي دون غيرها من أُسر آل يوسف. وهذا اللقب جاءهم بسبب نخلة كانت مغروسة في بلد أشيقر تعرف بـ«الحلوة»، وهذا النوع من النخل مشهور في بلدان نجد. والرواية صحيحة ومعروفة لدى الأسرة، كما عرفوا بالحلوة بعد انتقالهم من أشيقر إلى عنيزة. كما أنهم يعرفون في أشيقر بـ«آل علي» حسب ما جاء في وثيقة تقسيمة الأسبال والأملاك، مع أبناء عمومتهم اليوسف أهل العيون، والعثمان، والسليمان واليحيى والعياف في أشيقر.

(٣) تذكر الروايات المتواترة أن سبب انتقالهم من أشيقر إلى القصيم هو فقدهم لسبعة من أفراد أسرتهم. تقول الرواية: إن سبعة رجال من هذه الأسرة كانوا يقومون بحفر بئر في جو أشيقر وكان الوقت أول النهار، منهم ثلاثة في أسفل البئر وأربعة خارجها، طلب الذين في خارجها من الذين في أسفلها أن يخرجوا لتناول طعام الإفطار، فامتنعوا من الخروج وطلبوا من الأربعة النزول مفضلين ذلك، فنزلوا، وبعد قليل انهارت البئر على الجميع، وماتوا تحت أنقاضها. وبعد هذه الحادثة انتقلت الأسرة إلى القصيم. والله أعلم.

والشيخ علي ولد على الأرجح عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٣٨م في بلد عنيزة بالقصيم، وانتقل مع والده صغيراً إلى بغداد، وقد طلب العلم في بغداد على يد الشيخ العلامة محمود شكري الألوسي، وهو أشهر مشايخه، كما أن الشيخ علي كان محبوباً ومقرباً لدى شيخه الألوسي.

وقد كان الشيخ يزور المدينة المنورة في طريقه إلى الحج، وقد أخذ عن بعض مشايخها عندما كان يقيم بعض الوقت فيها. وقد انتقل الشيخ علي فيما بعد من مدينة بغداد إلى قرية الدورة الواقعة جنوب البصرة على بعد (٧٠) كيلاً.

وللشيخ علاقة وصلة قوية بالتاجر المشهور يوسف العبدالله البراهيم «العنقري» المعروف في الكويت. وكان الشيخ علي وكيلاً لأعمال يوسف البراهيم وكذلك وكيلاً على أملاكه التي في الدورة والمخراق، علماً أن بعض بساتين المخراق ملكٌ لصالح البراهيم، وهو ابن عم ليوسف البراهيم، وبعد وفاتهما صار حسين ابن الشيخ علي اليوسف وكيلاً لمصطفى بن يوسف البراهيم على نفس ما كان عليه والده ـ حيث يوجد لدى علي بن حسين بن الشيخ علي اليوسف بعض الرسائل الإخوانية التي تثبت هذه العلاقة، ويوجد في إحدى هذه الرسائل توجيه من مصطفى البراهيم لحسين بن الشيخ علي يوصيه فيها بالبحث عن «مجلة المقتطف» وغيرها. وقد لبث الشيخ علي اليوسف في بلدة الدورة إماماً لجامعها، وفُتح له كُتّاب خاص به يدرِّس فيه أبناء بلدة الدورة، وممن درس عليه أبناؤه الأربعة، وقد أجادوا الكتابة والقراءة. كما أن للشيخ علي حلقة علم في المسجد الجامع الذي يؤم فيه، وقد طُلب منه

أن يكون قاضياً في المدينة المنورة، لكنه رفض هذا الطلب تورعاً منه. كما طُلب منه أيضاً أن يكون إماماً لمسجد الجامع الكائن بحي الصالحية في منطقة القبلة بمدينة الكويت، لكن الشيخ اعتذر عن ذلك وبقي إماماً لجامع بلدة الدورة.

أعمالــه:

١- تولى القضاء وإمامة أحد المساجد بقرية الدورة[1] بالعراق.

٢- عمل وكيلاً لإدارة أعمال وأملاك الشيخ صالح البراهيم ابن عم يوسف العبدالله البراهيم، التاجر المعروف بالعراق، من العناقر من بني سعد من بني تميم.

٣- له عدد من القصائد الجيدة اللغة الفصحى تعنى بالوعظ والإرشاد والردود.

٤- تعاون مع «سليمان بن صالح الدخيل» في نشر قصائده في جريدة الرياض التي يصدرها الدخيل في العراق.

٥- له ديوان شعر بعنوان (نيل المطالب في مدائح السيد الطالب) طبع في مطبعة المؤيد، وله الكتاب الشهير: (**أربح البضاعة في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة**)، وقد طُبع أكثر من مرة، وله بعض التعليقات والتهميشات على عدد من الكتب الدينية. والتصديق على بعض الوثائق.

---

(١) قرية الدورة: وهي دورة البراهيم، وآل إبراهيم لهم ثلاث قرى: (الدورة)، (المخراق)، (القطعة) بالعراق، بالقرب من حدود الكويت من جهة الخليج العربي، وكانت هذه القرى الثلاث تعج بالنخيل، وكان شيخ هذه القرى هو يوسف بن عبدالله البراهيم، وقد كتب عنهم الشيخ حمد الجاسر ـ رحم الله الجميع ـ.

٦- له تركة علمية تضم كتباً ومقتنيات وأوراقاً تولاها محمد أمين الشنقيطي، الذي أسس مدرسة النجاة بالزبير.

٧- له عدد من الرسائل تبادلها مع شيخه محمود شكري الألوسي، بلغت أكثر من (٥٢) رسالة. انظر: مجلة «عالم المخطوطات والنوادر». بحث ضمياء محمد عباس السامرائي بعنوان وثائق عراقية عن الطباعة والنشر في البحرين. رجب ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ.وانظر رسالة الشيخ علي إلى شيخه الألوسي سنة ١٣٢٤هـ في رياض الناظرين ص(٤٠٥).

٨- له اهتمام بالغ في متابعة ما ينشر من الكتب، كما أنه كثيرُ الأسفار والتنقل بين البلدان من أجل العلم.

والد الشيخ هو سليمان بن علي اليوسف، عمل في التجارة ونقل البضائع من العراق إلى القصيم مع تجار «عُقيل»، وذلك قبل انتقاله من نجد إلى بغداد واستقراره فيها، وبعد أن استقر في العراق أصبح من كبار تجار «عقيل»، فعمل في تجارة الإبل وتأجير الأحواش[1] على جماعته تجار عقيل، الذين يسكنون في الكرخ غرب بغداد. ولسليمان ولدان هما: الشيخ علي ـ المترجم له ـ وإبراهيم، وثلاث بنات.

تزوج الشيخ علي من امرأة اسمها «سعدة» من السادة الأشراف، أصلها من بغداد، وهي أم أولاده وبناته[2]. وبعد وفاتها ـ رحم الله

(١) أحواش: جمع حوش، ويسمى في العراق «جاخور»،وهو مكان خاص بالبهائم.

(٢) يوجد له أحفاد في الكويت وأحفاد كثيرون في العراق، قدم بعضهم ـ ذرية عبدالكريم بن حسين بن علي ـ إلى المملكة العربية السعودية البلد الأم.

الجميع ـ تزوج بأخرى اسمها «خديجة»، إلا أنها لم تمكث معه طويلاً، حيث طلقها دون أن تنجب له أولاداً، وبقي أعزباً حتى وفاته.

وفاة الشيخ علي:

بعد عمر حافل بالعطاء، وبعد أن تقدم به السن، تداعت عليه الأمراض؛ مثل الربو والضغط، وفي ليلة عرفة ـ بقرية الدورة من عام ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٧م اشتد عليه مرض الربو، فنقل من قرية «الدورة» بواسطة مركب خشبي عن طريق نهر شط العرب إلى مدينة الفاو، وكان بها طبيب فعالجه، فلم يفد به العلاج، فتوفي في ذلك اليوم، فصلي عليه ودفن في مقبرة الزبير(١). رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته(٢).

* * *

(١) كان الناس في مسجد العيد بقرية «الدورة» ينتظرون إمامهم الذي تأخر عليهم، ولم يتعودوا منه ذلك، فخافوا عليه، وفي المساء انتشر خبر وفاته، فأجهشوا بالبكاء وترحموا على شيخهم.

(٢) قال الأخ سعود: معظم هذه المعلومات وافاني بها حفيده علي بن حسين بن علي اليوسف، المقيم الآن في الكويت مع أولاده وأحفاده، وقد ذكر برواية كبار السن الذين أدركوا جده أن شخصاً اسمه عبدالرحمن بن عبدالله الدرهم قد كتب ترجمة عن حياة الشيخ علي. وزودني أيضاً ببعض المعلومات الأستاذ عبدالله بن بسام البسيمي.

المنظومــــة

الحمد لله الذي اصطفى من عباده أنصاراً، وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم سرًّا وجهاراً، ومزق بأسنة سنة فخر أهل وداده جموع الابتداع فحازت ذلاًّ وانكساراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرع به النوع الإنساني وكان منه مختاراً، فأصبح من لم يسر على ضوء مشكاة هداه في نهجه محتاراً، وعلى آله وأصحابه الذين جردوا لإعلاء كلمة الحق سيوف عزم لم تُبق على الأرض من الكافرين ديَّاراً.

أما بعــد:

فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التي تشدق بها يوسف النبهاني وملأ ماضغيه بها فخراً، وظن أنه قد أوتي قرطي ماريه، أو فاز بمنقبة يا ساريه، واستسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، وراح في أئمة الهدى طاعناً، ولمن تبعهم لاعناً، قد ضمخها بعذرة الفشر والزور، ولطخها بحمأة الكذب والفجور، وكان القول الأحق، أن نمسك القلم عن هذا الأحمق.

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخرُ معدوداً من الذهب

إذ لا جواب له غير السكوت؛ لأنه بنى بيتاً أوهن من بيت العنكبوت،

وحيث أن عدم الرد عليه ربما يعده عجزاً، ويظن أنه من مثل من عز بزّ[١]، فلذلك أجريت اليراع في رد هذا الجاهل، وإن كنت في شغل شاغل.

فقلت وبالله المستعان وعليه التكلان:

١ - أجلتُ بطرفي نحو رائية صغرى ... فأصغرتها مذ ضمت الزور والوزرا

٢ - ومزقتها كي لا يلوّث رجسها ... أكفَّ الورى من مزجها الروث والبعرا

٣ - فتباً لمنشيها الذي ضل رشده ... وسحقاً لها سحقاً وهجراً له هجرا

٤ - غدا الغُمر من تيه يُرنح كشحه ... ويحسب أن قد شاد فوق العلا قصرا[٢]

٥ - فقال وشر القول ما كان خالياً ... من الحق والإنصاف مبتدعاً نكرا

٦ - (وأعجب شيء مسلم في حسابه ... غدا قلبه من حبّ خير الورى صفرا

٧ - أولئك وهابية ضل سعيهم ... فظنوا الردى خيراً وظنوا الهُدى شرا

٨ - ضعافُ النهى أعرابُ نجد جدودهم ... وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا)

أقول:

٩ - له الويل ماذا قد جنى في مقاله ... من الكذب والبهتان والفرية الكبرى

١٠ - يُعرض في أقيال نجد وصِيْدها ... ويوسعهم ذمًّا ويعزي لهم وزرا[٣]

١١ - ويرميهمُ من جهلة في ضلالة ... ويصبح عن نهج الحقيقة مُزورا

١٢ - فظن حليفُ اللوم أن قلوبَهم ... من الحُبِّ للمختار قد أصبحت صفرا

١٣ - وأنهم في زعمه ضل سعيهم ... فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرّا

١٤ - فيا جرو نبهان اتئد لاتفه بما ... يسوء فرب البيت في بيته أدرى

---

(١) مثل عربي يعني: «من غلبَ سلبَ». (جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٨٨).

(٢) الغُمر: الجاهل والذي لم يجُرب الأمور ـ وستتردد الكلمة كثيراً في المنظومات ـ والكَشح: ما بين الخاصرة والضلوع. والكاشح: العدو المبغض.

(٣) الأقيال: الملوك العظماء. والصِّيد: أصحاب الحول والطول من ذوي السلطان.

١٥- وإيـاك والـشمّ العـرانين في العـلا فقد هتكوا عن خزيك السُجْف والسِّترا[1]
١٦- ولا تُمل جهلاً ما ضغيك بهجوهم فإنك يا نسل الخنا بالهجا أحرى
١٧- فأعراب نجد جاهدوا كلَّ مشرك فـما تركـوا شـاماً ولا تركـوا مـصرا
١٨- وقـد بـذلوا لله مـالاً وأنفـساً فكم ربطوا جأشاً وكم ربطوا ثغرا
١٩- فهـم حزبـه في كـشف كـل ملمـة وهم حربُ من قد خالف النهي والأمرا
٢٠- بأسيافهم قـد أصبح الحقُّ ظاهراً ومن سُمرهم قد أحرزوا الفتح والنصرا
٢١- وقد فتحوا الأمصار شرقاً ومغرباً وفلّوا جموع الروم بل كسروا كسرى
٢٢- وحـسبهمُ مـا قـال فـيهم نبينـا أرى حـبهم دينـاً وبغـضهم كفـرا
٢٣- وقـال همـو قـومي وأعظـم أمتـي بـلاءً عـلى الـدجال أنعـم بهـا بـشرى[2]
٢٤- وحـبهم للمـصطفىٰ ويـك ثابـتٌ ثبوتَ الجبال الراسيات على الغَبرا
٢٥- يوالون من والى ويجفون مشركا يصد عن المولى ويستمنح القبرا
٢٦- وقـد شـيدوا أحكـام شرع محمـد وذبـوا عـن الإسـلام والـسنة الغرا
٢٧- ومـا بـدلوا الـشرع الـشريف بغيره ولا ألفـوا الرشـوى ولا شربـوا الخمـرا
٢٨- ولـم يعرفوا عزفـاً ورقـصاً بمـسجد ولـم يـضربوا دفًّـا ولا حرَّكـوا نحـرا
٢٩- ولا عقـدوا الرايـات فـوق سـطوحهم يُرَجون في الأموات أن تدفع الشرا

---

(١) شُم العرانيين: الأعزة الأباة.

(٢) يشير إلى قول أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في بني تميم ـ لأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ منهم ـ: «مازلتُ أحب بني تميم منذ ثلاث سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول فيهم. سمعته يقول: «هم أشد أمتي على الدجال»، وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: «هذه صدقات قومنا»، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: «أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل». أخرجه البخاري (٢٥٤٣) ومسلم (٢٥٢٥). ويُنظر للزيادة: «فضائل بني تميم في السنة النبوية» للدكتور عبدالعزيز الفريح.

٣٠- ولا عرفوا قطباً ولا وتداً ولا مغيثاً سوى الله الذي يكشف الضرا[1]

٣١- فإن كان هذا الحال ليس مبرَّرا لديك فقد عُوضت عن ذا الهدى خسرا

قال:

٣٢- أشار رسول الله للشرق ذمّه وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا

أقول:

٣٣- وذمُ رسول الله للشرق لم يكن يخص بني نجد بلائمة كبرى

٣٤- ولكنْ أمور أنت أدرى بشرها فإن لم تكن تدري فإني بها أدرى

٣٥- ركوبك في صفين عمياء ترتمي إلى خبطِ عشواءٍ لن تنال بها مسرى

٣٦- وقتلكمُ عمار لا درَّ درُّكم وطاعتكم صخراً وتحكيمكم عَمْرا

٣٧- وقتلكم سِبط النبي وآله وجلبهمُ للشام يا خبّ كالأسرى

٣٨- وغزوتكم في الحَرَّة الأمر ظاهر فعال من الإسلام قد حَنَتِ الظهرا

٣٩- هتكتم بها جار النبي بطيبة وأدخلتمُ في قعرها الخوف والذعرا

٤٠- وضربكم بيت الإلٰه وحرقه وقتل الجواري ثم تنكيسه دهرا

٤١- وصلب الإمام الطُهر زيداً وقتلكم بني عمه الأبرار بين الورى جهرا

٤٢- فهذي الشرور الموبقات التي غدا بها الشرق مذموماً بسنتنا الغرا[2]

٤٣- فهل مثل هذي المخزيات تلوثت بآثامها نجدٌ فأوضحْ لنا الأمرا

---

(١) القطب والوتد من مصطلحات الصوفية، التي نشروا من خلالها الخرافات. انظر لبيان حقيقتها: رسالة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للدكتور محمد أحمد لوح، (١/ ٩٣ وما بعدها).

(٢) يشير الناظم إلى أن أكثر الفتن لم تظهر من نجد، إنما ظهرت من غيرها، ومن ذلك: مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ ووقعة الحرة، وضرب الكعبة بالمنجنيق زمن عبدالملك بن مروان، وقتل زيد بن علي ـ رحمه الله ـ. ومتابعة الفئة الباغية في حرب «صفين»، رضي الله عن الصحابة أجمعين.

٤٤- فـإن لـم تكـن تـأتي بـنص مؤيّـد فحسبك قد أصبحت بين الورى ثورا

قـــال:

٤٥- فكـم طعنـوا في الأشـعري إمامنـا وفي الماتريدي الحَبر أكرم بـه حبرا

أقـــول:

٤٦- وأما الإمام الأشعري أخو الهـدى كـذا الماتريـدي فاستمع عـنهما الخُبرا

٤٧- فـإن لهــذين الإمــامين مــسلكا بتأويـل آيـات الـصفات يُـرى وعـرا

٤٨- لأن طريـق الـصحب والآل كلهـم جهـاراً هـو التسليم والمـنهج الأحـرى

٤٩- يُمرون آيات الـصفات كـما أتـت بقرآننا المحفوظ فاشرح بذا صدرا[1]

٥٠- فمن لم يسر في نهجهم ضَل تائهاً بمهمـه أمـواء عـلى ناقـة حـسرى[2]

٥١- تَجاذبـه الآراءُ مـن كـل جانـب فترفعــه طــوراً وتخفــضه طــورا

٥٢- لـذلك أمـسى الأشـعري متابعـاً لمنهـاجهم أكـرم بحَـبر حـوى الفخـرا

٥٣- وجـاهر في أقـوالهم وأبـان مـا تجــلى لديـــه في إبانتـــه الكـــبرى

٥٤- وراح وراء الحـبر أحمـد يقتفـي عقائـدَ لا ينفـك عـن قيـدها شـبرا

٥٥- وحاشى بني نجد من الطعن فيهما فقد وُفقا للحق في الحالة الأخرى[3]

---

(١) أي أن الأشعري والماتريدي خالفا مسلك السلف في أمور من العقيدة، أهمها: تأويلهم لصفات الله ـ عز وجل ـ التي كان السلف يؤمنون بها، يفهمون معانيها، ويفوضون كيفيتها. يُنظر لبيان ذلك: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبدالرحمن المحمود، و«الماتريدية» للشمس الأفغاني ـ رحمه الله ـ.

(٢) المهمه: الصحراء. وأمواء: جمع ماء. والحسرى: التي أصابها الإعياء.

(٣) أي أن الأشعري في النهاية رجع إلى مذهب السلف في الصفات، وألف كتابه الشهير «الإبانة» لهذا المقصد. ينظر بيان ذلك في رسالة الدكتور عبدالرحمن المحمود السابقة (١/ ٣٦٠-٤٠٩) وأما الماتريدي؛ فلم يُذكر عنه رجوع إلى مذهب السلف. قال الشمس الأفغاني ـ رحمه الله ـ في رسالته السابقة (١/ ٢٥٥)، بعد أن ذكر أقوال الماتريدي:

=

قـــال:

٥٦- إلى الله بالمختـــار لم يتوســـلوا ... لأن لكـــلٍّ عنـــد خالقـــه قـــدرا

أقـــول:

٥٧- ولكننـــا عنـــد التوســـل نقتـــدي ... بفاروق ديـن الله مـذ سـأل القَطـرا

٥٨- فلـم يـك إبَّـان الـدعاء متوسـلاً ... بخير الورى شمس الوجود أبى الزهرا

٥٩- ولا قـال يـا ربي بحـق محمـد ... أغثنا من الـلأوا ولا استلم القبرا

٦٠- ولكـنّ بالعبـاس عـمّ نبينـا ... توسل فاروق الهدى فجنى البُشرىٰ

٦١- أكـان أمـير المـؤمنين مقصِّرا ... بحق رسول الله فاكشف لنا الأمرا[1]

قـــال:

٦٢- ويعتقـدون الأنبيـاء كغـيرهم ... سواءٌ عقيب الموت لا خير لا شرا

أقـــول:

٦٣- لك الويل قد أبعدت في المَين نُجعة ... وقارفت يا ذا الجهل في نقلك الـوزرا

٦٤- فحاشـا بنـي نجـد بـأن يتنقصـوا ... حقـوق أنبيـاء الله وينطقـوا هُجـرا

٦٥- فـإن مقـام الأنبيـاء معظَّـمٌ ... فهم رحمة في ذي الحياة وفي الأخرى

٦٦- ومـا منهمُ إلا شـفيع مُشَفَّع ... ومن لم يدن حقاً فقد ألف الكفرا

٦٧- وحقًّا عقيب الموت لا نفع عندهم ... لمن يرتجى نفعاً ولم يملكوا ضَرا

=

«الحاصل: أنه تبين أن الماتريدي ليس على السنة؛ فضلاً عن أن يكون إماماً لأهل السنة».

(١) يشير إلى حديث استسقاء المسلمين بدعاء العباس عم الرسول ﷺ، زمن عمر - رضي الله عنهما -. والحديث في البخاري (١٠١٠) وفيه: قول عمر: «اللهم إنّا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا - أي بدعائه - فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبيك». وهذا من التوسل المشروع. ولو كان التوسل بالأموات جائزاً للجأ الصحابة إلى قبر النبي ﷺ يتوسلون به؛ لأنه أولى من توسلهم بالعباس. ولما لم يفعلوا عُلم أنهم فهموا عن نبيهم ﷺ عدم جواز هذا التوسل.

٦٨- ولكن نضيف النفع والضر للذي … بتدبير هذا الكون قد دبرا الأمرا

٦٩- وقد خصهم بعد اصطفاء وعصمة … بمقعدِ صدقٍ عنده يوجب الشكرا

٧٠- وحرَّم من أن تأكل الأرضُ لحمَهم … فأجسادهم في القبر كالورد أو أطرا[(١)]

٧١- وخص التهاميَّ الحبيب محمدا … بردٌ سلام بعدما سكن القبرا[(٢)]

٧٢- نُفَدِّيه بالأرواح صلى إلهنا … عليه ولا زالت تحياته تترى

٧٣- ونعرف للهادي مقاماً معظماً … ومن لم يتابعه فقد ربح الخُسرا

قـــال:

٧٤- وما جوزوا للمسلمين رحيلهم … لزورة خير الخلق في طيبة الغرا

أقـــول:

٧٥- وهل أخطأوا إذ لم يشدوا رحالهم … ويطوا فيافي البيد والمهمه القِفرا

٧٦- ويُمسوا كما الأرفاض دام شقاؤهم … يروا رأيهم في كل ما صنعوا أجرا

٧٧- ويتخذوا من جهلهم كلَّ مشهد … مقاصدَ للطاعات تستنزل البرا

٧٨- فقُدماً نهى المختارُ عن شدِّ رحلنا … لغير ثلاث من بيوت سَمَت قدرا[(٣)]

٧٩- مساجدُ فيها للصلاة تَضَاعُفٌ … بخمس مئين بل وألف حوت حصرا[(٤)]

---

(١) قال ﷺ: «إن الله حرَّم الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أخرجه أبو داود (١٠٤٧) وصحَّحه الألباني.

(٢) قال ﷺ: «ما من رجل يُسلِّم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام». أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وصحَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٧٤).
وَوَصف النبي ﷺ بـ«التهامي»؛ لأنه ﷺ من مكة، ومكة من تِهامة؛ كما في «معجم البلدان»، (٢/ ٧٤).

(٣) قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». أخرجه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧).

(٤) قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا ـ أي المسجد النبوي ـ خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام». أخرجه البخاري (١١٩٠) ومسلم (٣٣٧٤).

=

٨٠- وفي المسجد البيت الحرام تعددت بعشرة آلاف تكررها عشرا[1]

٨١- فسر نحوها وانقل ركابك جاهداً وشق إليها البيد والمهمه القِفرا

٨٢- وحثَّ إليها اليعملات مبادراً وعند الصباح يحمد المُدلج المسرى[2]

٨٣- وإن رمتَ للهادي البشير زيارةً تَحط بها ذنباً وتمحوا بها وزرا

٨٤- فقدم عليها نية المسجد الذي به الله في الأذكار قد رفع الذكرا

٨٥- وثُم إذا نلت الأماني بقربه وشاهدت من أركانه النور والفخرا

٨٦- فبادر على العينين والرأس ماشياً وقابل إمام المرسلين أبا الزهرا

= قال ﷺ: «**الصلاة في بيت المقدس بخمسمئة صلاة**» وهو حديث ضعيف. (ضعيف الترغيب والترهيب: ٧٥٧).

والذي ثبت في فضله: قوله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ـ أي في المسجد الأقصى ـ**». (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٩)

(١) قال ﷺ: «**صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» أخرجه أحمد (١٥٣٠٦)، وابن ماجه (١٤٠٦) وصحَّحه الألباني والأرناؤوط.

(٢) اليعملة من الإبل: النجيبة السريعة.

(٣) قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برئاسة سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: «زيارة قبر النبي ﷺ سُنَّة؛ لعموم أدلة الحث على زيارة القبور، لكن دون شد الرحال إلى ذلك، فيزوره من كان بالمدينة أو ضواحيها، ممن لا يعد انتقاله إلى المدينة سفراً، أما السفر إلى المدينة لزيارة قبره فلا يجوز؛ لنهيه ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»، فإذا سافر إلى المدينة لحاجة من تجارة وطلب علم ونحو ذلك، أو سافر إليها للصلاة في المسجد النبوي رغبة في مضاعفة الثواب، صلى أولاً، ثم زار النبي ﷺ الزيارة الشرعية، فصلى وسلم عليه، وسلم على أبي بكر وعمر، وترضَّى عنهما، ودعا لهما، دون أن يتمسح بالقبر، أو بما حوله، أو يُقَبِّل شيئاً من ذلك، ودون أن يدعوه أو يستغيث به، فإن دعاءه والاستغاثة به بعد وفاته ﷺ كدعاء غيره من الأموات، وذلك شرك أكبر، بل يكتفي بالصلاة والسلام عليه، والترضي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما» (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١١/ ٣٦٣-٣٦٤).

٨٧- وسلم عليه من قريب وفز بما ... سعدت به من زورة تشرح الصدرا[٣]

٨٨- فقل هل ترى فيما نقول ملامة ... ولكن أعمى العين لا يُبصر الفجرا

٨٩- وقل لي متى كان التهاميُ راحلاً ... لزورة إخوان له سكنوا القبرا

٩٠- وهل أحدٌ من آله وصِحابه ... لقبر نبيٍّ قد غدا يغذ ذا السيرا

٩١- وهيهات أن تأتي بحجة عارف ... ينال بها بين الجهابذة الشُكرا

قـــال:

٩٢- رموا بضلال الشرك كلَّ موحد ... إذا لم يكن منهم عقيدته تبرا

٩٣- وهم باعتقاد الشرك أولى بقصرهم ... على جهة للعُلو خالقنا قصرا

أقـــول[١]:

٩٤- أعندك من ينمي العلو لربنا ... يكن باعتناق الشرك من غيره أحرى

٩٥- ويُصبح من لم يَدر لله وجهةً ... لديك من العرفان والعلم قد أثرى

٩٦- لقد فاتك التوفيق والرشد والهدى ... فأصبحت تبدي ذي الخرافات والهذرا

٩٧- بفيك الثرى كم من دعاوى عريضة ... وحسبُك لا عُرفاً عرفتَ ولا نُكرا

٩٨- فإن كنتَ ممن يدعي العلم والنُهى ... فجيء بدليل بيِّنٍ يشرح الصدرا

٩٩- ودع عنك يا مختال سفسطة بها ... تُبهرج زيفاً ثم تحسبه تبرا

١٠٠- وتخدع جهَّال الورى وتصدهم ... عن المنهل الصافي وتعكره عكرا

١٠١- فقل لي ولا تبدي سفاسفَ أحمقٍ ... مقالة حق نورها يصدع الفجرا

١٠٢- بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى أن رب الناس في الكون لا يُدرى

١٠٣- وكان علوُ الذات عندك منكرا ... ولا فوق ذاك العرش من يكشف الضُرا

---

(١) في هذه الأبيات يرد الناظم على النبهاني إنكاره صفة العلو لله ـ عز وجل ـ، ويورد عليه بعض الأدلة الشرعية المثبتة لهذه الصفة. ومن أراد التوسع فعليه بكتاب «العلو» للذهبي، أو اختصاره للشيخ الألباني ـ رحمهما الله ـ، وقد سبق الرد على شبهات النبهاني في المقدمة.

١٠٤ - إذاً فكــلام الله عنــدك كــاذب وقول رسول الله يستوجب الهجرا

١٠٥ - وقــول أســاطين الأئمــة ســاقط وأنهــم لم يعرفــوا ويحـك الأمـرا

١٠٦ - هـل اعتقـد النعمان هـذا ومالـك أو الشافعي الحَبر أكـرم بـه حـبرا

١٠٧ - أو الحنبليُ المرتضى ويك نهجه لديك فجئني بالحق واكشف لنا السترا

١٠٨ - وقـل لي أيـن الله جـل جلالـه إذا لم يكـن فوقـاً فألبابُنـا سـكرى

١٠٩ - أمـا فطـر الله العبـاد جميعهم إذا مـسهم ضُر بـأن يرفعـوا جهـرا

١١٠ - وجوهَهم نحو السماء لذي العُلا ودعـوة مظلـوم الـورى تخـرق الخضرا

١١١ - وأن إليـه يـصعد الكَلِـم الـذي يطيب كـذا الأفعـال تعلـوا بـلا إمـرا(١)

١١٢ - فربُ الورى فوق الخلائق كلها بـذاتٍ وقهـر والـورى تحتـه قهـرا

١١٣ - وقـد جـاء إثبـات العلـو لذاتـه من الخبر المأثور ما لم ينل حصرا

١١٤ - فللــذهبي الــشافعي إمامنــا لتحقيقـه سِـفراً وأنعـم بـه سـفرا(٢)

١١٥ - أتـى فيـه بالبرهـان يـسطع نـورُه نـصوصٌ مـن القـرآن والـسنة الغـرا

١١٦ - وآثـار أعـلام الهـدى وأئمـة الكتـاب ذوي العرفـان يحـصُرهم حـصرا

١١٧ - فيـا حبـذا ذاك الكتـاب الـذي بـه أضاءت شموسُ الحق ويك بلا إمرا

١١٨ - وقـد صرح البـاري بـنص كتابـه بـآي علـو لـن تُطيـق لهـا نكـرا

١١٩ - وصرح أن الله مــن فــوق عرشــه تحـف بـه الأمـلاك كـي تـسمع الأمـرا

١٢٠ - وينــزل منــه الــروح ثــم ملائــك تُنفـذ في الأكـوان مـن قَـدَره القـدرا

١٢١ - وتعـرج حقًّـا روحُ مـن مـات مؤمنـاً إليــه فتحظــى بالمــسرة والبــشرى

١٢٢ - وبالمــصطفى أسري إلى الله فــارتقى إلى الآيـة الكـبرى فـسبحان مـن أسرى

---

(١) قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

(٢) يشير إلى كتاب «العلو» للذهبي، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالله البراك ـ وفقه الله ـ.

١٢٣- وقد رفع الله المسيح ابن مريم ومن قبله إدريس قد أحرز الفخرا
١٢٤- وزينبُ من فوق السموات زُوِّجت فمن زوَّجَ الهادي وخصَّ لها المهرا[(١)]
١٢٥- وسعدٌ قضى فيما قضى في قريظة بحكم إله العرش من فوق ذي الخضرا[(٢)]
١٢٦- وخير الورى قد خاطب الأمَة التي رأى عتقها حقًّا ودام لها البرا
١٢٧- فقال لها أين الإله؟ فصرحت بأن إلهي في السماء بلا إمرا[(٣)]
١٢٨- وقد أفصحتْ تسع وعشرون آية بقرآننا لفظ العلو ألم تقرا
١٢٩- فما ديننا والترهات التي بها أتيت بها أركبته مسلكاً وعرا
١٣٠- وأصبحتَ عن هدي الأئمة نازحاً ومن رأيهم يا ذا الهوى أبداً تبرى
١٣١- فقد نزلوا في مكةٍ وشعابها ومنزلك المنحوس يا غُمر في الصحرا
١٣٢- وعرَّضت في الشيخ ابن سحمان عادياً على شارف هوجاء أخطأتِ المسرى[(٤)]
١٣٣- فباتت تُشَكي الأين من ألم الوجا وترزم إذ رُدَّت لأعقابها حسرا[(٥)]
١٣٤- (تقول بأن المرء في الدهر لم يزل يجادل أهل الحق أجمعهم طُرا)
١٣٥- (ويشتم أهل العلم بالجهل مُمليا على فكره إبليسُه كل ما أجرى)

---

(١) يشير إلى قول زينب بنت جحش، أم المؤمنين - رضي الله عنها -: «زوجني الله من فوق سبع سموات» أخرجه البخاري (٧٤٢٠). تشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٢) قال ﷺ لسعد بن معاذ لما حكم على يهود بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات» أخرجه النسائي (٨٢٢٣) وصحَّحه الألباني في «مختصر العلو» (ص٨٧).

(٣) يشير إلى حديث الجارية، وهو قوله ﷺ لها: «أين الله؟» قالت: في السماء.. فقال ﷺ لسيدها: «أعتقها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم (١١٩٩)، وينظر للفائدة: كتاب «تكحيل العين بجواز السؤال عن الله بأين» للدكتور صادق سليم.

(٤) الشارف من الدواب: المُسنة.

(٥) الوجا: الضرب. ترزم: تسقط من الإعياء.

١٣٦ - فمهلاً فإن الحي فيه حُمَاته وقد جردوا للمعتدي البيض والسُمرا[1]
١٣٧ - وقد جعلوا نص الكتاب مَجِنَّهم وقد ألفوا في نصره الكرَّ والفرا[2]
١٣٨ - فأين ذوي العلم الذين يسبهم وفي ذمهم قد أحكم النظم والنثرا
١٣٩ - أسبَّ من الأصحاب والآل واحداً أو التابعين الغُر يوماً بما أزرى
١٤٠ - وهل شتمَ الأعلام أتباع أحمد على سُنن القرآن والسنة الغرا
١٤١ - فمن ذم أهل العلم أو دام هجرهم فقد خسر الدنيا وقد خسر الأخرى
١٤٢ - ولكن يسبُ الابتداع وأهله ويوليهمُ شتماً ويزجرهم زجرا
١٤٣ - ويفلق من قاداتهم كلَّ هامة ويوسعهم هجواً ويَنْظرهم شزرا[3]
١٤٤ - ويطعنهم كي يركب القِرن درعه ويدهمهم من فوق سابحة شقرا[4]
١٤٥ - إلى أن يُحق الحق يسطع نوره ويُصبح ما قالوه مندحراً دحرا
١٤٦ - وقد جزت في مهواك كل تنوفة فلا قطرٌ أجنبت عنه ولا قطرا[5]
١٤٧ - وخضت بسبب المتمين إلى الهدى وكنت بهذا السبب بين المدا أحرى
١٤٨ - ولم تتورع من هجا كلِّ فاضل لأنك ممن في الدُنا ألف الشَّرا
١٤٩ - (وعرَّضت في الندب النبيه محمد وقلت بأن المرء قد أشبه الهرا)[6]
١٥٠ - رويداً رويداً أيها الفأر إنه سيفري منك الجلد أو يقصم الظهرا
١٥١ - وجاءك منه كلُ دهياء أصبحت تدك على تمزيقك السَهل والوعرا
١٥٢ - فمن لم يقف يا ذا الهوى عند حده سيستمع التوبيخ واللوم والإزرا

---

(١) البيض: السيوف. السُمر: الرماح.
(٢) المِجنّ: التُرس.
(٣) الشزر: نظرة الغضب.
(٤) القِرن: المثيل في الشجاعة. السابحة: الخيل.
(٥) التنوفة: الفلاة، لا ماء فيها ولا أنيس.
(٦) يعني: محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ. وسيأتي رده على النبهاني ـ إن شاء الله ـ.

قال:

١٥٣- ولم ينفرد شذاذُ مذهب أحمد فقد ضل قومٌ من مذاهبنا الأخرى
١٥٤- كمن رد قولي تابعاً إثر جده وأعمامه لكنهم آثروا السِّترا
١٥٥- إلى أن رمى مجنونهم برجيعه على الناس في تأليفه ذلك السِّفرا(١)

أقول:

١٥٦- وطعنك في محمود شكري وجده وأعمامه من أحرزوا السبق والفخرا
١٥٧- وكان بهم ركنُ الشريعة ثابتاً وكانوا لآفاق الهدى الأنجمَ الزُهرا
١٥٨- لزلة مأفون يلطخ وجهه بعذرته إذ لم يجد للهجا عذرا
١٥٩- وفرية أفاك بها بان خزيُه ولكنه في الكبر منتفخ كبرى
١٦٠- فما أنت والشُم الذرى يا ابن استها فهيهات أن تلقى لما قلتَه غفرا
١٦١- تصول كما السِّنور حرك ذيله ولم تدر أن الليثَ قد أنشب الظفرا
١٦٢- وتشتم أهل الفضل والعلم والحِجى فما أنت إلا الكلب قد نبح البدرا
١٦٣- ومن بينهم محمود شكري تخصه بكل مقال منه ساحتُه تَبرى
١٦٤- وترميه بالمجنون جهلاً كما رمى بذا الوصف خيرَ الرسل من عقد الكفرا
١٦٥- وما ضره ذا الوصف فالحق أبلج وربُ الورى زكى له الفعل والنحرا
١٦٦- عداك شبيثٌ والأحص ورحتَ في مهامه خزي أشعث الرأس مُغبرا(٢)

---

(١) يعني: محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ، وكتابه «غاية الأماني..».

(٢) «شبيث» و«الأحص» موضعا ماء، وَرَدَ ذكرهما في قصة حرب البسوس، وذلك أن كليباً أمر قومه أن لا يشربوا منهما، وكان سيِّداً مُطاعاً، فلما تجاوزوهما طعنه «جساس»، فلما وجد طعم الموت قال: اسقني الماء. فقال جساس: «هيهات، تجاوزتَ شبيثاً والأحص». أي: ليس هذا موضع طلب الماء. يُضرب هذا المثَل لمن يطلب شيئاً في غير وقته. (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي: ٢/ ١٥٢).

١٦٧ - فلو كنتَ من نسل اليهود لقلتُ ذا ... عدوٌ مبين يُبغض السادة الغَرا
١٦٨ - ولو كنتَ من نسل النصارى لخلتها ... جراءة موتور غدا يطلب الوَتْرا[1]
١٦٩ - ولكنك المدّاح في الدهر تدعي ... مديحَ رسول الله في نظمك الشعرا
١٧٠ - وتهجوا بنيه حيث في هديه اهتدوا ... ولم يعرفوا زيداً ولم يعرفوا عَمرا
١٧١ - إذا أنت في ذاك المديح مجازف ... فلا تنظمنْ بيتاً ولا تنظمنْ شطرا
١٧٢ - ولا تتمدح أنك اليوم مغرم ... بمدح الذي في حبه نغنم الأجرا
١٧٣ - وماذا يفيد المدح إذا لم تكن على ... طريقة خير الرُسل تتبع الأثرا
١٧٤ - فإن النصارى لم يُفدهم مديحُهم ... لعيسى رسول الله أو أمه العذرا
١٧٥ - وفي حزب أهل الرفض كم من مدائحٍ ... لآل رسول الله تستوجب الفخرا
١٧٦ - فهل نفع المدحُ الذين لهوا به ... إذا لم يكونوا في الهدى سلكوا الأحرى
١٧٧ - وقِدماً لقد ألفتَ شرَّ مؤلف ... تُحيط به اللعنات من كل من يقرا
١٧٨ - نصرتَ به كلَّ ابتداع وفرية ... وللمذهب المهجور تنصره نصرا
١٨٩ - فكنتَ نصير الشرك لا الحق دائباً ... على نشر كُتْب لا تباع ولا تُشرى
١٨٠ - ظننت بأن الدين غاب حماتُه ... وأن الحِمَى من أهله قد غدا صِفرا
١٨١ - ولم تعتقد أنْ ثَمَّ في الحي من يكن ... يذب عن الدين الحنيفي ما يطرا
١٨٢ - فوافتك من محمود شكري صواعقٌ ... تُمزق منك العرض بل تهتك السِّترا
١٨٣ - وردَّك بالبرهان رداً مؤيَّداً ... بنص من القرآن والسنة الغَرا
١٨٤ - أدلة حق أفحمتك نصوصُها ... فأصبحتَ لا حمداً جنيت ولا شكرا
١٨٥ - فأضحى الذي لفقته و جمعته ... هباءً وريحُ الحق تنشره نشرا
١٨٦ - ومذ بلغ السيل الرُبى وتقطعت ... بأقوالك الأسبابُ وانحصرت حصرا
١٨٧ - أخذتَ تبل الريق بالنظم دائباً ... وسميتها للجهل رائيةً صُغرى

---

(١) الوَتر: الثأر.

١٨٨ - وكنتَ كذات النكث من بعد غزلها ... وذا المغزل المشئوم تكسره كسرى (١)

١٨٩ - أو الثور يؤذي العالمين خُواره ... فقبحاً له صوتاً وتَعْساً له ثورا

١٩٠ - وقلتَ وشرُّ القول ما كان خالياً ... من العلم والإنصاف مستجمعاً شرا

١٩١ - ولمتَ لمنع الاستغاثة جَدَّه ... ومن عمه نعمان قد ردت النُكرا

أقـــول:

١٩٢ - لقد هزلت أن بارز الهِرُ ضيغماً ... وأمست بُغاث الطير تستطرد الصقرا (٢)

١٩٣ - فمن أنت يا مخذول حتى ترد ما ... يقول أولو التحقيق بالكذب والإزرا

١٩٤ - ومن أنت حتى تُرى اليوم لائماً ... بحورَ الهدى والعلم هل تعرف البحرا

١٩٥ - وتكبر منك النفس وهي حقيرة ... وتحسب أن الدهر حُلي بك الدهرا

١٩٦ - فجد الفتى محمود شكري أخي النهى ... لعَلامة الأمصار حقاً فسل مصرا (٣)

١٩٧ - وسل عنه أرضَ الفرس والروم تلق في ... محافلها من طيب أخباره نشرا

١٩٨ - وقد طبَّق الدنيا بآثار علمه ... وأضحك بالإفتاء من ديننا الثغرا

١٩٩ - فروح معانيه على ذاك شاهدٌ ... ففي كل بحث منه ما يُبهر الفكرا

٢٠٠ - وشهرته تغني الشهاب عن الثنا ... وأسفاره تكفي عن المدح والإطرا

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩٢].

(٢) الضيغم: الأسد. بغاث الطير: أخبثها، وهي ما لا يصيد ولا يؤكل. وهذا مَثَل يُضرب للئيم يرتفع أمره.

(٣) يثني الناظم على جد محمود شكري الألوسي، وهو: شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي، صاحب تفسير «روح المعاني»، توفي عام ١٢٧٠هـ. طالع ترجمته بتوسع في «المسك الأذفر» (ص٦٤-٨٥)، و«التاج المكلل» لصديق حسن خان (ص٥٠٧-٥٠٩).

٢٠١- ومن عمه نعمان عمّت فضائل فحمداً له حمداً وشكراً له شكرا[(١)]

٢٠٢- فقد عرف الناسُ الهدى بعد جهلهم وأيّد في أقلامه السُنة الغرا

٢٠٣- وأيقظهم من بعد طول سُباتهم وأنقذهم من بدعةٍ تقصم الظهرا

٢٠٤- وذكّر لا يخشى ملامة لائم وللجاهل المحتار قد تنفع الذكرا

٢٠٥- وأرشدهم بعد العَمى لرشادهم فهذا جلا العينين يجلو له الفخرا

٢٠٦- شقائقه هبت بغالية الثنا وآثار تحقيقاته أعيت الحصرا[(٢)]

٢٠٧- لك الويل قد أصبحتَ للعلم تدعي وتسحب بين الناس من عُجبك الأُزرا

٢٠٨- وتُمسي لأهل الحق خصماً مشاغباً وتحسبُ أن قد زدت بين الورى قدرا

٢٠٩- وما ذاك إلا النفس بالجهل سَوَّلت لحاقاً بهم فاخسأ ونِل في الدُنا زجرا

قال:

٢١٠- غدا لفتى تيمية أيَّ ناصر فهلّا استحق المصطفى عنده النصرا

أقول:

٢١١- وما لفتى تيميّة كان ناصراً ومنه الرسول الطُهر لم يحرز النصرا

٢١٢- ولكنها الأهواء قادتك للشَّقا وداءُ الهوى يا ذا السفاهة لا يبرا

٢١٣- فهل كان ذاك الحَبر إلا متابعاً لخير الورى في هديه عقد الأُزرا

---

(١) يثني الناظم على عم محمود شكري الألوسي، وهو خير الدين نعمان بن محمود الألوسي، صاحب كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ـ أي: ابن تيمية وابن حجر الهيتمي ـ، وقد انتصر في كتابه لشيخ الإسلام. توفي عام ١٣١٧هـ. طالع ترجمته بتوسع في «المسك الأذفر» (ص١١٠-١١٦)، و«التاج المكلل» (ص٥٠٩-٥١٢).

(٢) يشير إلى كتابه «شقائق النعمان في رد شقائق ابن سليمان» قال محمود شكري الألوسي: «وهو كتاب جليل، رد به على بعض معاصريه». «المسك الأذفر، ص١١٥». قال المحقق: «وهو رد على رسالة للسيد داود بن سليمان العاني النقشبندي، التي رد بها على عبارة للإمام ابن الثناء الألوسي».

٢١٤- يتابعـــه في نهجـــه وفِعالــــه ويُرخص في إعلاء شرعته العمرا
٢١٥- وكــان لــدين الله خـير محــافظ يذود بمصقول غدا يفلقُ الصخرا
٢١٦- فأسفاره قد بيّنت سُنن الهدى وآثاره أمست لكل الورى عطرا
٢١٧- ولكنـك المفتـونُ ضـل سـبيله وعندك أن النصر أن تنظم الشعرا
٢١٨- ومـا النـصر إلا أن تؤيـدَ دينـه وتكــلأه ممــن يــروم لــه هجـرا
٢١٩- ومـن ذاك إلا نجـل تيميـة الـذي به الله أحيا دارس العلم والذكرى
٢٢٠- فكم خطة يا خَبُّ في الدين أعسرت فبدلها من بعد تحقيقه يُسرى[1]
٢٢١- وكــم مــن عــداة للإلــه ودينــه أراش لهم سَهماً فلم يخطئ النحرا
٢٢٢- فعنه سَل التاتار من فَلَّ جمعَهم وجرد سيفاً أحرز الفتح والنصرا
٢٢٣- وعنـه سَـل التـاريخ ينبيـك أنـه عـلى ذي الـورى لله منتـه الكبرى
٢٢٤- ومحمود شكري لم يعاديك حينما مدحت شفيع المذنبين أبا الزهرا
٢٢٥- ورحتَ لـه بـالنظم والنثر خادما تشرّف في أوصافه النظم والنثرا
٢٢٦- فخدمتُــه فخــرٌ و مجــدٌ مؤثَّــل ولو أتلف المشتاقُ في حبه العُمرا
٢٢٧- ولكـن عـلى تأييـدك البـدع التـي طويت على تأييدها الكَشْح والخصرا[2]
٢٢٨- وإن كنتَ في شك من النَسَب الذي تقول وفيه الشك تحصره حصرا[3]
٢٢٩- فأنــت لــدين الجاهليــة منتمــي تـدين بـما دانـوا وتقفـوا لهـم إثـرا

(١) الخَبُّ: المخادع الغشاش.

(٢) الكَشْح: ما بين الخاصرة والضلوع. ومعنى الأبيات أن الألوسي ـ رحمه الله ـ لم يرد عليك؛ لأنك مدحت النبي ﷺ كما تحاول أن توهم الأغرار، إنما ردَّ على بدعك وشركياتك.

(٣) ردٌّ على تشكيك النبهاني في نسب الألوسي! وهذا من أفعال الجاهلية ـ كما قال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» أخرجه مسلم (٢١٦٠).

٢٣٠- لذاك نراك اليوم بالجهل شاتماً ... منار الهدى والله يرفعه قسرا(١)

٢٣١- وتبغضه إذ لم يكن لك مثله ... وهل يخطب الحسناءَ من فقد المهرا

٢٣٢- فذاك الذي نرجو به الفوز والهدى ... وربط إخاء المسلمين بلا إمرا

٢٣٣- وذاك الذي أضحى إلى الخير داعيا ... و(في دعوة الإرشاد) نبدي له الشكرا(٢)

٢٣٤- فآثاره بانت لبادٍ وحاضرٍ ... وأنواره قد عمت البر والبحرا

٢٣٥- تقوم به للحق همة سيدٍ ... (رشيدٍ) لنهج الحق ترفعه ذكرا

٢٣٦- فيا شرف الإسلام إذ جاء للهدى ... (منارٌ) به يختال رافعه فخرا

٢٣٧- به يُجمع الإسلام بعد شتاته ... وتسمو به الأيام باسمةً ثغرا

٢٣٨- فمت أيها المغبون غيظاً وحرقة ... ونلْ من مساعيك الندامة والوزرا

٢٣٩- أخا حسرات في فؤادك أجَّجت ... زفيراً وفي أحشائك النار والجمرا

٢٤٠- وأختم قولي بالصلاة مُسَلماً ... على المصطفى المختار خير الورى طرا

٢٤١- كذا الآل والأصحاب والسَّلف الألى ... لنشر الهدى قد جردوا البيض والسُّمرا(٣)

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) يشير إلى شتمه لمجلة «المنار» وصاحبها محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ.

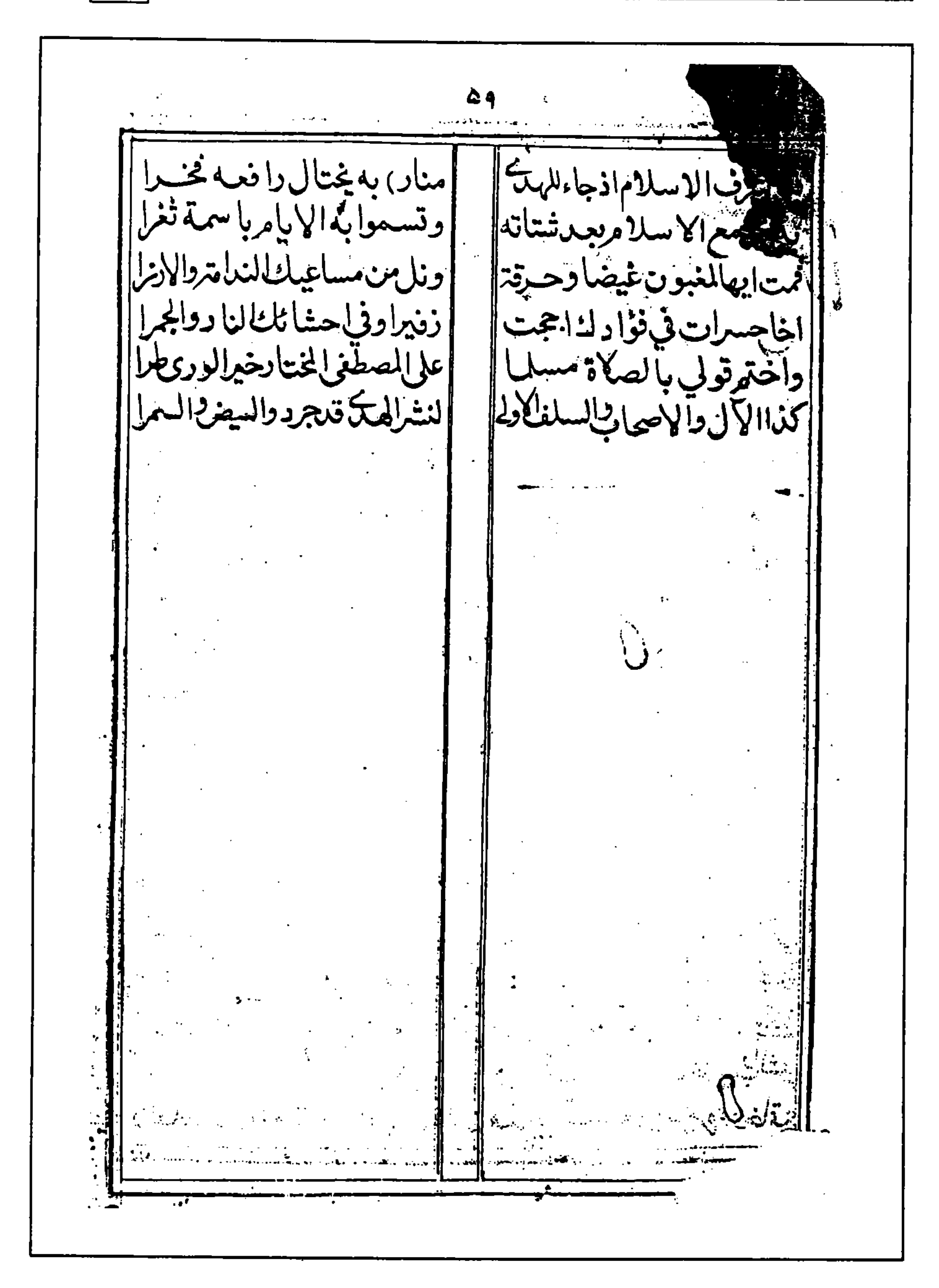
(٢) يشير إلى إنشاء رشيد رضا لمدرسة «دار الدعوة والإرشاد» عام ١٣٣٠هـ، التي تخرَّج منها ثلة من دعاة السلفية بمصر. (انظر: محمد رشيد رضا ـ طود وإصلاح..، للدكتور خالد فوزي، ص٢٣-٢٤).

(٣) البيض: السيوف. السُمر: الرماح.

الحمد لله الذى اصطفى من عباده انصاراً وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خذلهم سراً وجهاراً ورزق باسنة سنة فخرا هل وداه جموع الابتداع فحازت
ذلاً وانكساراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرع به النوع الانساني
وكان منه مختاراً فاصبح من لم يسر على ضوء مشكاة هداه في فهمه محتاراً وعلى آله
واصحابه الذين جردوا لاعلاء كلمة الحق سيوف عزم لم تبق على الارض من الكافرين
دياراً اما بعد فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التى تشدق بها
يوسف النبهاني وملأ ما ضغيه بها فخراً وظن انه قد اوتي قرطي مارية او فاز بمنقبة
ياسارية واستسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم وراح في ائمة الهدى طاعنا ولمن
تبعهم لاعنا قد ضمخها بعذرة الفشر والزور ولطخها بحماة الكذب والفجور وكان
القول الاحق ان نمسك القلم عن هذا الاحمق لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح
الصخر معدودا من الذهب اذ لا جواب له غير السكوت لانه بنى بيتا اوهن من
بيت العنكبوت وحيث ان عدم الرد عليه ربما يعده عجزا ويظن انه ممثل من
عز بزا فلذلك اجريت اليراع في رد هذا الجاهل وان كنت في شغل شاغل
فقلت وبالله المستعان وعليه التكلان

اجلت بطرفي نحو رائية صغرى ... فاصغرتها مذ ضمت الزور والوزرا

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ علي بن سليمان بن يوسف ـ رحمه الله ـ


٥٩

...رف الاسلام اذ جاء للهدى	منار به يختال رافعه فخرا
ي...مع الاسلام بعد شتاته	وتسموا به الايام باسمة ثغرا
فمت ايها المغبون غيضا وحرقة	ونل من مساعيك الندامة والازرا
اخا حسرات في فؤادك اججت	زفيرا وفي احشائك النار والجمرا
واختم قولي بالصلاة مسلما	على المصطفى المختار خير الورى طرا
كذا الآل والاصحاب والسلف الاولى	لنشر الهدى قد جردوا السيف والسمرا

صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ علي بن سليمان بن يوسف ـ رحمه الله ـ



(٢)

منظومة

الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى

ـ رحمه الله ـ

(ت ١٣٤٣هـ)



ترجمته[1]:

هو الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن حمد بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية، وعطية هو أب بطن كبير من بني زيد من جذم قضاعة.

وأما قضاعة فهو ابن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقضاعة شعب قحطاني. وأكثر الناس يلحقون قبيلة بني زيد بقضاعة، وبنو زيد يقرونهم على هذه النسبة، والناس أمناء على أنسابهم.

فالمترجَم من ـ آل عبدالله ـ عشيرة من آل عيسى، الذين هم فخذ من بني عطية، وهم بطن كبير في بني زيد القبيلة القضاعية القحطانية.

ويجتمع بالشيخ ـ علي بن عبدالله ـ بجدهما ـ حمد بن عبدالله ـ الذي له ابنان؛ أحدهما محمد، وذريته يقال لهم ـ آل محمد ـ، ومنهم الشيخ علي قاضي شقراء أربعين سنة، والشيخ أحمد بن إبراهيم قاضي بلد المجمعة، فهذان الشيخان من آل محمد، والمترجم من آل عبدالرحمن.

وهذا النسب من أوله من مذكرات عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، وعن غيره من نسابي نجد، وفي آخره من جمهرة ابن الكلبي وجمهرة ابن حزم.

---

(١) نقلاً عن: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ (١/ ٣١٨ - ٣٣١) وترجمة الشيخ إبراهيم معلومة مشهورة، من أوسعها وأفضلها وأدقها وأغزرها بالوثائق: ما كتبه عنه الأخ الكريم عبدالله البسيمي ـ وفقه الله ـ في رسالته «العلماء والكتاب في أشيقر» (٢/ ٣٠٩-٣٥٩).

نسبه من الأم:

أما نسبه من قبل الأم، فأخواله آل فريح من تميم من العناقر؛ لأن والدته منيرة بنت عبدالله بن راشد بن عبدالله الفريح، وقد ذكر في تاريخه وفاتها في ضحى يوم الاثنين سبعة عشر محرم عام ١٣١٤هـ في أشيقر.

وآل فريح الذين منهم والدته هم من العناقر من بني سعد بن تميم.

كما ذكر في بعض مجاميعه التاريخية أن والده توفي في أشيقر ضحوة السبت خامس شعبان عام ١٣٢٢هـ، وصُلِّي عليه بعد الظهر.

وعلى هذا وُلد المترجَم في بلد أخواله أشيقر في اليوم التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٢٧٠هـ، ونشأ نشأة صالحة من العفة والقناعة والصلاح والبعد عن المظاهر، فتعلَّم مبادئ الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم أخذ في طلب العلم وأكب عليه، ورحل إلى البلدان البعيدة والقريبة من أجله، فأول رحلة قام بها للعلم إلى المجمعة عاصمة سدير، ثم رحل إلى مدينة عنيزة للأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الزبير وكان آهلاً بعلماء الحنابلة فأخذ عنهم، ثم تجول في بلدان العراق، ثم سافر إلى الهند، وليس له غرض من هذه الرحلات إلَّا العلم ومجالسة العلماء، والبحث معهم، واقتناص الأخبار التاريخية والفوائد الأدبية، حتى أدرك في العلوم الشرعية والعربية والتاريخية والأدبية إدراكاً تامًّا، لاسيما في الأدب والتاريخ القديم والحديث، فقد عُدَّ من مراجعه والمعتمد عليه فيه.

وقال عن نفسه: وفي سنة ١٣١١هـ حججت حجة الإسلام، وقضيت فيها مناسك الحج في صحة وعافية، فللَّه الحمد، وكذلك حج الناس في

هذه السنة وقضوا مناسكهم في صحة وعافية.

وكان كريم النفس، جم التواضع، حسن العشرة، لطيف الروح، أنيس الجليس لهذه الأخلاق العالية، ولما يحفظه ويحسن إيراده من النوادر الأدبية والتحف التاريخية.

وهكذا صارت له محبة في القلوب، وحسُن ذكره على الألسن، وثقة في النفوس، حتى إن الملك عبدالعزيز رحمه الله أمره أن يؤرخ لنجد حيث وقف قلم عثمان بن بشر، فلبى رغبته بتاريخه الذي تختلف نسخه اختصاراً وبسطاً، تبعاً لاختلاف نسخ المؤلف، فإنه يزيد وينقص.

واستمع إليه يحدثنا عن سبب تأليفه لتاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر، وقد ذكر ذلك في أول رسالة له إلى بعض أصحابه فقال: ويمكن أنه بلغكم أن الإمام المكرم عبدالعزيز أعزه الله بطاعته طلب منا كتابة ذيل على تاريخ ابن بشر، والإمام أطال الله عمره ليس له معرفة بحالي، وصار طريقه على أشيقر في العام الماضي، وظهر له كبار الجماعة للسلام عليه، وأنا ما ظهرت معهم؛ لأن الإمام لا يعرفني، وأنا ما لي دخل في أمر الجماعة وإلَّا فالإمام وفقه الله لكل خير يعطي طلبة العلم عطاء جزيلاً وأفعاله جميلة، فدخل الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ البلد وقال: إن الإمام حيث ذكر أنك تؤرخ حوادث نجد، ويلزمك مواجهته لتعرض عليه الذي عندك من التاريخ، وظهرت أنا والشيخ محمد، وعرضت على الإمام الوريقات التي كتبتها، وقال: بودي أنك تبسط ذلك، وتستقصي جميع الحوادث، وإذا حصل منك ذلك؛ فإن شاء الله أعطيك عطية جزيلة، ولا أرفع النظر عنك، فشرعت في تبييض ذلك.

مشايخه:

١- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قاضي المجمعة قرأ عليه فيها في التوحيد والفقه، وقد أجازه في رواية الكتب الأمهات الست وغيرها من كتب العلم.

٢- الشيخ صالح بن حمد المبيض قاضي الزبير. قرأ عليه في الزبير.

٣- الشيخ عيسى بن عكاس قاضي بلد الأحساء. قرأ عليه في الفقه والفرائض والنحو وعروض الشعر.

٤- الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى قاضي شقراء. قرأ عليه فيها الفقه والفرائض.

.. وغير هؤلاء كثير ممن جالسهم واستفاد منهم، فقد سافر إلى العراق والهند وأخذ عن علماء تلك البلاد، ثم عاد إلى بلده أشيقر وقد توسعت مداركه، وكثرت علومه، وتعددت فنونه.

وقد أثنى عليه أخص تلاميذه: الشيخ سليمان الصالح البسام فقال عنه:

«الشيخ الفاضل إبراهيم بن صالح بن عيسى، كان عالماً فاضلاً، له في كل علم باع طويل، سواء كانت شرعية أو لغوية أو تاريخية، أو ما يصل بالأنساب، أو غير ذلك من المعارف، فقد تجول في كثير من البلاد للأخذ عن علمائها». اهـ.

والمترجَم بحاثة لا يمل ولا يضجر من طلب العلم، وأخذه عن أهله، وعني العناية التامة بتاريخ نجد وأنساب أهلها، وأخبارهم، وأخبار بلدانهم، مما جعله مرجعاً في ذلك لأكابر العلماء، فصاروا يراسلونه

ويسألونه عما أشكل عليهم في ذلك.

فهذا الشيخ العلامة إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ يبعث إليه بهذه الرسالة فيقول فيها:

من إبراهيم بن عبداللطيف إلى الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى - بعد الديباجة - أخي من طرف سبل آل مبدد جاءنا خط من الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن ذكر فيه أننا نستعرض أوراقهم، وإن كان آل يحيى أقرب من ينتسب لهم اليوم، وعرض علينا ابن يحيى ورقتين، فالمأمول من إحسانك أخي إن كان عندك معرفة في نسبهم فوضحه لنا.

وقد مدح المترجَمُ العلامةَ الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ بقصيدة، فأجابه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف على عادته في مراسلة العلماء والتلطف معهم برسالة كريمة وقصيدة من نظم الشيخ سليمان بن سحمان جاء فيها:

«من عبدالله بن عبداللطيف إلى جناب المكرم الأخ اللبيب والفاضل الأديب الأريب المحب: إبراهيم بن صالح بن عيسى سلَّمه الله - بعد ديباجة بليغة - قال الشيخ عبدالله:

وما ذكرت صار معلوماً، خصوصاً ما في الكتاب من تحفتك باللآلئ المنظومة، فسرني ما فيها من ائتلاف الكلم، ومتانة الصياغة، وحسن الفصاحة، والوزن المتين، وقد أجابك عنها الأخ سليمان بن سحمان جعلكما الله من أنصار السنَّة.

أهاجك رسمٌ بالديار الدوائر ... ببرقة فالوعسا فأكناف حاجر

ديارُ فتاة كالمهاة لحاظُها ... أحدُّ من البيض المواضي البواتر

لئن أصبحت قد حازت الحسن دأبها | لقد حاز إبراهيم جم المآثر
فأبدى بديعاً من عويص قريضه | تشام المعاني المحكمات لناظر
معاني مبانيه الطوامح في العلا | لآلئ أصداف البحور الزواخر
فيا أيها الأخ الأكيد إخاؤه | تمسك بأصل الدين سامي الشعائر
وكن باذلاً للجد في طلب الهدى | من العلم إن العلم خير الذخائر
وما العلم إلَّا الاتباع وضده | فذاك ابتداع من عضال الكبائر

... إلى آخر القصيدة التي مضى يحض فيها على التمسك بالعقيدة الصحيحة، وترك آراء الرجال التي لا تستند إلى دليل، والبعد عن الشرك والابتداع.

وهذه رسالة له من العلاَّمة عبدالله بن خلف الكويتي، مؤرخة في ٨/ ١١/ ١٣٤٢هـ، جاء فيها:

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء سيدي شيخنا إبراهيم بن صالح بن عيسى ـ وبعد ديباجة كلها ثناء ودعاء ـ قال له: وذكرت أدام الله لك الذكر الجميل أنك اتخذت عنيزة دار إقامة، أحسن الله لك العاقبة بلا ندامة، وإنها لنعم الدار، وإن جوار أهلها لمن أحسن الجوار، بارَكَ الله لك في منزلها، وقرَّت عيناك بملاحظة أهلها، فلك الهناء بقوم يُكرمون ولا يمكرون، ويُحسنون ولا يُحزنون، ويُسرون ولا يسيئون، كان الله لك ولهم، وأحسن إليك وإليهم.

وإني أعزيك دامت معاليك بوفاة أخيك علامة العراق وبدر تلك الآفاق، السيد محمود شكري الآلوسي، فقد توفي في أربعة شوال هذه السنة على إثر مرض ذات الجنب، أصابه في منتصف رمضان، وارتجت

بغداد لموته، واجتمع في جنازته عالم كثير من أهل السنة ومن الشيعة، وفيهم العلماء والكبراء والوزراء، ودفن في مقبرة الجنيد بعيدة عن البلد ساعة، رحمه الله رحمة الأبرار وأحسن عزاك، وأمتع بك العلم والعلماء... إلى آخر الرسالة التي كلها ثناء وتبجيل وتقدير.

وأرسل إليه الشيخ الفقيه علي بن عبدالله بن عيسى يقول:

من علي بن عبدالله بن عيسى إلى المكرم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ـ بعد الديباجة ـ:

المرجو تخبرنا عن هذين البيتين، وتعربهما لنا وتضبطهما بالشكل، لأجل قد حصل لنا في معناهما بعض الإشكال:

فلا آض برق من منازله فما ... تخيرت أني في علاه أسير
لك الله ما في القلب غيرك ساكن ... وليس لطرفي من سواك نظير

تلاميذه:

كان لا يمل التدريس والبحث، وكان يدرس طلاب العلم في بلدة أشيقر، فكان في أول النهار يدرس لهم في جامع البلد، وفي آخره في مسجدها الجنوبي، وكذلك درس في بلدة عنيزة، وفي هاتين البلدتين أدرك على يديه علماء، فمن تلاميذه البارزين:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر رئيس محكمة التمييز في المنطقة الغربية للبلاد السعودية، وبين الشيخ وتلميذه مكاتبات كثيرة أغلبها يتعلق بالبحث عن علماء نجد وعلماء أشيقر بالذات.

٢- الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة.

٣- الشيخ محمد بن علي البيز رئيس محاكم منطقة الطائف.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي صاحب المؤلفات المشهورة.

٥- الشيخ سليمان بن صالح بن حمد آل بسام، وهو أخص أصحابه به وأحبهم إليه، وله منه إجازة مطولة.

٦- الشيخ محمد بن عبدالعزيز السناني.

٧- الشيخ عمر بن محمد بن فنتوخ.

٨- الشيخ عبدالله بن حمد الدوسري.

٩- الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان الكويتي.

١٠- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن موسى المغيري من أهل أشيقر، وهو من كبار العلماء.

وقد أخذ عنه كثيرٌ غير هؤلاء ممن لا تحضرني أسماؤهم.

مؤلفاته وشعره وآثاره:

لا أعرف أحداً من علماء نجد خدم تاريخ نجد مثله، وتعب في تقييد أخباره، وتسجيل حوادثه وضبط أنسابه، حتى عد ـ بلا مراء ـ مرجعاً فيه، وإني أنا كاتب هذه الأسطر قد عولت عليه في كثير من أخبار وتراجم وأنساب هذا الكتاب الذي أكتبه الآن، وعلماء نجد الكبار يكتبون إليه ويستفيدون منه في ذلك، وقد رأيت كتباً من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ محمد بن عوجان والشيخ عبدالله بن خلف والشيخ عبدالله بن جاسر والشيخ محمد بن علي البيز، والشيخ عبدالرحمن الناصر آل سعدي وغيرهم يسألونه عن الأنساب والتراجم والأخبار، وأجد بعض أجوبته لهم مسودة على ما كتبوه إليه.

من مؤلفاتــه:

١- تاريخ نجد سماه «عقد الدرر» جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر، وقد ألفه بأمر الإمام عبدالعزيز آل سعود، وقد طبع مراراً، وانتهى المطبوع منه إلى عام ١٣٠٣هـ.

٢- تاريخ لنجد يبتدئ من عام ١٣٠٣هـ إلى ١٣٣٩هـ، وآخر خبر فيه وفاة الشيخ عبدالعزيز النمر، ويُعتبر مكملاً للتاريخ الذي قبله، وهو لا يزال مخطوطاً بخط المؤلف.

٣- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، يبتدئ من عام ٨٢٠هـ إلى عام ١٣٤٠هـ، إلَّا أنه نبذ تاريخية غير متوالية، وقد طبع في دار اليمامة.

٤- نبذة عن بلاد العرب، ويظهر أنها ملخصة من معجم البلدان.

٥- نبذة عن تاريخ أشراف مكة المكرمة، وقد صرح بأنها ملخصة من كتاب زيني دحلان «أمراء البلد الحرام».

٦- نبذة عن أيام العرب، ملخصة عن عدة مراجع.

٧- مجاميع كثيرة تقع بأحجام صغيرة يقيد فيها ما يراه أو يسمعه أو يقرأه من الفوائد؛ في التاريخ والأنساب والآداب والعلوم، وأغلب نقله في النسب والتاريخ، وهذه المجاميع مفرقة عند الناس، لو جُمعت ولُخِّصت ورُتِّبَت لحصل منها علم غزير في تاريخ وأنساب أهل نجد، لكنها مفرَّقة ومضنون بها عند أهلها.

٨- جزء متوسط في أنساب العرب القحطانيين والعدنانيين.

أما شعره فقد اطلعت على كثير من قصائده، وفيها قوة وجودة،

فليست من نوع شعر العلماء الذي ليس فيه الحلاوة الشعرية، وإنما هو من شعر أهل الأدب في جزالته وقوته وسلاسته، في مناسبات؛ إما رثاء عالم أو مدح كبير أو عتب صديق، ولو جُمعت لجاءت ديواناً متوسطاً.

٩- نظم مطول ردَّ به على يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد انتهى منه في رابع عشر ذي الحجة ١٣٣٢هـ، ويقع في نحو مئتي بيت، ومطلع النظم[1]:

لك الحمد يا من يعلم السِّر والجهرا ... لك الحمد في السراء مني وفي الضرا

ومنها في مدح علماء الدعوة:

هم الأنجم الزاهرة الذين بعلمهم ... غدا ثغر هذا الدين بالبشر مفترا
هم الأمة الناجون والفرقة التي ... تمسك بالحق المبين على الضرا

نوادره وملحه:

يروي تلميذه وصديقه الشيخ سليمان بن صالح آل بسام الكثير من هذه الملح والطرائف، ولكن يضيق بنا المجال عن إيراد شيء منها، وعسى الله أن يسهل لي أن أجمع ما عندي له من القصائد والفوائد، وأضيف إليها هذه التحف والنوادر في جزء خاص بها، فإنها من أدبنا الحي الجيد.

---

(١) سيأتي كاملاً ـ إن شاء الله ـ.

أعمالــه:

لمَّا تولّى الأمير محمد بن رشيد على القصيم عام ١٣٠٨هـ، كتب أعيان أهل عنيزة إليه أن يعين فيهم المترجَم قاضياً ومدرِّساً وخطيباً في بلادهم، فكتب إليه ابن رشيد فامتنع.

قال لي تلميذه الشيخ عبدالله بن جاسر: أطلعني المترجَم على خطاب أعيان مدينة عنيزة في طلبهم إياه للقضاء ـ وفيه أختام كثيرة من أعيانهم ـ ولكنه امتنع ورفض ذلك حبًّا في السلامة، وابتعاداً عن الشهرة. وظل دائباً في التدريس والتعليم وتحقيق التاريخ والنسب في نجد حتى توفاه الله.

وكذلك لمَّا عُزل الشيخ عبدالله بن عائض عن قضاء عنيزة عام ١٣١٨هـ، عرض أهل عنيزة على المترجَم القضاء فامتنع.

وفاتــه:

كان المترجَم يتردَّد على عنيزة، ويقيم فيها المدة الطويلة، وله فيها أصحاب وأحباب، يأنس بهم ويأنسون به، ويجلونه، ويعرفون قدره وفضله، وفي آخر سني حياته استوطن عنيزة، ورحل إليها بأهله وأولاده، وسكنها حتى توفي فيها.

قال تلميذه وصاحبه الشيخ سليمان الصالح البسام: توفي ضحى يوم السبت الثامن من شهر شوال عام ١٣٤٣هـ، وصُلِّي عليه بعد صلاة العصر في جامع عنيزة، وقد حضر الصلاة عليه وتشييع جنازته جم غفير من الأعيان والعامة، وتأسَّفوا عليه، وكَبُرَت عليهم مصيبته.

وله من الأبناء: عبدالعزيز، وعبدالرحمن، ولهما أولاد. رحمه الله تعالى، آمين.

وقد رثاه الأديب أحمد بن صالح البسام:

مصير بني الدنيا إلى منزلٍ خالي ... بصحراءَ تبدي دارس الطلل البالي

بصحراء تدعو دارس العمر إذ دعت ... لها الحَبر إبراهيم في عشر شوال

ترحل مأسوفاً عليه وسعيه ... سيبقى حميداً في قرون وأجيال

همامٌ قضى الأيام بالسعي نابذاً ... سفاسفَ أقوال مجداً بأعمال

همامٌ قضى الأيام في الدرس ساعياً ... لتحصيل علم لا لتحصيل أموال

تلقى فنون العلم مذ كان يافعاً ... صبيًّا وكهلاً في نشاطٍ وإقبال

فخاض عباب البحر للعلم طالباً ... كذا البيد يطوي في وخيد وإرقال

فهنداً أتى ثم الحجاز وجلقاً ... وسار إلى أرض العراق لإكمال

وكر إلى نجد يبثُ علومَه ... على مَجْمع الطلاب يلقي لأمثال

فذا شيخنا حَبر الورى جل في الورى ... بأخلاقِه المثلى له الله من عالي

* * *

المنظومـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله معلي الحق ومعلنه، وموهي الباطل وموهنه، أحمده سبحانه الذي هدانا للإسلام، وجنبنا طرايق أهل الشرك والبدع والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له ولا وزير ولا ظهير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير إلى ربه، المعترف بتقصيره وذنبه، إبراهيم ابن صالح بن عيسى: إني وقفتُ على القسم الخامس من القصيدة المسماة بالرائية الصغرى، لرافع راية الحزب الشيطاني، الضال المضل الملحد يوسف بن إسماعيل النبهاني، فوجدتها ركيكة المعاني، واهية المباني، ناصرةً للشرك والمشركين، ومؤيدةً لمذهب الاتحادية الملحدين، وقد أكثر فيها من الهَمْط والهذيان، والضلالات والطغيان، والسب والتضليل لأهل الإسلام والإيمان، واستحباب دعاء الصالحين والاستغاثة بهم في كل وقت وحين، وقد استعنتُ الله تعالى على ردِّ شبهه ونقض ما لبَّسَ به من حججه، واللهَ أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١- لك الحمدُ يا مَن يعلم السِّر والجهرا ... لك الحمدُ في السراء مني وفي الضرا

٢- لك الحمدُ يا مولاي والشكر والثنا ... على نِعَمٍ لا نستطيع لها حصرا

٣- لك الحمدُ كلَّ الحمد أنت هديتنا ... إلى الملة البيضاء والسنة الغَرا

٤- وجنبتنا منًّا وفضلاً ورحمة ... طرايقَ أهل الشرك والبدع الكبرى

٥- كفَدْم بني نبهان يوسف من غدا ... يُحَرر في تقسيمه النثر والشعرا[(١)]

٦- فألفَ سِفراً من شواهد باطل ... وضَمَّنه كفراً فأَقْبِح به سِفرْا

٧- ومن بعده أبدى العنيد قصيدة ... دعاها حليف اللؤم رائية صغرى

٨- فتبًّا لها بُعْداً لها ما أضَلَّهَا ... وسُحقاً لها إذ تنصر الشرك والكفرا

٩- وتطعن في الدين الحنيفيّ جُهْدَهَا ... وتثلب أهليه وتشتمهم جهرا

١٠- وأترع بالسب والمَيْن والخنا ... وبهت خيار الناس أرشدهم أمرا[(٢)]

١١- وحاصلها ذمٌّ لكل موحّد ... وَبُغْضٌ لأهل الحق أجمعهم طُرا

١٢- فأقبح به شعراً هجينا ملفَّقَا ... بدى من أشر الناس أعظمهم وزرا

١٣- فيا جهلاً بالله ثم رسوله ... وبالدين يا من كان قد أشبه الثورا

١٤- هُبِلْتَ تظن الآن أنك مسلم ... وفي حُبِّ خير الخلق منفقاً العمرا

١٥- وأنت بدين الجاهلية دائن ... فتدعو مع الرحمن آلهة أخرى

١٦- وترهبهم طوراً وترغب تارة ... إليهم ليَحْبوا الخير أو يكشفوا الضرا

١٧- وتعبد خير الرسل في الدين غالياً ... غلوّ النصارى في ابن مريم بالإطرا

١٨- وتحسب أن الدين هذا لك الرّدى ... تَعِسْتَ وهذا من سفاهتك الكبرى

---

(١) الفَدْم: ثقيل الفهم.

(٢) المين: الكذب.

١٩- فأنت ببحر الجهل والشرك غارق وقد ضل سعيٌ منك إذ تعمل الشرا

٢٠- ولم تدرِ حقًّا ما عبادة عابدي سُواع وودّ وَالأُلى عبدوا نَسرا

٢١- عِبَادتُهُمْ أَوْثَانَهُمْ بدعائها وخشيتهم منها وجَعْلٍ لها النذرا

٢٢- وذبحٍ لها والاستغاثة والرجا وعوذٍ بها في الكرب إذ رهبوا الضيرا

٢٣- لتشفع عند الله رَبِّهِم لَهُمْ وتدنيهمو عند الذي يُنْزِلُ القطرا

٢٤- ولم يزعموا لمّا دعوها بأنّها تدبّر دون الله خلقاً ولا أمرا

٢٥- كما في تفاسير الأئمة قد أتى وفي سيرة الهادي دراه الذي يقرا

٢٦- ومن جهلك الطامي المشوب وقاحة مقالك في الأخيار إذ تنشد الشعرا

٢٧- (وأعجب شيء مُسْلِمٌ في حسابه غدى قلبه من حب خير الورى صفرا

٢٨- أولئك وهابية ضل سعيهم فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا)

٢٩- كَذَبْتَ وكان الكذب منك سجية وأنت بما قد قلته فيهمو أحرى

٣٠- لأنَّهُمو قَدْ أَسْلَمُوا لإلهِهِمْ فلم يُشركوا شيئاً بمن دبّر الأمرا

٣١- وكان رسول الله صلّى إلهُنَا عليه أحبّ الخلق عندهمو طُرا

٣٢- أولئك وهابيّة كان سعيُهم لدى الله مشكوراً وبالحقّ هم أدرا

٣٣- هم الأنجم الزهر الذين بعلمهم غدى ثغر هذا الدين بالبشر مفترا

٣٤- هم الأمة الناجون والفرقة التي تمسّك بالحقّ المبين على الضَرا

٣٥- هداة أولوا علم وحلم وحكمة كرام المساعي أحرزوا المجد والفخرا

٣٦- وما قلته فيهم من الزور والخنا فليس يضر الأسد كلبٌ إذا هرّا[1]

٣٧- وأنتم لفرط الجهل منكم ظننتمو الضلال هدىً والخير كان هو الشرا

---

(١) يقال: هرَّ الكلب إذا نبح، وكشر عن أنيابه.

٣٨- جعلتم رسولَ الله ندًّا لربِّكم   وصالح خلق الله آلهة أخرى
٣٩- تخافونهم ترجونهم وجعلتمو   لهم ذلك القربان والذبح والنذرا
٤٠- كعبّاد وُدّ إذ غلوا ويغوثهم   وعُبّاد نَسْرٍ حذوك النعل بالأخرى
٤١- غلوا فيهمو من عظم حبّهم لهم   غلوّكم في أفضل الخلق بالإطرا
٤٢- فَمن يا عبادَ الله أولى بأحمدٍ   وملته البيضا وسنته الكبرى
٤٣- أولئكمو أَمْ نحن أتباع دينه   أطعناه لا نعصي له أبداً أمرا
٤٤- فلو كنتمو حقاً تحبّون أحمداً   يقيناً لسرتم في محجته سيرا
٤٥- فلم توجدوا قالين دين نبيّكم   ولم نلفكم ورا من عبدوا نسرا[1]
٤٦- فآلَيْتُ بالله العظيم لأصبحت   قلوبكم من دين خير الورى صفرا
٤٧- وأنكمو أعدا عَدُوّ نبيّنا   وأبغض عند الله من سكن الغَبرا
٤٨- وقولك يا مغرور فيما نظمته   وأبرزته يلهو به كل من يقرا
٤٩- (ضعاف النّهى أعراب نجد جدودهم   وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
٥٠- مسيلمة الجدّ الكبير وعرسه   سجاح لكل منهم الجدّة الكبرى)
٥١- بفيك الحصى يا فَدْم ويحك فاتّئد   فأنت بهذا السب يا ابن الخنا أحرى
٥٢- كرامُ المساعي أهل نجد جدودهم   هم السادة الأمجاد من قد سموا قدرا
٥٣- هم العرب العربا الذين قد امتطوا   سنام العُلا واستوطنوا القطب والنسرا
٥٤- أجلّ رسول منهمو ولسانهم   به نزل القرآن أعظم به فخرا
٥٥- بسُمر العوالي جاهدوا كل مشرك   وبالبيض حتى بدّدوا الشرك والكفرا[2]

---

(١) قالين: أي مُبغضين.
(٢) السُمر: الرماح. البيض: السيوف.

٥٦- وقد فتحوا شرق البلاد وغربها ... وفلّوا جموع الروم بل دوّخوا كسرى

٥٧- وقد سَلبوا التيجان هام ملوكهم ... فأكرم بقوم أحرزوا الفخر والأجرا

٥٨- فتلك سجايا من هجوتَ لك الردى ... وفخرك يا مخذول في نصرك الشرا

٥٩- مسيلمة الكذاب ليس بجدّهم ... فدع عنك قول الزور واجتنب الإمرا

٦٠- فليس له نسلٌ ولا لسجاحهم ... كما هو معلوم لدى كل من يَقرا

٦١- ومَالكَ وَالأنساب يا أجهل الورى ... فدعها لمن قد كان منك بها أدرى

٦٢- وهل أنت إلا جاهل ومذبذب ... وجلفٌ بليد أحمق معجب مُغرا

٦٣- وقولك بالمختار لم يتوسّلوا ... نعم قد قفونا من صحابته أثرا

٦٤- لأنهموا ما بالنبي توسّلوا ... لكون رسول الله قد سكن القَبرا

٦٥- ولكن بعباسٍ أبي الفضل عمّه ... توسلهم في الجدْب حتى سُقوا القَطرا

٦٦- أكان الكرام الصحب يا فَدْم قصَّروا ... بحق نبي الله فاكشف لنا الأمرا

٦٧- وقال عدوُ الله مَن بان خزيه ... دعيُ بني نبهان من أشبه الثورا

٦٨- (أشار رسول الله للشرق ذمه ... وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا)

٦٩- لعمري لقد أخطأتَ شاكلة الهدى ... وأبديتَ زوراً أيها الأحمق المُغرى

٧٠- فما نجدنا يا خَبُّ شرقاً لطيبة ... فحسبُك جهلاً ما هذوت به فَشْرا

٧١- ولكنه نجدُ العراق حقيقة ... كما ذكر الأعلام مَن حققوا الأمرا

٧٢- فمنه بدت تلك الشرور وأُشعلت ... لظى الحرب والأهوال والفتن الكبرى[1]

٧٣- أما فعلوا الأمرَ الفظيع وأفرطوا ... أما هتكوا سِتراً لطيبتنا الغَرا

---

(١) سيورد الناظم فتناً وقعت من أهل العراق، تؤكد أن بلادهم هي المعنية في حديث رسول الله ﷺ. ومن تلك الفتن: مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ ببلادهم، ورمي الكعبة بالمنجنيق، ثم قتل عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ، وقتل زيد بن علي ـ رحمه الله ـ.

٧٤- أمـا قتلـوا سِـبط الرسـول وآلـه ... أما أخذوا الآل الميامين كـالأسرى

٧٥- إلى الـشام سـاقوهم أذلاء ضِـلة ... حيارى على الأقتاب في حالة نكرى[١]

٧٦- أما أحرقوا البيتَ الحرام وألحدوا ... بمكـة حتـى أبـدلوا أمنهـا ذعـرا

٧٧- أمـا صَـلبوا نجـلَ الـزبير مُنكَـساً ... امـا قتلـوا زيـداً وأتباعـه جهـرا

٧٨- فهل كان في نجدٍ لـك الويـل فانتبه ... كهذي الدواهي قُل وأوضح لنا الأمرا

٧٩- وقولـك يـا دجَّـال فـيما افتريتـه ... مقالاً هجينا من هجين أتى هُجْرا

٨٠- (فكـم طعنـوا بالأشـعري إمامنـا ... وبالماتريدي الحَبر أكرم بـه حبرا)

٨١- كـذبتَ فلـيس الأشـعري إمـامَكم ... فقـد نـصَر الحق المبين وقـد كـرَّا

٨٢- وقال اشهدوا أني على نهج أحمدٍ ... إمام الهـدى والـدين أكـرم بـه حَـبرا

٨٣- وبـيَّن حقًّـا مـا تجـلى لديـه في ... إبانته الكبرى وقد أوضح الأمرا[٢]

٨٤- إمـامكم الـشيطان فالجَعْـد فالـذي ... يُكَنَّـى أباجهـل يـسمونه عَمْـرا[٣]

٨٥- وقولـك يـا أفـاك يـا أكـذب الـورى ... ومـن أيـد الإشراك بـالله والكفـرا

٨٦- (ويعتقــدون الأنبيــاء كغــيرهم ... سواء عقيب الموت لا خير لا شرا)

---

(١) الأقتاب: جمع قَتَب، وهو الرَّحل الصغير يوضع على سنام البعير.

(٢) يشير الناظم إلى رجوع أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ عن بدعته، وتأليفه كتاب «الإبانة» مشيراً في مقدمته أنه على مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وأهل السنة.
قال في مقدمة كتابه «الإبانة» (ص٢٠ تحقيق د. فوقية محمود): «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبوعبدالله، أحمد بن حنبل، نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون... إلخ».

(٣) الجعد؛ هو ابن درهم، أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى تكليماً، قتله الأمير خالد القسري يوم عيد الأضحى ـ كما سيأتي في منظومة المرزوقي، إن شاء الله.

٨٧- لعمري لقد أخطأت يا فاقد الحجى فحسبك لا عُرفاً عرفت ولا نُكرا

٨٨- نقول بأن الأنبياء جميعهم أحبّاء رب العرش أعلا لهم قدرا

٨٩- ولكن عقيب الموت لا نفع عندهم بل النفع عند الله مَنْ ملك الأمرا

٩٠- وقولك يا من خالف الحق والهدى وفاه بما يستوجب الإثم والخسرا

٩١- (وما جوّزوا للمسلمين رحيلهم لزَورة خير الخلق في طيبة الغرا)

٩٢- نعم لا نشدّ الرحل إلا لمسجد كما جاء يا مخذول في السنة الغَرا

٩٣- ونحنُ فلم ننكر زيارة قاصد لمسجده الأسنى لمن طلب الأجرا

٩٤- ومن بعد أن صلى يزور محمداً نبي الهدى خير الأنام أبا الزهرا

٩٥- (وقولك أنتم مشركون بقصركم على جهةٍ للعلو خالقنا قصْرا)

٩٦- مقال امرئ أعمى الإله فؤاده عن الحق والأذنان أُفْعِمَتا وقرا

٩٧- تكاد له والله تنفطر السما وتنهدّ أجبال رواسٍ له خراً

٩٨- وقولك هذا قولُ كلِّ مُعَطل كفورٍ برب الناس من دبّر الأمرا

٩٩- أتنكر إثبات العلوّ لربّنا وأن ليس فوق العرش مَن يكشف الضرا

١٠٠- وقد جاء إثبات العلوّ لذاته من الآي والآثار ما لم ينل حصرا

١٠١- تُقَدّمُ يا زنديق رأياً لجهمكم وأتباعه من حَكّموا الرأي والفكرا(١)

١٠٢- وَتُلغِي كلام الله يا أكفر الورى وسنّة خير الخلق تنبذها ظَهرا

١٠٣- وتنكر أنّ الله فوق سمائه بذاتٍ وقهر فوق عرش علا قدرا

١٠٤- وتجحد أوصافاً له جَلَّ ذكره وتزعم أن الله يُعْبد لا يدرى

١٠٥- لقد فاتك التوفيق يا عابد الهوى وحل عليك اللعن في ذي وفي الأخرى

---

(١) قوله: «لجهمكم» يعني به: الجهم بن صفوان، أس الضلالة، وشيخ الجهمية؛ من منكري صفات الله ـ عز وجل ـ، كما سيأتي في منظومة المرزوقي ـ إن شاء الله ـ.

١٠٦- وقال خسيس القدر مَنْ ضَلَّ سعيه ... ومن حاد عن نهج الهداية وازورّا
١٠٧- (حنابلة لكنّ مذهب أحمد ... إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرى
١٠٨- وقد عمّ في هذا الزمان فسادهم ... فما تركوا شاماً ولا تركوا مصرا)
١٠٩- كذَبْتَ ولكن عمّ في الأرض رُشْدُهُمْ ... فكم أرشدوا الغاوي وكم بدّدوا الكفرا
١١٠- وكم هزموا جند الضلال ومزّقوا ... جموعَ ذوي الإشراك والبدع الكبرى
١١١- وقادوا بأرسان البراهين من غدا ... عن الدين والإسلام والحق مزورّا
١١٢- هداةً على نهج الإمام ابن حنبل ... إمام الهدى ما خالفوه ولا شبرا
١١٣- وقولك يا خنزير يا أكفر امرئ ... عليها ويا من كان ممتلئاً شرا
١١٤- (ومنهم سليمان بن سحمان لم يزل ... يجادل أهل الحق أجمعهم طُرا
١١٥- ويشتم أهل العلم بالجهل مملياً ... على فكره إبليسه كلما أجرى
١١٦- وألّف كتباً كلها من ضلالة ... عليه غدت ناراً ونال بها الخسرا)
١١٧- كذبت لك الويلات بل كان لم يزل ... يجاهد أهل الشرك والبدع النكرى
١١٨- يجادل بالآيات والسنة التي ... أتانا بها المختار أعلا الورى قدرا
١١٩- ويبدي لأهل الابتداع مسبةً ... وينظرهم شزرا ويدحرهم دحرا
١٢٠- وَجَرَّدَ في نصر الشريعة صارماً ... فأكرم به شهماً وأكرم به حَبرا
١٢١- إماماً جليلاً فاضلاً شامخ الذرى ... وبحراً عميقاً لا تروم له قعرا
١٢٢- تصانيفه في العلم كانت شهيرة ... على سيرة الهادي النبي إذا تقرا
١٢٣- تزيلُ ظلام الشرك عن منهج الهدى ... وتبسم من دين الحنيفية الثغرا
١٢٤- فلازال للإسلام كهفاً ومعقلاً ... لأهل الهدى والدين ينصرهم نصرا

١٢٥- وقولك في الشهم الهمام محمد ... أبي حسن يا خبّ قد أشبه الهرّا[(١)]

١٢٦- كذبت وقد أخطأت يا عادم الحيا ... فإن الفتى والله قد أشبه النمرا

١٢٧- أتهجو حنيفاً طاهراً ذا تورّع ... يسير على منهاج خير الورى سيرا

١٢٨- أديباً أريباً متقناً متفنّناً ... حسيباً نسيباً صالحاً بارعاً حُرا

١٢٩- وهل أنت إلا فارة وابن فارة ... دعيٌّ رذيل لا تساوي ولا بَعْرا

١٣٠- وأنك في أدنى الحضيض عن العلى ... وأين لك المرقى إلى منزل الشعرى

١٣١- وقال ذباب الجرح أقذر من مشى ... على الأرض بل من كان أقبحهم ذكرا

١٣٢- (ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمد ... فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى

١٣٣- كمن ردّ قولي تابعاً إثرَ جَدِّه ... وأعمامه لكنّهم آثروا السِّترا

١٣٤- إلى أن رمى مجنونهم برجيعه ... على الناس في تأليفه ذلك السِّفرا)

١٣٥- أقول لقد أبديت زوراً وفرية ... وقلت ضلالاً من سفاهتك الكبرى

١٣٦- خُذِلتَ أمَا تدري بأنك خاسئ ... عُتُلّ زنيم الأصل منتفخ كِبرا

١٣٧- تَأَخّرت عن الأقمار إنك ساقط ... وأنّى لمن في التُّرب أن يبلغ الزهرا

١٣٨- أتهجوا هداةً شرّف الله قدرهم ... مَيامين ذكرهم يملأ البر والبحرا

١٣٩- نجوم الهدى أهل المكارم والوفا ... كرام المساعي صيتهم جاوز النسرا

١٤٠- أقاموا عماد الدين في كل موضع ... وقد ضعضعوا من كان بالدين قد أزرا

١٤١- وقد نصروا دين الإله وحذّروا ... من الكفر والإشراك والبدع النكرى

١٤٢- ولاسيَّما محمود شكري ومَنْ لَهُ ... فخارٌ تسامى أن تطيق له حصرا

١٤٣- بعيد المدى مَن حاز كلَّ فضيلة ... ومَنْ علمه قد طبق السهل والوعرا

---

(١) يعني: الشيخ محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ.

١٤٤- فقد ردَّ أرْجاساً بها قد هذوتَ يا خبيث السجايا قد نصرتَ بها الكفرا
١٤٥- وهدَّم ما شيّدته من أساسه فأكرم بشهمٍ أحرز الفخر والأجرا
١٤٦- عقيدته حبّ النبي وآله وأصحابه والتابعين له طُرّا
١٤٧- وكان حبيبَ المصطفى حيث لم يزل على نهجه يسري ويقفوا له أثرا
١٤٨- وأنت عدوّ المصطفى بالذي به أتيْتَ من الإشراك والكفر والإطرا
١٤٩- وألفتَ في فضل استغاثتكم به كتاباً حوى الكفران بالله والشرا
١٥٠- كتاباً عليه اللعن من كل قارئ فما أحدٌ إلا ويلعنه جَهرا
١٥١- كتاباً خبيثاً بالضلالات مُفْعماً لدين أبي جهل يؤيده نَصرا
١٥٢- فعارضه محمود لله دَرُّه وقابله نقضاً وبادره كسْرا
١٥٣- ومزقه حقاً بغايته التي أشاد بها الإسلام والسنة الغرا(١)
١٥٤- وقلتَ سفاها أيها القرد إنما أراد بهذا لابن تيمية نصرا
١٥٥- نعم نَصَر الحبرَ ابن تيمية الذي به الله أحيا الدين والملة الزهرا
١٥٦- إمامَ الهدى بَحْر العلوم ومَن حوى من الفضل ما لا نستطيع له حصرا
١٥٧- فكم سُنة أحيا وكم بدعة نفى وكم شاد بيتاً للهُدى و محى كفرا
١٥٨- وردَّ على أهل الضَلال جميعهم وكشَّف عن عوراتهم للورى سترا
١٥٩- فمحمودُ قد أثنى عليه لأنه لنصره دين الله قد أنفذ العمرا
١٦٠- وعاداك يا ذا الجهل حيثُ جعلت ما لخالقنا للمصطفى فافهمِ الأمرا
١٦١- وقولُك في شيخ المنار تعيبه رشيد الرضا الشهم الذي قد سما ذكرا(٢)

---

(١) قوله: «بغايته»، يعني كتاب محمود الألوسي ـ رحمه الله ـ «غاية الأماني في الرد على النبهاني».

(٢) أي: الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ، منشئ مجلة «المنار».

١٦٢- جنـونٌ وحُمْـقٌ ظـاهر وخَلاعـة ... وإفـكٌ وبهتـان عليـك بـه يَـزرا

١٦٣- أتـشتم فـضَّ الله فـاك أخـا العـلا ... ومَن نصر الإسلام والشِرعة الغَرا

١٦٤- حليـفَ التقـى والجـود والعـالم الـذي ... أنـار بـه الله الهـدى و محـى الكفـرا

١٦٥- فجوزيـتَ مـن مـولاك شرَّ جزائـه ... وحل عليك الخزي في ذي وفي الأخرى

١٦٦- وهـاك لئـيم الجـدّ منـي قـصيدة ... تُمزق منك العِرض بل تقصِمُ الظَهرا

١٦٧- تذبُّ عـن الـدين الحنيفـي جُهـدها ... وتثلــب قاليــه وتكــسره كــسرا

١٦٨- وأخـتمُ نظمـي بالـصّلاة مُـسَلماً ... على المصطفى المختار من خُصَّ بالإسرا

١٦٩- كذا الآل والأصحاب مع كـل تـابع ... على الدين والإيمان يقفونهم سَيرا

تمت بقلم ناظمها الفقير إلى الله تعالى: إبراهيم بن صالح بن إبراهيم ابن عيسى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين، وذلك في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله معلي الحق ومعلنه ومزهق الباطل وممحقه أحمده سبحانه أن
هدانا للإسلام وجنبنا طرائق أهل الشرك والبدع والآثام وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا وزير ولا ظهير وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد فيقول العبد الفقير إلى ربه المعترف بتقصيره وذنبه إبراهيم بن
صالح بن إبراهيم بن عيسى إني وقفت على القسم الخامس من القصيدة
المسماة بالرائية الصغرى للرافع راية حزب الشيطان الضال المضل
الملحد يوسف بن إسماعيل النبهاني فوجدتها ركيكة المعاني واهية
المباني ناصرة للشرك والمشركين ومؤيدة لمذهب الاتحادية الملحدين
وقد أكثر فيها من الخبط والهذيان والضلال والطغيان والسب و
التضليل لأهل الإسلام والإيمان واستحباب دعاء الصالحين و
الاستغاثة بهم في كل وقت وحين وقد استعنت الله تعالى على رد شبهه
ونقض ما لبس به من حججه والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم وأن
يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

لك الحمد يا من يعلم السر والجهرا ... لك الحمد في السراء مني وفي الضرا
لك الحمد يا مولاي مني الشكر والثنا ... على نعم لا نستطيع لها حصرا
لك الحمد كل الحمد أنت هديتنا ... إلى الملة البيضاء والسنة الغرا
وجنبتنا مناً وفضلاً ورحمة ... طرائق أهل الشرك والبدع الكبرى
كفعل بني نبهان يوسف من غدا ... يحرّف في تحسينه النثر والشعرا
فقال بشعر ابن شواهد باطل ... وضمنه كفراً فأقبح به شعرا

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى ـ رحمه الله ـ

جنون وحمق ظاهر وخلاعة ... وإفك وبهتان عليك تبرهنا

أتشتم فخر الله ذاك أخا العلا ... ومن نصر الإسلام والشرعة الغرا

حليف التقى والجود ذو العلم الذي ... أبان بأمر الله الهدى ومحا الكفرا

فجوزيت من مولاك شر جزائه ... وحل عليك الخزي في ذي وفي الأخرى

وهاك اللئيم الجلد مني قصيدة ... تمزق منك العرض بل تقصم الظهرا

تذب عن الدين الحنيفي جهلكم ... وتقلب قالبه وتكسره كسرا

وأختم نظمي بالصلاة مسلما ... على المصطفى المختار من خص بالإسرا

كذا الآل والأصحاب مع كل تابع ... على الدين والإيمان يقفوهم سيرا

تمت بقلم ناظمها الفقير إلى الله تعالى ابرهيم بن صالح بن ابرهيم
ابن عيسى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
آمين وذلك في رابع عشر ذي الحجة سنة
اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف
وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى ـ رحمه الله ـ



(٣)

منظومة

الشيخ سليمان بن سحمان

ـ رحمه الله ـ

(ت ١٣٤٩هـ)



ترجمة الشيخ سليمان بن سحمان[1]:

هو العالم المصنِّف، واللسان المدافع عن الدعوة السلفية سليمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي نسباً، التبالي العسيري أصلاً ومولداً، النجدي منشأً ومستقرًّا.

نزح والده من بلاده الأصلية (تبالة) إحدى قرى مدينة (بيشة)، إلى قرية (السُّقَّا) إحدى القرى التابعة لمدينة (أبها) عاصمة بلاد عسير، فوُلد الشيخ سليمان في هذه القرية (السقا)، وذلك عام ١٢٦٩هـ، وقيل: ولد سنة ١٢٦٦هـ في بلدة آل تمام القده، شرقي السقا بناحية أبها عسير.

وكان أبوه سحمان بن مصلح من آل عامر أحد بطون الفزع، وليس من قبيلة آل عامر النخعية ببيشة، وكانت قبيلته تقطن تبالة ثم بيشة، وكان أحد قادة الأمير عايض بن مرعي، كما كان من قبل من قادة الأمير علي بن مجثل، حيث كان يرابط في تبالة، وتمكن من اقتحام الطائف بعد معركة (جلدان) التي انتصر فيها على الأشراف، وذلك في نهاية عام ١٢٦٢هـ، وبعد ذلك استقدمه عايض بن مرعي إلى أبها ليكون أميناً على بيت المال، وليعمل في الوعظ والإرشاد وتدريس الأمور الدينية، واستخلف مكانه في تبالة أخاه مسفر بن مصلح، وبعد ما ضُمَّت الأفلاج ووادي

(١) عن «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ (٢/ ٣٩٩-٤١٢). وقد ترجم للشيخ ابن سحمان كثيرون. ومن أهم تلك التراجم ـ في نظري ـ: ترجمة كتبها تلميذه الشيخ سليمان بن حمدان ـ رحمه الله ـ، (سيأتي بعضها ـ إن شاء الله ـ)، ورسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للشيخ محمد بن حمود الفوزان، وما كتبه الدكتور عبدالله الحامد في رسالته الجامعية: «الشعر الحديث في الجزيرة العربية».

الدواسر إلى عسير، بقي فيها حتى مات في عام ١٢٤٩هـ، وأثناء إقامة القائد سحمان في أبها ولد له ابنه الشاعر سليمان بن سحمان.

وهكذا نشأ المترجَم في بلدة السقا، وتربى في حجر والده، الذي هو من حفاظ القرآن ومن الخطاطين، كما أن له يداً في مبادئ العلوم، فصار يلقن ابنه القرآن الكريم ويدرِّبه على حسن الخط، ويعلمه مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وذلك في ولاية محمد بن عائض بن مرعي على بلاد عسير، ثم نزح والده إلى الرياض ـ عاصمة البلاد السعودية ـ وقد استقرت يومئذٍ نجد بولاية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، حيث طهر البلاد النجدية من العساكر العثمانية الغازية، فحل في الرياض ضيفاً، فآواه الإمام فيصل وأكرمه ورتب له ولعائلته ما يقوم بكفايتهم، فوجد الرياض زاهية بحلقات العلم ومشرقة بنور المعرفة التي ينشرها الإمام عبدالرحمن بن حسن وابنه العلامة عبداللطيف، فشرع المترجَم بالقراءة عليهما، وملازمة دروسهما، وجدَّ واجتهد في التحصيل.

وبعد وفاة الإمام فيصل وابتداء الفتنة بين ابنيه عبدالله وسعود اختار والد المترجَم الإقامة في الأفلاج، فانتقل ومعه ابنه إلى بلدة العمار من بلاد الأفلاج، فأقام فيها، وقاضيها ومفتيها يومئذٍ الشيخ حمد بن عتيق، فشرع في القراءة عليه ولازمه نحو سبعة عشر عاماً، قضاها في تحصيل العلم.

وبعد وفاة الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ عاد المترجَم إلى الرياض، وكان زعيم الدعوة السلفية رئيس علماء نجد يومذاك العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فشرع في حضور دروسه، والاستفادة منه استفادة زميل من زميل أقدر منه.

وكان أعداء الدعوة السلفية في ذلك الحين قد أحسوا بضعفها بسبب ضعف أنصارها آل سعود، الذين أذهب حكمهم الشقاق والخلاف، ولمسوا لينها، فصاروا يوجهون إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، وكان الشيخ سليمان يومئذٍ قد صلب عوده في العلم، وقوي عضده في النضال، واعتدل قلمه في الكتابة، واستقام لسانه في الإنشاء، مما قرأه وحفظه من كلام العرب، ومما حرره من رسائل وردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ظل زماناً يستكتبها ويستمليها، فجرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين، بقوة الكلام، وسطوع الحجة، وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم، ويرد شبههم، ويوهن حجتهم، كما يرميهم بشهب من قصائده الطنانة، وأشعاره الرنانة، وقوافيه المحكمة، وأبياته الرصينة، وبهذا؛ فهو ذو القلمين، وصاحب الصناعتين، وقلَّما اجتمع النثر والشعر لواحد، إلَّا لنوابغ الكُتَّاب وأصحاب الأقلام، فصار لسان هذه الدعوة، ومحامي هذه الملة، فكان من هذه الردود القاطعة، والحجج الدامغة هذه المؤلفات الساطعة؛ وهي:

١- الأسنة الحداد في الرد على علوي الحدَّاد.

٢- الصواعق الشهابية على الشبه الشامية.

٣- الضياء الشارق على شبهات المارق.

٤- إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل.

٥- تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المستهجنة الوخيمة.

٦- كشف الالتباس عن تشبيه بعض الناس.

٧- تبرئة الإمامين من تزوير أهل المَيْن.

٨- الهدية السنية.

٩- نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب.

١١- ديوان شعر حوى غرر القصائد والنظم.

وله غير ذلك من الكتب والمؤلفات والرسائل، التي غالبها يدور على الرد على المخالفين، ودفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة التي نادى بتجديدها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وورثها عنه أبناؤه وأحفاده وتلاميذه، وأيدها الله بقوة وبسالة المغاوير الميامين من آل سعود، حتى ظهرت وتوطدت، وعمَّت أرجاء الجزيرة العربية، ثم شعَّ سناها في أطراف المعمورة، فلا تجد قطراً إلَّا ولها فيه أنصار وأعوان.

وقد كُف بصره عام ١٣٣١هـ، إلَّا أن بصيرته ما زالت حية نيرة متوقدة، وله رسائل وفتاوى مطبوعة مفرقة ضمن رسائل وفتاوى علماء نجد، كما أنه هو الذي رتَّب وبوَّب رسائل وفتاوى شيخه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وجعل لها مقدمات وتراجم.

تلاميذه:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٢- الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد.

٤- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم.

٥- الشيخ إبراهيم بن حسين.

... وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

والقصد أن له اليد الطولى والقِدَح المعلّى في التأليف والرد والرسائل والقصائد، وكل ذلك يدافع عن الشريعة المحمدية والملّة الحنيفية، والعقيدة السلفية، حتى عُدّ بذلك من أكبر المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم.

وبقي على هذه الحالة الحميدة، والأقوال السديدة، حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض عام ١٣٤٩هـ. رحمه الله تعالى.

وقد دُفن في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله. رحم الله الجميع، وتأسف الناس لفقده، وكلهم يلهج بالثناء والترحم عليه، وقد رثي بقصائد وتبودلت في تعازيه الرسائل، ونختار من تلك القصائد مرثية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل:

ما بال دمعك يهمي طول أزمان ... وأنت دايم أشجان وأحزان

والقلب منك نبا والهم متقد ... كأنه مِرجَل من فوق نيران

تنوح طول الدياجي من أسى وضنى ... قد طال ما أرقاك نوح ثكلان

كم ليلة بِتَّها ترعى النجوم بها ... لم تغتمض قط منك الليل عينان

أذاك من ذكر عهد للصِّبا سلفت ... أيامه عند أهل الرند والبان

أم من تذكر غزلان بذي سَلم ... حور العيون كياقوت ومرجان

لا والإله الذي لم تخف خافية ... عليه علام أسرار وإعلان

ما إن ذكرت ولم أذكر وما سفحت ... عيناي من ذكر أطلال وجيران

بل من تذكر شيخ عالمٍ عَلمٍ ... حَبرٍ تقيٍ من الأحبار رباني

إلى أن قال:

علَّامــة عُلمــت حقًّــا فــضائله ... بحر العلوم سليمان بن سحمان

من فاق في الفهم والتوحيد مع لغة ... والنحــو ثــم تفاســير لقــرآن

وفي الأحاديث والآداب مع سير ... والـنظم والنثـر حقًّـا كـل أقـران

نال العلى فَعَلَا فوق الذرى رُتباً ... حتى سمى في سما مجد وعرفان

لـسانه صـارمٌ في شـعره فلقـد ... أعـاد في وقتـه إنـشاد حَـسَّان

يُـذكر النـاس قـساً في خطابتـه ... وفي بلاغتـه وضـعاً لـسُحبان

إلى أن قال:

وانظـر فوائـد في البـستان ألفهـا ... مثل الفواكه بل أحلى لدى الجاني

واقرأ رسائل في التوحيد أرسلها ... بـرًّا وبحـراً وفي سـكان بلـدان

وسـل خبيراً بـه ينبيـك عنـه وقـل ... لله در سـليمان بـن سـحمان

كما رثاه الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر فقال:

قــضاء لا يطــاق لــه مــردٌّ ... وأمــر نافــذ مــا منــه بــدُّ

وهـل يجدي التأسـف لـو تناهـا ... بنفــع أو بــه قــد نيــل قــصدُ

ولكــن الــصبور ولــو تــسلى ... سـيغلب صبرَه الخطـبُ الأشـدُّ

وهـل خطـب كخطـب منه كـادت ... كــشدة وقعــه تنهــار نجــدُ

بــه فُقــدت فخــاراً لا يــضاها ... ومجــداً ســامياً لا يــستردُّ

وحالفهــا خمــول مــستمر ... وحــالف أهلهـا حـزن وسـهدُ

هـدى وكتـاب قـد رفعـا علاهـا ... فهـل يرجـى لهـا التقـويم بعـدُ

وأصــبح نيِّراهــا في خفــاء ... يـضمهما عـن الأنظـار لحـدُ

فأضــحت في ظــلام مكفهــر ... ومنهـا النـورِ قِـدْما كـان يبـدو

مـضى عنهـا سـليمان محـشا	يـؤم إمامـه قـد سـار سـعدُ
فأضـحى العلـم بعـدهما يتـيماً	يحاربـه كثـير وهـو فـردُ
وأضـحى الـدين بعـدهما مهـان	يـروم لكيـده أشِر ووغـدُ
همـا سـيفان مـا لهـما نظـير	لنـصر الـشرعة الغـرا يعـدُ
همـا حَـبران أهـل تقـى وعلـم	يـزيِّنهما لـدى العلـماء زهـدُ
ففـي حـل العـويص إذا تعـامى	إذا قـصداً لـه لم يكـب زنـدُ
وفي قمـع الكفـور بـنص وحـي	صريـح مـنهما مـا فـلَّ حـدُ
وفي الإفتـاء إن قـالا بقـول	حـوى التوفيـق قـولهما الأسـدُ
وجـازا للـصواب بـلا نـزاع	يُقـر بـذاك خـصمُهما الألـدُ

* وللمترجم ثلاثة أبناء هم: عبدالعزيز، وصالح، وعبدالله. وله من أبنائه الثلاثة أحفاد، وهم من أهل الصلاح والتقى، وبعضهم من أهل العلم. رحمه الله تعالى.

ولابنه صالح بعض المؤلفات مثل: «ملتقى الأنهار من منتقى الأشعار»، وله: «التقويم المبتكر المصفَّى الأوفى»، وله: «مجموع النفائس الشعرية والغرائب الشهية»، اشترك فيه مع غيره، وكلها مطبوعة.

ونعيد سيرة المترجَم بقلم د. عبدالرحمن العثيمين لمزيد الفائدة، فقد قال:

قال الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله: هذه الترجمة للشيخ سليمان بن سحمان:

هو الشيخ الإمام الجليل الفاضل النبيل، العالم العلامة، بقية أهل الاستقامة، جامع أشتات الفضائل، وقدوة الهداة الأماثل، صاحب

الفضائل والمكارم، ومن لا تأخذه في الحق لومة لائم، سيف الله المسلول على من حاد عن شريعة الرسول، حلّال المعضلات، ومجلي رحى المشكلات، قامع المشركين والمبتدعين، الورع الزاهد العابد المجاهد، ذو القلم السيال، والنظم الذي هو أرق من العذب الزلال، قريع الزمان وفائق الأقران، الشيخ سليمان بن سحمان. اهـ.

وحدَّثني ابنه الشيخ صالح رحمهم الله جميعاً قال: هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الفزعي الخثعمي، وقد وجه أحد أبناء آل الشيخ سؤالاً إلى سماحة الشيخ سليمان يسأله عن نسبه فقال:

سليمان سحمان وسحمان مصلح ... ومصلح حمدان وحمدان مسفر
أولئك أجدادي سلالة عامر ... إلى خثعم يُعزى وبالخير يُذكر

مولده:

ولد الشيخ سليمان بن سحمان في آخر عام ١٢٦٩هـ في قرية السُّقا ـ بضم السين المهملة مشددة بعدها قاف فألف ـ وهي قاعدة بني مغيد، ومقر أسرة آل معيض، وبني مغيد: إحدى قبائل عسير بالسراة، أقرب مدينة لها هي مدينة: أبها، ويربطها بها طريق معبد بطول ١٥ كيلاً، وتقع عن أبها إلى الغرب، وفي تقاطع خطي العرض ٥/ ٢ ـ ١٨ شمالاً، والطول ٤ـ٤٢ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بـ(٣١٣٣) متراً، حيث أعالي قمم جبال عسير الشامخة، وفي غربها تقع السودة أعلى قمة في السراة.

نشأته:

نشأ الشيخ سليمان في أحضان والده سحمان الذي علّمه القرآن، حتى حفظه عن ظهر قلبه، ولما بلغ سن الحادية عشرة، اصطحبه والده وهاجر به إلى الرياض وذلك عام ١٢٨٠هـ، وفي عام ١٢٨١هـ ابتدأ بالقراءة على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، مجدد الدعوة الثاني، وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، ولازمهما ملازمة تامّة دامت عشر سنوات.

وبعد ذلك سافر مع والده الذي هاجر من الرياض، ونزل في قرية العمار في الأفلاج، فرحَّبوا به وبأبيه العالم المقرئ لكتاب الله، وواصل سليمان تعليمه على علامة الأفلاج الشيخ: حمد بن عتيق، ومعه زميله في العلم والتعليم عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حتى توفي الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ كما توفي الشيخ سحمان والد المترجَم في ذلك العام، فضاقت الأرض على سليمان بأسباب وفاة والده وشيخه، فطلب منه الإمام عبدالله بن عبداللطيف أن يرجع إلى الرياض ليقيم إلى جواره؛ لكونه زميله في العلم، ومحبة بعضهم لبعض في ذات الله.

فعاد سليمان إلى الرياض واتخذه الإمام عبدالله بن فيصل كاتباً له، لأنه كان خطاطاً، فلم يسعه إلَّا السمع والطاعة، وعيّن كاتباً للإمام، وصار يواصل دراسته مع زملائه: الشيخ عبدالله والشيخ إسحاق، ابني الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم، حتى أصبح الشيخ سليمان عالماً يقتدى به.

ثم أخذ رحمه الله يرد شبه الملحدين، ويذب عن الإسلام وأهله، ولا يقول إلَّا الحق ولا يبالي بأحد، ولا يأخذه في ذلك لومة لائم، وكان لا يحب الخداع والتحيل، مما دعى ابن رشيد إلى أن ينقله إلى حائل، ليباعد بينه وبين الإمام عبدالله بن فيصل، وذلك عام ١٣٠٥هـ.

ولكن سرعان ما طلب الإمام عبدالله من ابن رشيد أن يرسل له كاتبه سليمان بن سحمان، فلما وصل الطلب إلى ابن رشيد، أراد أن يغنم الشيخ سليمان، وقلمه السيال، وذلك في نسخ عدد من الكتب الكبيرة الفقهية وغيرها.

فأمره أن ينسخ، فنسخ له ما أمره، وكان من ضمن ما نسخه «المحلى» لابن حزم الظاهري رحمه الله، وفصولاً من تفسير الإمام الطبري الذي كان يملكه، وكان الشيخ سليمان قد ملأ حائل بالكتب، ومن تقاه وصدقه وإخلاصه، كان يكتب بأمانة، علماً أنه مكلف ومجبر على ذلك، فأحبه الإخوان بحائل.

وفي عام ١٣٠٧هـ طلب الشيخ سليمان من الإمام عبدالله أن يعود إلى أولاده بالرياض، فأبى، فطلب منه ابن رشيد التوسط في ذلك فقال له: إذا جاء عبدالله بن فيصل يا حمود استرخص من عبدالله لسليمان ينهج لوطنه ـ أي يذهب ـ فأبى، فلزّم عليه ابن رشيد وقال: يا والدي ـ مخاطباً عبدالله ـ: نَبِيك تسمح لسليمان ينهج لوغيداته، فقال عبدالله: أرخصوا له أنتم، فقال: وجه ولدك وجه ولدك ـ مرتين ـ، ثم أمر عليه ابن رشيد، فسافر مع الشيخ عبدالله وعاد معه إلى الرياض.

عقيدتـــه:

هي ما كان عليه الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، وهو اعتقادنا اعتقاد أئمتنا أئمة الدعوة النجدية، الذين كان إمامهم ومقدمهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وهو ما أوضحه الله في كتابه، وعلى لسان عبده ورسوله، نبينا محمد ﷺ، وقد ذكرها رحمه الله في عدة قصائد مذكورة في ديوانه.

شـيوخه:

١- **والـده** سحمان بن مصلح الخثعمي، المقرئ القارئ الفقيه الأمير القائد، وهو أول من فتح مدرسة لتحفيظ القرآن بتبالة ببلاد خثعم عام ١٢٥٩هـ، ثم فتح الثانية في (أبها) عاصمة عسير عام ١٢٦٨هـ، والثالثة في بلدة السُقا عام ١٢٧٠هـ، وشارك وعلم في مدرسة تحفيظ القرآن بمسجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (بدخنة)، في مدينة الرياض، وشارك ودرس في تحفيظ القرآن بالأفلاج، ومكث على ذلك حتى توفي رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤- الشيخ حمد بن عتيق علامة الأفلاج الفقيه الجليل.

٥- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

تلاميذه:

١- ابنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.

٢- الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن سحمان.

٣- الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان.

٤- الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ.

٥- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

٦- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٧- عبدالرحمن بن ناصر بن حسين.

٨- عبدالعزيز بن صالح المرشد.

وفاته:

توفي يوم الأحد العاشر من شهر صفر من سنة ١٣٤٩هـ على رأس الثمانين من عمره، بعد أن أصيب بمرض أقعده على الفراش، وصلي عليه في الجامع الكبير بالرياض، ومشى مع جنازته أهل البلد، ودفن في مقبرة العود، وصلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد نجد.

ولم يُخلف إلا مسكناً صغيراً، وأربعة عشر ريالاً، وذمته بريئة من الديون، غفر الله له».

* * *

المنظومــــة

الحمد لله الذي أظهر الحق وأداله، وقمع الباطل وأزاله، أحمده سبحانه وتعالى على ما أولاه من فضل وأناله، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من اعتقد الحق وعمل به وقاله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي علَّم الله به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلْفاً، فنصح الأمة وأدى الأمانة وبلغ الرسالة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وقفت على منظومة رجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن إسماعيل النبهاني، تجاوز فيها الحد، وأقذع فيها وألحد، وأسهب في مسبة أهل الإسلام، وهداة الأئمة والأعلام، وجاء بضروب من المنكرات والضلالات، وأنواع الكفر والجهالات.

فاستعنت الله على رد ما موَّه به من سفسطاته وجهالاته، وتُرَّهات مقالاته وخُرافاته، والله المسؤول المرجو الإجابة، أن يمنحنا بفضله الإصابة، وأن يجعله لوجهه خالصاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا نص الجواب:

١- وقفتُ على نظمٍ حوى الكفر والشرا	وصاحبه خِب لئيم وقد أجرى
٢- ينابيعَ كفرٍ في تقاسيم غيِّه	فحرر في تقسيمه الإفك والشعرا
٣- ولم يأتنا منها سوى الخامس الذي	تهور فيه الفَدم بالكفر واستجرا(١)
٤- يذم به أهل التقى وذوي النهى	فسحقاً له سحقاً فقد أظهر الكفرا
٥- فكان علينا واجباً متعيناً	إجابته لما هذى وأتى هُجْرا
٦- ولم أكُ في ردي عليه متعمقاً	بتعقيد ألفاظ كمنظوم ذي الإطرا
٧- ولكن بلفظ مستقيم نظمته	ليفهمه القاري ومن كان لا يقرا
٨- فطوراً أرد الهَمْط من زور غيِّه	وأبدي له خزياً وأنشره نشرا
٩- وأعكسه طوراً عليه لأنه	بأرجاسه أولى وأركاسه أحرى(٢)
١٠- فها أنذا أنبيك بعض نظامه	لتعلم أن الفَدم ما أحكم الأمرا
١١- ويحسب جهلاً أنه بمقاله	أتى بصواب في مقالاته النكرى
١٢- فقال الغبي الأحمق الفَدم منشداً	لينشر من أقواله الكفرا والشرا
١٣- (وأعجب شيء مسلم في حسابه	غدا قلبه من حبِّ خير الورى صفرا
١٤- أولئك وهابية ضلَّ سعيهم	فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا)
١٥- فهذا مقال الفَدم لا دَرَّ دَرُّه	ولا نال إلا الخزيَ والعار والوزرا
١٦- وأعجب من ذا لو يرى الرشد أنه	بذلك أبدى من مخازيه ما أزرى
١٧- فمن لم يكن في قلبه حبُّ أحمدٍ	أعزِّ الورى فخراً وأعظمهم قدرا

---

(١) يريد القسم الخامس من الرائية الصغرى للنبهاني، الذي جعله في ثلب السلف الصالح ومن تبعهم من أمثال ابن تيمية وابن عبدالوهاب رحمهم الله. والفَدم: ثقيل الفهم. وسيكررها الشيخ كثيراً

(٢) الأركاس جمع ركس: بمعنى رجيع.

١٨- فليس لعمري مؤمناً بمحمد ... وما نال إلا الخزي من ذاك والخُسرا
١٩- ومن أشرك المعصوم في حق ربه ... وأسهب في منظومه المدح بالإطرا
٢٠- فذا كافر بالله جل جلاله ... كهذا الذي أبدى بمنظومه الكفرا
٢١- نعم نحن وهابية حنفية ... حنيفية نسقي لمن غاضنا المُرَّا
٢٢- ومن هاضنا أو غاضنا بمغيضة ... سنصعقه صعقاً ونكسره كسرا[(١)]
٢٣- وكم من أخي جهل رمانا بجهله ... فعاد حسيراً خاسئاً نائلاً شرا
٢٤- بمحكم آيات وسنة أحمد ... نصول على الأعدا فنأطرهم أطرا
٢٥- وما ضل منا السعيُ بل كان سعينا ... على ملة المعصوم والسنَّة الغرا
٢٦- فلا ندعُ إلا الله جلَّ جلاله ... ونرجوه في السَّرَّا وفي العسر والضَّرَّا
٢٧- ولا يستغيث المسلمون بغيره ... تعالى عن الأنداد من ملك الأمرا
٢٨- نوحِّده سبحانه بفعاله ... وأفعالُنا لله خالصةٌ طُراً[(٢)]
٢٩- وأهلُ النُّهى سكانُ نجدٍ جدودهم ... هم العُرُبُ العَرْبَا بهم لم تُحِطْ خبرا[(٣)]
٣٠- قد استعربت منهم قبائل جمة ... سَمَوا بالعُلى قدراً وبالمصطفى فخرا
٣١- أتمُّ عقولِ الناس طُراً عقولهم ... وأحسنهم خَلْقاً وخُلْقاً فهم أحرى
٣٢- وقد ورثوا مجداً أصيلاً مؤثلاً ... لأهل الهدى منهم فنالوا به الفخرا[(٤)]

---

(١) الهيض: عود الهم والحزن، ثم توسعوا بهاض إلى معنى هاج؛ لأن معاودة تلك الأمور تثير الهيج.
(٢) طراً: جميعاً.
(٣) العربا: الخُلَّص في عروبتهم.
(٤) مؤثل: أي ذا أصل.

٣٣- مسيلمة الكذاب ليس بجدهم ... وليس له نسل يُقَرر أو يُدار(١)
٣٤- ولا لسجاح ويل أمك فاتئد ... فما الفَشْرُ إلا ما هذرت به نشرا(٢)
٣٥- وقد أسلمتْ والشام كان مقرَّها ... فلو كان من لؤم لكنتَ به أحرى(٣)
٣٦- إذا كنت من أنباط إجزم لم تكن ... من العرب العربا ولا من سَمَوا فخرا(٤)
٣٧- ولم تدر من دين الهدى غير مذهب ... يضلك في الدنيا ويخزيك في الأخرى
٣٨- فما لك والأنساب دعها لمن له ... بها خبرة إذ كان منكم بها أدرى
٣٩- فعلمك بالأنساب أعظم آيةٍ ... على جهلك المردي كما قلته جهرا
٤٠- أتحسب أنا ويل أمك غُفَّلا ... كأنباط من في الشام ما حققوا الأمر
٤١- وقولك فيما قد تهورت ضلّةً ... وحررته رقماً وأودعته الشعرا
٤٢- (إلى الله بالمعصوم لم يتوسلوا) ... نعم هذه حق يعدونها كفرا(٥)

(١) أي لا يوجد لمسيلمة في نجد ذرية ذوو أمر يقررونه على غيرهم أو يُدرؤون من أجله.
(٢) الفشر: الهذيان.
(٣) كان في قوله: «فلو كان من لؤم» تامة بمعنى وجد، وما مضى رد على قول النبهاني:

ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم ... وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
مسيلمة الجد الكبير وعرسه ... سجاح لكل منهم الجدة الكبرى
فقد ورثوا الكذاب إذ كان يدعي ... بأن له شطراً وللمصطفى شطرا

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن سَجاح: «أسلمت أيام عمر بن الخطاب، فحسن إسلامها» (البداية والنهاية: ٥/ ٤٧).
(٤) إجزم: قرية النبهاني ـ كما مضى في ترجمته ـ.
(٥) ما بين القوسين من كلام النبهاني، وهو ـ في محاولة منه للتلبيس والاستغفال ـ يسمي الاستغاثة الشركية «توسلاً»، ولهذا فقد رد الشيخ عليه بتبيين حكم الاستغاثة الشركية؛ لأنه يعي ما يرمي إليه النبهاني، كما في الأبيات التي بعد هذا، التي وضح فيها الفرق بين الاستغاثة الشركية، والتوسل البدعي المحرَّم. ـ وقد مضى التنبيه لهذا في المقدمة ـ.

٤٣- على عرف عُبّاد القبور لأنه | بمعنى الدعا والاستغاثة قد يُجرى
٤٤- فيدعونه جهراً لدى كل كربة | ومعضلة دهياء تعروهمُ جهرا[(١)]
٤٥- وهذا هو الإشراك بالله جهرة | فتباً لمن يدعو الذي سكن القبرا
٤٦- وما كان مسنوناً فنحن نقرُّه | على عرف من منكم بسنته أدرى
٤٧- أولئك أصحاب النبيِّ محمد | وأتباعهم ممن على نهجه يترى
٤٨- توسلهم بالمصطفى في حياته | إذا ما دهاهم فادحٌ أوجبَ الضُّرَّا
٤٩- فيأتونه مستشفعين لما دهى | من الكرب أو مستعتبٌ طالبٌ غفرا
٥٠- فيدعو لهم أن يكشف الله ما بهم | من الضر واللأواء[(٢)] ويستنزل النصرا
٥١- ومن بعد أن مات النبيُّ محمد | فليس سوى الرحمن يدعونه طُرًّا[(٣)]
٥٢- بل الله مولاهم ولا شيء غيره | وبالعمل المرضي يدعونه جهرا
٥٣- وبالدعوات الصالحات توسلوا | وإيمانهم بالمصطفى من سَما فخرا
٥٤- وما كان مكروهاً وكان محرماً | ومخترعاً في الدين مبتدعاً نكرا

---

(١) تعروهم: تغشاهم.

(٢) اللأوا: الشدة.

(٣) أي أنهم يطلبون منه ﷺ الدعاء والاستغفار لهم في حياته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ عن الآية: «و«إذا ظرف لما مضى، وليست ظرفاً للمستقبل.. فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمرٌ متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال ﷺ... فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً؛ لأن العمل انقطع». (مجموع الفتاوى: ١/ ٨١).

٥٥- فـذاك الـذي بالجـاه أو بـذواتهم توسلَ أو يدعو بهـم طالباً أجـرا[١]

٥٦- فـما بـذوات الأنبيـاء وجـاههم أتى النصُّ أن ندعوا بهم واضحاً يُقرا[٢]

٥٧- نعم قدرهم أعلى لـدى كـل مسلم على كل مخلوق وكل بني الغبرا[٣]

٥٨- وتعزيـرهم أعلى لـدى كـل مسلم وتوقيرهم إذ كلهم قد عـلا قـدر[٤]

٥٩- فما ورثوا الكذاب من كان يـدعي بـأن لـه شـطراً وللمـصطفى شـطرا

٦٠- لأنهمـوا قـد أخلـصوا الأمـر كلـه ولم يجعلـوا للمـصطفى ذلـك القـدرا

٦١- ومن أشرك المخلوق في حق ربـه فقـد جـاء بـالكفران والقالـة النكـرا

٦٢- وأنـتم ورثـتم جهـرةً كـلَّ كـافر وحقَّقـتم الإرث الـذي أوجـب الكفـرا

٦٣- بـــصرفكم مـــا للإلـــه لغـــيره فلـم تجعلـوا لله شـيئاً ولا شـطرا

٦٤- ومن قول هـذا المفتري في نظامـه وقـــرر هـــذا في قـــصيدته جهـــرا

٦٥- (أشـــار رســـول الله للـــشرق ذمَّـــه وهم أهله لا غرو إن أطلع الشرا)[٥]

---

(١) أي أن التوسل البدعي المحرَّم: التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره؛ كقول الداعي: «أسألك بجاه نبيك». فهذا من البدع المحرمة، وجاه الإنسان خاص به؛ لا علاقة للداعي به.
يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ عن التوسل بجاه النبي ﷺ: «هذا توسل بدعي لا يجوز؛ وذلك لأن جاه الرسول ﷺ لا ينتفع به إلا الرسول ﷺ». وقال ـ أيضاً ـ: «هذا لا يجوز، لا في حياته ولا بعد مماته؛ لأنه ليس وسيلة؛ إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده؛ لأنه ليس من عمله». (مجموع الفتاوى: ١/ ٨٠).

(٢) يقرا: يقصد ويتبع، من قرا ذات الألف اللينة لا المهموزة.

(٣) الغبرا: الأرض.

(٤) التعزير: التعظيم والنصر.

(٥) يشير إلى قوله ﷺ ـ وهو مستقبل المشرق ـ: «ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان». أخرجه البخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٧٢٩٣). وقد مضى في المقدمة الرد على هذه الشبهة.

٦٦- أقول لعمري ما أصبت وإنما ... دهاك اسمُ نجدٍ حيث لم تعرفِ الأمرا

٦٧- فما شرقُ دار المصطفى قطُّ نجدنا ... ولكنه نجد العراق فهم أحرى[١]

٦٨- ومنه بدت تلك الزلازل كلها ... وقد قررت أخبارها للورى سبرا

٦٩- ففي الفتح ما يشفي ويُطلع عالماً ... بتلك المعاني قد أحاط بها خبراً

٧٠- وما طعنوا في الأشعري إمامكم ... ولكن بأتباع له كسروا كسرا

٧١- وللماتريدي حيث جاء ببدعة ... وللأشعري أشياء منكرة أخرى

٧٢- ووافق أهل الحق في جل ما به ... يقولونه حقًّا ومن غيرهم يبرا

٧٣- فبَيَّن حقًّا في الإبانة قوله ... وفي غيرها من كُتْبِهِ أوضحَ الأمرا[٢]

٧٤- فلستم على منهاجه وطريقه ... ولكنكم من أمة آثروا الكفرا

٧٥- وتزعم جهلاً ويل أمك أننا ... نقول وما حققت أحوالنا سبرا

٧٦- (بتحقير أحباب الرسول تقربوا ... إليه فنالوا البُعد إذ ربحوا الخسرا)

٧٧- وما هذه إلا مقالة آفك ... أراد بها التنفير إذ عظم الأمرا

٧٨- وما رجل منا بتحقير شأنهم ... تقرب يا من قال بالزور واستجرا

٧٩- سوى أن حق الله وحده ... جعلنا ولم نجعل لأحبابه شطرا

٨٠- وتعظيمهم بالاتِّباع على الهدى ... على المنهج الأسنى نقرره جهرا

٨١- وأنَّ لهم فضلاً على الناس كلهم ... بما عملوا من صالح هم به أحرى

٨٢- وأما حقوق الله جل جلاله ... فليس لهم منها ولا ذرة تجرى

---

(١) قال الخطابي كما في «فتح الباري» (١٣/ ٥١): «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة».

(٢) سبق أن الأشعري ـ رحمه الله ـ رجع عن بدعته، وصنف كتاب «الإبانة» بياناً لما هو عليه. فهو بريء ممن يتابعه على بدعته التي رجع عنها.

٨٣- وما ذاك تحقيراً لهم وتنقصاً ... ولكنه تعظيمهم إذ همو أدرى

٨٤- وأعلم بالله العظيم ودينه ... فنالوا به فخراً وأعلوا به قدرا

٨٥- ونلنا بهذا الاعتقاد سلامة ... ونلتم بذاك الاعتقاد بهم خسرا

٨٦- ويعتقدون الأنبياء كغيرهم ... سواء عقيب الموت لا خير لا شرا

٨٧- فليس لهم بعد الممات تصرفٌ ... ولا لسواهم من بني ساكني الغَبْرا

٨٨- فمن يدعُ غير الله أو يستَغِثْ به ... وقد فارق الدنيا وصار إلى الأخرى

٨٩- فذاك بالرحمن قد كان مشركاً ... وهذا هو الأمر الذي أوجب الكفرا

٩٠- وقد أجمع الأعلام من كل مذهب ... على أن ذا كفرٌ وقد حققوا الأمرا

٩١- وما شذَّ منهم غيرُ من كان رأيه ... على رأي قوم أحدثوا للورى شرا

٩٢- فساروا على منهاج من ضلَّ سعيه ... ولم يعرفوا الإسلام حقًّا ولا الكفرا

٩٣- ولكنهم ضلوا بوهم شفاعة ... دهاهم بها الشيطان واجتال من غرا

٩٤- وأي دليل من كتاب وسنة ... عن السيد المعصوم معلومة تقرا

٩٥- وتُتلى بإسناد صحيح محقق ... يقرره أعلام سنتنا الغَرَّا

٩٦- وقولك فيما قد نظمت تهوراً ... وأبديته فيما تحرره جهرا

٩٧- (وقد عذروا من يستغيث بكافر) ... كذبت وقد أبديت في نظمك الهُجرا

٩٨- فما وجدوا عذراً لمن كان كافراً ... ولا وجدوا للمستغيث بهم عذرا

٩٩- ولا رحلوا للشرك في دار رجسه ... وجابوا إلى أوطانه البَرَّ والبحرا [(١)]

١٠٠- ولا جوَّزوا للمسلمين رحيلهم ... لزورة خير الخلق في طيبة الغَرَّا

١٠١- ولكنهم قد جوزوه لمسجد ... يصلي به من رام من ربه الأجرا

---

(١) يشير إلى قول النبهاني عن السلفيين:

١٠٢- ومن بعد أن صلى يزور محمداً ... ويدعو له لا يدعُ من سكن القبرا

١٠٣- وفيه حديث في صحيح مسلم ... يقرره من كان يعرفه جهرا[1]

١٠٤- وقول عدو الله من كان كافراً ... بمعبودنا الأعلى وقد أظهر الكفرا

١٠٥- (وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهم ... على جهة للعلو خالقنا قصرا

١٠٦- هو الله ربُّ الكل جل جلاله ... فما جهة بالله من جهة أحرى

١٠٧- تأمل تجد هذي العوالم كلها ... بنسبة وسع الله كالذرة الصغرى

١٠٨- فحينئذٍ أين الجهات التي بها ... على الله من حمق بهم حكَّموا الفكرا

١٠٩- وإن اختلافاً للجهات محقق ... فكم ذا من الأقطار قطر علا قطرا

١١٠- وكل علو فهو سفل وعكسه ... وقل نحو هذا في اليمين وفي اليسرا

١١١- فمن قال علو كلها فهو صادق ... وذلك قد يقضي بآلهة أخرى

١١٢- ومن قال سفلاً كلها فهو صادق ... فليس لهم رب على هذه يُدرى

١١٣- فمن يا ترى بالشرك أولى اعتقادهم ... أولئك أم أصحاب سنتنا الغرا)[2]

وكم رحلوا للشرك في دار رجسه ... وجابوا إلى أوطانه البر والبحرا

يريد رحيلهم للتجارة وشبهها.

(١) يعني حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» أخرجه مسلم في صحيحه (٣٣٨٤).

(٢) ما بين القوسين من قصيدة النبهاني.

قال أبوعبدالرحمن الظاهري ـ تعليقاً على قول النبهاني ـ: «ضحايا الشبه الكلامية في حق الرب جل جلاله مساكين العقول، وقد ظن الرازي والنبهاني أن دليلهم كمل بقولهم: «العالم كرة، فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة لآخرين»!

قال أبوعبدالرحمٰن: الدليل لا يكمل حتى يجعلوا الرب جل جلاله كرويًا ـ سبحانه وتعالى ـ. وربنا أعلم بنفسه، ولا نعلم عن ربنا إلا ما علمنا من وصفه لنفسه.

ولا يلزم من كون العالم كرويًا وأن الله به محيط أن يكون الرب كرويًا، بل الكون كله في قبضته لا يعجزه جل جلاله».

=

١١٤- أقـول لعمـري إنهـا لكبـيرة ومعـضلة شـنعا وداهيـة كـبرى

١١٥- بـدت مـن غـوى جعفـري هَبَنَّـغٍ بريء من الإسلام قد أظهرا الكفرا[1]

=

قلت: هذه شبهة يثيرها من ينفي علو الله عز وجل، من الأشاعرة وغيرهم، فيقول: أنتم تصفون الله بالعلو، فيقال لكم: إن الأرض كروية، فمن كان فيها في النصف الشمالي، فأشار إلى السماء فإنه يشير إلى العلو، ومن كان فيها في النصف الجنوبي، فأشار إلى السماء؛ فإنه يشير ـ بالنسبة للأول ـ إلى السُفل! وهذا مُبطل لعقيدة العلو!

وجواب هذه الشبهة أن يقال ـ زيادة على ما ذكره الشيخ أبوعبدالرحمن الظاهري ـ وفقه الله ـ:

١- يلزم من قولهم هذا أن تكون البلاد في النصف الجنوبي أسفل من تلك التي في الشمالي، فيقال مثلاً: إن البرازيل تقع تحت أمريكا، ولا أحد يقول ذلك، بل يُقال: إن البرازيل تقع جنوب أمريكا، فالاتجاهات على سطح الأرض لا يُقال فيها: يمين ويسار، وفوق وتحت، بل يُقال: شمال وجنوب، وشرق وغرب، فلا يُقال: إن البلد الفلاني يحده من فوق كذاومن تحت كذا، بل يُقال: من الشمال أو الجنوب كذا...

٢- يلزمهم على هذا القول أن تكون السماء فوق الأرض في النصف الشمالي، وتحتها في النصف الجنوبي! ومن قال هذا فقد نادى على نفسه أنه خارج من زمرة العقلاء، وإن قال الأخرى فقد أقر أن اعتراضه إنما هو مبني على الوهم.

٣- من المعلوم أن الشمس عندما تُشرق من المشرق وتكون في كبد السماء؛ فإن أهل النصف الشمالي يرون الشمس فوقهم ويشيرون إلى الأعلى عند الإشارة إليها، وفي الوقت نفسه يراها أهل النصف الجنوبي فوقهم ويشيرون إلى الأعلى عند الإشارة إليها ـ ولله المثل الأعلى ـ، وبهذا يُعلم أن العلو واحد بالنسبة للفريقين، لا أن علو أحدهما سُفل للآخر.

٤- قائل هذا الاعتراض يوافق على كون العرش أعلى المخلوقات، والسؤال بأين والإشارة باليد للمخلوق عنده لا إشكال فيه، فيُقال له: هل العرش فوق أهل النصف الشمالي، وتحت أهل النصف الجنوبي؟ أو هل إن أشار أهل النصف الشمالي للعرش، وأشار أهل النصف الجنوبي له، يكون أحدهما يشير لسُفل الآخر؟! والله الهادي.

(١) هبينغ: أحمق.

١١٦- تكـاد لهـذا القـول ممـن أتـى بـه تخـرُّ الـرواسي الـشامخات لـه خـرا
١١٧- وتنفطـر الـسبع الطبـاق لهولـه وتنشق منه الأرض أعْظِمْ بـه نُكـرا
١١٨- وهـذا لعمـري قـول كـل معطِّـلٍ كفور برب العرش قد حكَّم الفكـرا
١١٩- وخلَّـف آيـات الكتـاب وراءه وسـنةَ خـير الخلـق منبـوذةً ظهـرا
١٢٠- وأقـوال أصـحاب النبـي محمـد وأتبـاعهم مـن هـم أعـز الـورى قـدرا
١٢١- وكـل إمـام بعـدهم و محقـق عـلى الملـة البيـضاء والـسنة الغـرا
١٢٢- وسـار عـلى منهـاج مـن كـان كـافراً ومـن كـان زنـديقاً تهـوَّر واسـتجرا
١٢٣- رأى رأي جهم ذي الـضلال ومـن عـلى طريقتـه النكـرا توغـل واسـتقرا[1]
١٢٤- فقل للـذي أضحى ضـلالاتِ جهلـه وأبرزها يلهـو بهـا كـل مـن يقـرا[2]
١٢٥- طريقـة أهـل الحـق أسـنى طريقـةً وأهدى وأولى بالـصواب وهـم أحـرى
١٢٦- وأنـت عـلى نهـج مـن الغـيِّ سـائر وأصحابك الغـاوون مـن أعلنـوا الكفـرا
١٢٧- فمـن قـصرَ الـرحمن في جهـة العـلى عـلى عرشـه مـن فوقـه بـائن قـصرا
١٢٨- فلـيس لعمـري مـشركاً بإلهـه ولا عطل الرحمن من صفة تجرى
١٢٩- ولا يقتـضي مـا قـد زعمـت بأنـه لدى الفكر قد يقضي بآلهـة أخـرى
١٣٠- هـو الله ربُّ الكـل جـل جلالـه ومعبودنا الأعـلى عـلى خلقـه طُـراً
١٣١- عـلا فـوق عـرش فـوق سـبع طرائـق علـو ارتفـاع أعجـز الـوهم والفكـرا
١٣٢- فمـن قـال إن الله في جهـة العـلى على العرش لم يُشرك ولا قوله هُجرا[3]

---

(١) استقرا: تتبع.
(٢) أضحى: أظهر؛ أي جعلها ضاحية بمعنى بارزة.
(٣) الهُجر: القول القبيح.

١٣٣- فـمـا جهـة موجـودة فـوق عرشـه ... وما ثَـمَّ إلا الله مَـنْ مَلَـكَ الأمـرا[١]

١٣٤- يـدل عـلى هـذا الكتـابُ وسـنةٌ ... لخير الـورى حقاً وأعظمهـم قـدرا

١٣٥- ومن قال قول الجهم من كان كافراً ... فـما جهـة بـالله مـن جهـة أحـرى

١٣٦- فـذلك جهمـي كفـور مكـذب ... بـما في كتـاب الله والـسنة الغـرا

١٣٧- قفا إثرَ جهـم في ضـلالات كفـرهم ... فـما فرقـة إلا بكفرانـه تُغـرى[٢]

١٣٨- فعمـن روى هـذه العقيـدة غيـر مـن ... حكى أنه منهم وهم بالهدى أحرى

١٣٩- أشاعرةٌ حـادت عـن الحق واعتـدت ... وقـد عطلـوا الـرحمن عـن عرشـه جهـرا

١٤٠- ومـن هَمْـطِ مـا قـد قالـه في نظامـه ... وحَكَّمَ في معبودنا الوهم والفكرا[٣]

١٤١- (تأمـل تجـد هـذي العـوالم كلهـا ... بنسبة وسـع الله كالـذَّرَّةِ الـصُّغرى)

١٤٢- أقـول نعـم لكـن تأمـل أهـذه ... وجوديـة تحويـه أو حـلَّ أو قـرَّا[٤]

١٤٣- فـإن قلـت هـذا كنـت بـالله كـافراً ... مـن الفئـة البعـدى الحلوليـة النكـرا

١٤٤- وإن قلـت لا بـل عينهـا وهـي عينـه ... فما جهـة بـالله مـن جهـة أحـرى[٥]

---

(١) قال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص٦٦-٦٧): «فلفظ الجهة؛ قد يراد به شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السموات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى؛ كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم...» إلى آخر كلامه في الرد على الجهمية.

(٢) تغرى: تولع وتلهج.

(٣) الهَمط: التخليط والإتيان بالأباطيل.

(٤) قرا: ثبت وسكن.

(٥) القول بوحدانية الوجود وأنه لا خالق ولا مخلوق، بل الخالق عين المخلوق هو مذهب وحدة الوجود، ومن ههنا بدأ الناظم يرد على الاتحادية.

والضمير في عينها يعود إلى العوالم الواردة في قول النبهاني: تأمل تجد هذي العوالم كلها.

١٤٥- فأنت بهذا أكذبُ الناس كلهم ... وأكبرهم جرماً وأعظمهم كفراً
١٤٦- وأنت اتحادي بهذا وإن تقل ... كما قاله الجهم الذي أظهر الكفرا
١٤٧- فلا خارج عنها ولا هو داخل ... ولا هو عنها عن يمين ولا يُسرى
١٤٨- ولا هو بالمخلوق متصل به ... ولا هو عنها ذو انفصال ولا يُدرا[1]
١٤٩- فلا ربَّ موجودٌ لديهم ولا له ... صفاتٌ تعالى الله عن كفرهم طُرًّا[2]
١٥٠- وإن قلت لا بل هذه عدميه ... فما جهة فوق العلى للورى تُدرى
١٥١- وذا عدم والعَدمُ لا شيءَ فانتبه ... ودعنا من الكفر الذي قلته جهرا
١٥٢- وهذا هو الحق الصواب وغيره ... زبالةُ أفكارٍ به أحدثوا الكفرا
١٥٣- وإذا كان هذا قول كلِّ معطلٍ ... كفورٍ برب العرش مَنْ مَلَكَ الأمرا
١٥٤- ولم يبق إلا قولُ مَنْ كان مؤمناً ... بما جاء في القرآن والسنة الغرَّا
١٥٥- وما قاله صحب النبي محمد ... وأتباعه ممن على نهجهم يترا
١٥٦- وكل إمام بعدهم ومحقق ... فهم بالهدى أولى لعمري وهم أحرى
١٥٧- وذلك معلوم لدى كل مسلم ... يقرره القاري ومن كان لا يقرا
١٥٨- فما فوق عرش الرب في جهة العلى ... سوى الله مولانا الذي ملك الأمرا
١٥٩- وحينئذٍ فالله من فوق عرشه ... على كل مخلوقاته قد علا قهرا
١٦٠- وقدراً وبالذات ارتفاعاً محققاً ... على كل مخلوقاته البرَّ والبحرا
١٦١- وعُلْواً وسُفْلاً كلُّها تحت قهره ... وفي قبضةِ الرحمن أجمعها طُرًّا[3]

---

(١) يدرا: يدرأ.

(٢) طُرا: جميعاً. أي: فحصيلة مذهبهم: جحد الرب جل جلاله، لأنهم بلغوا حضيض التعطيل بنفي الصفة ونقيضها.

(٣) بدأ الشيخ يرد على شبهة «العلو والسُفل»، مع كروية الأرض، التي سبق الرد عليها فيما مضى.

١٦٢ - وإنَّ اختلافاً للجهات محققٌ ... نعم حققَ الأحبارُ أخبارها سبرا
١٦٣ - فللحيوان الست ما أنت ذاكر ... وما حكموا في غيرها ويحك الفكرا
١٦٤ - وكل مقال غير هذا فباطل ... يقدره أفكار من ضل واغترَّا
١٦٥ - أولئك أتباعٌ لكل مُعَطل ... ملاحدة ليسوا على ملة تُدرى
١٦٦ - سوى الجحد للمعبود جل جلاله ... فصرت على منهاجهم تبتغي الشرا
١٦٧ - فخذ عن ذوي التحقيق في شأن أمرها ... مقالاً وعدنا من مقالاتك النُّكرا
١٦٨ - فما فوق رأس المرء قد كان فوقه ... وما تحت رجل منه أسفله يدرى
١٦٩ - يؤم إلى شيء فذاك أمامه ... وما كان من خلف يخلفه ظهرا
١٧٠ - فليس لها في نفسها صفة لها ... ملازمة بل بالإضافات تُستقرا
١٧١ - ولكن على قدر الإضافات نسبة ... تغير بالأحوال حالاً إلى أخرى
١٧٢ - وما كان خلفاً قد يكون أمامه ... وبالعكس واليمنى كذلك واليسرى
١٧٣ - سوى الفلك الأعلى وما كان أسفلا ... فحكمهما غير الذي كان قد مرا
١٧٤ - فإنهما لم يُنعتا بتغيرٍ ... كما قرر الأعلام أخبارها جهرا
١٧٥ - فمن رام تحقيقاً لذاك فإنه ... كما ذكر الأعلام في كُتْبِهِمْ نشرا
١٧٦ - ويعسر في المنظوم من أجل وزنه ... حكاية ما قالوا وما حققوا سبرا
١٧٧ - وقولك تخليطاً وخَرْطاً ملفقاً ... بما ليس معلوماً تؤسسه هجرا
١٧٨ - «وكل علو فهو سفل وعكسه» ... إلى آخر الهَذْرِ الذي قلتَه جهرا
١٧٩ - فهذي مقالات لكل معطل ... يقدر تقديراً بأفكاره الخسرا
١٨٠ - وما هذه أقوال من كان سالكاً ... على منهج المعصوم والسنة الغَرَّا
١٨١ - فمن قال عُلُوٌّ كلُّها فهو كاذب ... فما ذاك معقول ولا حكمه مُجرى
١٨٢ - وإذا كان هذا باطلاً متحققاً ... فذلك لا يقضي بآلهة أخرى

١٨٣ - ومن قال سُفل كلها فهو صادق لأن إله العرش من فوقها يُدرى

١٨٤ - وعن كل مخلوقاته جلَّ باينٌ وهم تحت قهر الله أجمعهم طُرًّا

١٨٥ - فأنت الذي بالله ويحك مشرك وصحبك إذ أنتم بذا كله أحرى

١٨٦ - حنابلة كنا على نهج أحمدٍ إمام الهدى من كان من كفركم يبرا[١]

١٨٧ - فما هذه أقواله وطريقه ليبرأ منا أو يكون لكم فخرا

١٨٨ - ولا مالك والشافعي ولم يكن على ذلك النعمان والعلماء طُرًّا

١٨٩ - ونحن على آثار أحمدَ نقتفي ونسلك منهاجاً له قد سَما قدرا

١٩٠ - على السنة الغراء قد كان قدوةً لنا في الهدى لم نَعْدُ ما قاله شبرا

١٩١ - وما عم في هذا الزمان فسادنا بحمد ولي الحمد شاماً ولا مصرا[٢]

١٩٢ - ولكننا والحمد لله وحده على الملة البيضاء والسنة الغرا

١٩٣ - ننافح عن دين النبيِّ محمدٍ غواةً طغاةً أحدثوا في الهدى شرا

١٩٤ - كهذا الذي أبدى ضلالات غيه وحرر في كفرانه النثر والشعرا

١٩٥ - ويزعم أني بالتحكم لم أزل أجادل أهل الحق أجمعهم طُرًّا

١٩٦ - وأشتم أهل العلم بالجهل معلناً وهذا لعمري إفكه عندما أجرى

١٩٧ - ينابيعَ غي من ضلالات جهله وكان بما أبداه من غيِّه أحرى

١٩٨ - فما هو إلا جاهل متعلم وخِبٌّ لئيم خانع مفعمٌ شرا

---

(١) هذا رد على قول النبهاني:

حنابلة لكن مذهب أحمد إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرا

(٢) رد على قول النبهاني:

وقد عم في هذا الزمان فسادهم فما تركوا شاماً وما تركوا مصرا

١٩٩- وخنزيرُ طبعٍ في شمائل ناطق ... يهرُّ على أهل الهدى بالعوا هَرًّا[١]
٢٠٠- سنسقيه كأساً مفعماً في حسائه ... سماماً وشرياً في تجرعه المُرا[٢]
٢٠١- جزيناه دنيا ذا ومع كل مفتر ... على الله في الأخرى سيجزى لظى الكبرى
٢٠٢- على كفره بالله جل جلاله ... ونأطره أطراً على ذلك الأطرا
٢٠٣- ووالله ما أمليت فيما كتبته ... من الرد من فكري ضلالاً ولا هُجرا
٢٠٤- ولكن بآياتٍ وسنةِ أحمدٍ ... بما صح إسناداً من السنة الغرا
٢٠٥- وأقوالِ أهل العلمِ من كل جَهْبَذٍ ... كما هو معلوم لدى كل من يقرا
٢٠٦- وأمليتُ فيه من كلام إمامه ... كلاماً سما فخراً به واعتلى قدرا[٣]
٢٠٧- يردُّ على أتباعه في انتسابهم ... إليه الذي قد أحدثوا بعده كفرا
٢٠٨- وهذا نظامي والذي قال منشدا ... فزن ماله قلنا وما قاله جهرا
٢٠٩- فأيهما قد كان أصبح ممليا ... على فكره إبليسه كلما أجرى
٢١٠- نعم نحن أثبتنا العلوَّ لربنا ... على كل مخلوقاته لم نقل هُجْرا
٢١١- وهم عطَّلوا الرحمٰن من فوق عرشه ... وقد جحدوا أوصافه جَلَّ أن تجرى
٢١٢- وراموا لها التأويل من هذيانهم ... فتباً لهم تباً لقد أحدثوا شرا
٢١٣- وألفتُ كُتْباً نثرها ونظامها ... يؤيد أهل الحق أرجو بها الأجرا
٢١٤- وماذا علينا من مقالات أحمقٍ ... ونَبْحِ كلابٍ دائماً بالعوا تغرى
٢١٥- ولو أن من يعوي يُلَقَّمُ صخرة ... لأصبح صخر الأرض أجمعُه دُرا[٤]

---

(١) هرير الكلب: صوت له غير نباحه، يكون من قلة صبرة على البرد.

(٢) الشري: الحنظل.

(٣) يعني بإمام النبهاني: أبا الحسن الأشعري.

(٤) قال الشاعر:

=

٢١٦- وما قلت عن رأي بفهمي سفاهة ... بأمر صحيح من شريعتنا الغَرا
٢١٧- أضل به بل كان ما قلت كله ... بحمد ولِيٍّ الحمد أجمعه طُرا
٢١٨- يصدقه أهل التقى وذوو النهي ... وينكره من كان مذهبه الكفرا
٢١٩- وفي قطرٍ بالحق أضحى محمد ... يناضل عن دين الهدى كل من هَرَّا[1]
٢٢٠- وأعلن بالكفر البواح كمن غدا ... يحرر في منظومه الكفر والشرا
٢٢١- وقد غاض هذا الفَدْمُ ما قال جهرة ... فللّه ما أبدى وما قاله جهرا
٢٢٢- وقد أسهب المأفون بالذم معلناً ... لأهل الهدى والفَدْمُ ما حقق الأمرا[2]
٢٢٣- وأحسنُ شيء قاله في نظامه ... وكان به أولى وأجدرَ بل أحرى
٢٢٤- (ومن قلد الشيطان في أمر دينه ... ينال به في دينه الخزي والخُسرا)
٢٢٥- فتباً له من ماذق مارق غدا ... بمنظومه كلباً يهرُّ به هَرَّا[3]
٢٢٦- ويزعم أن الزيغ فيما يقوله ... ذوو الحق والمأفون خاض له بحرا
٢٢٧- لينفيه في زعمه وضلاله ... لئلا يُعاب الفَدْمُ في ذمهم جهرا
٢٢٨- وقد عام في تياره بضلاله ... إلى لجة من زيفه وارتضى الكفرا
٢٢٩- وقولُ الغبي الفَدْمِ مَنْ ضلَّ سعيه ... ونال بهذا الخزيَ والعارَ والخُسْرا
٢٣٠- (ولم ينفرد شُذاذُ مذهب أحمد ... فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى

=

لو كلُ كلب عوى ألقمته حجراً ... لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينار

وقال آخر: لأصبح صخر الأرض أغلى من الدُر.

(١) المراد بمحمد في هذا البيت: محمد بن حسن المرزوقي. وستأتي منظومته ـ إن شاء الله ـ.

(٢) المأفون: الأحمق ناقص العقل.

(٣) ماذق: يخلط الحق بالباطل تلبيساً وتضليلاً.

٢٣١- كمـن رد قـولي تابعـاً إثْـرَ جـده ... وأعمامه لكنهم آثروا السّترا)[١]

٢٣٢- إلى آخر الهـذر الأخس الـذي بـه ... غدا الأحمق الأشقى يعطِ به فشرا[٢]

٢٣٣- ومـا ذاك إلا أنـه ذو وقاحـة ... ومنطوقه رِكسٌ وقد أَلِفَ الشرا[٣]

٢٣٤- قضى وَطراً من شتم أصحاب أحمدٍ ... وعاد إلى قوم بهم أوقع الهُجرا

٢٣٥- لقـد ضـلَّ في يهـما مطـاوع غيـه ... فعاث فساداً خائضاً نحوه بحرا[٤]

٢٣٦- فعـاش ذمـيماً بـين أمـة أحمـدٍ ... بأوضاعه النكرا التي أوجبت خُسْرا

٢٣٧- فـما ردَّ محمـودٌ سـوى مـا أتـى بـه ... من الكفر والزيغ الذي قاله جهرا

٢٣٨- فنـال بـه محمـود عـزًّا ورفعـة ... ونال به من كل من شامه شُكرا

٢٣٩- وأعمامُـه نـالوا بـذلك رفعـة ... فطوبى لهم طوبى فقد أحرزوا الأجرا

٢٤٠- وقـد نـصروا ديـن النبـي محمـد ... وردوا على من هدّ أعلامه الكبرى

٢٤١- فمـن رام تنقيـصاً لهـم أو تهـضما ... لمقـدارهم فـالله يقـسره قـسرا

٢٤٢- ويَخفـضه مـن حيـث يطلـب رفعـة ... ويحصره عن نيل مطلوبه حصرا

٢٤٣- ويقـصره عـما تطـاول يبتغـي ... بـذلك تعزيـزاً عـلى ضـده قـصرا

٢٤٤- ولا سيَّما محمـود حيـث سـمت بـه ... مناقبه نحو العلى فاعتلى فخرا

---

(١) يعني: محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ.
ووجه الستر في ذلك أن رد الألوسي في طبعته الأولى لم يُذكر عليه اسمه، وإنما جعل باسم مستعار، وهو أبو المعالي السلامي. وقصة هذا التستر شرحها الشيخ محمد نصيف ـ رحمه الله ـ فيما ساقه عنه الشيخ ابن سبيل كما سبق في المقدمة.

(٢) يقال: عطعط الكلام أي خَلطه. والفشر: الهذيان.

(٣) أي أن منطقه نجس لما فيه من الإثم.

(٤) يهما: يهماء، وهي الفلاة لا ماء فيها.

٢٤٥- ورد علـى مـن نـد مـن كـل ملحـد ... فنال المنى والحمد واستوجب الشكرا

٢٤٦- فـما أحـدٌ إلا ويرفـع ضـارعا ... إلى ربـه كفيـه أن ينـسئ العُمْـرا

٢٤٧- ويبقيـه كهفـا للأنـام ومعقـلا ... لأهل الهدى عمن يروم لهم وَترا[1]

٢٤٨- فـما قـال أرجاساً ومـا تلـك وصـفه ... ولكنما الأرجاس من ضده أحـرى

٢٤٩- وأولى بهـا إذ هـم بكـل رذيلـة ... أحـق وبـالفحش الـذي قالـه جهـرا

٢٥٠- وهـم أهلهـا لا أهـل سـنة أحمـد ... ذوو العلم والتقوى ومن هـم بهـا أدرى

٢٥١- وألـف محمـود كتابـاً بـرده ... ضـلالات أفـاك وأبـرزه سـفرا

٢٥٢- فللـه مـا أبـدى فـأجلى غياهبـا ... من الزيغ غطى غيهـا مـن لهـا يقـرا

٢٥٣- فأصـبح ممقوتـاً بهـا حيـث أنهـا ... حوت بدعاً من غيه بل حوت كفـرا

٢٥٤- ولام عـلى تـضليلها كـلَّ مـسلم ... وحرر غيظاً فاض مـن جهلـه شِـعرا

٢٥٥- ومـاذا يـضر الـسحب في الجـو نـابحٌ ... يهـرُّ بأرجـاسٍ لـه نحوهـا هَـرًّا

٢٥٦- عـدو رسـول الله أنـت بـما بـه ... هـذوتَ مـن الإشراك والكفـر والإطـرا[2]

٢٥٧- وذاك حبيـبُ المـصطفى لاعتنائـه ... بـسنته والـذبِّ عنهـا وقـد أجـرى

٢٥٨- جـداولَ أنهـارٍ بـأقلام ردِه ... على من رَمَتْ أرجاسُه الـسنة الغـرا

٢٥٩- بأزيـال أفكـار الغـواة ذوي الـردى ... وقد أَلَّفوا في محو أعلامها كفـرا

٢٦٠- ففـار عليهـا مـن غـواة توغلـوا ... من الغيِّ ما نـالوا بـه الخزي والخُسرا

٢٦١- وأكمـد أكبـاداً لهـم وأمـضَّها ... ففاهوا بما منهم بها أوغر الصدرا[3]

---

(١) وترا: أي حقداً.

(٢) هذا البيت والذي بعده تعريض بقول النبهاني عن الألوسي.

عـدو رسـول الله أرضى عداتـه ... ومنـي ومـن أحبابـه أوغـر الـصدرا

(٣) أمضها: أي آلمها.

٢٦٢- ومـن رشـده مـا قـال فـيما كتبتـه ... وألفتـه في مـدح سـيدنا شِـعرا
٢٦٣- وأعطيتـــه مــــا للإلـــه بأنـــه ... إلهك حقًّا حيث لم تعرف الشرا
٢٦٤- ولم تعرف الإسلام حيث جعلتَ ما ... لمعبودنا للمصطفى فاقتضى الكفر
٢٦٥- فلـم يجْدِ عنك المدحُ شيئاً وإنـما ... غدوتَ به لمَّا تجازفتَ في الإطرا
٢٦٦- كأمـة عبَّـاد المـسيح وقـد غَلَـوا ... فنالوا بما قالوا الخسارة والوزرا
٢٦٧- ولو حل منك المدحُ في سفْرِ ذي التقى ... للوَّثـه إذ كـان قـد جمـع الـشرا
٢٦٨- فـما المـدح بـالإشراك إلا نجاسـة ... تلوِّث ما قد حله بعد أن يَطْرا[(١)]
٢٦٩- أليس نهى أن يقربوا أنجس الورى ... لمسجده لما عسى عَدِموا الطُّهْرا[(٢)]
٢٧٠- وذلـك أن الـشرك رجـسٌ وأهلُـه ... كـذلك أرجاسٌ وقـد أَلِفُوا الـشرا
٢٧١- فلـو حـل في سِـفر الهزبـر مـديحُكم ... للوَّثـه إذ كـان بالـشرك مُـزورا
٢٧٢- فـما هـو إلا القـدحُ لـو كنت عارفـاً ... وقـدحٌ عظـيم في شريعتنـا الغـرا
٢٧٣- ومَـع شـحنه مـن قـول كـل محقـق ... بـــشعرٍ إذا حققتـــه تلقـــه دُرَّا
٢٧٤- بمدحـة أعـلام النُّهـى وذوي التقـى ... حموا حوزة الإسلام أعظم به سِفرا
٢٧٥- وأعظـم بـه شـعراً حـوى كـل نـصرةٍ ... لأنـصار ديـن الله أعظـم بـه نـصرا
٢٧٦- ومن مدح خير الخلق تصنيفُ سفره ... وأحكم في ترصين ترصيعه النثرا
٢٧٧- فزيَّـف مـا أبديتَـه مـن ضـلالة ... وذاك هو المدح الذي يوجب الشكرا
٢٧٨- ففـي كـل سـطر مـن تقـارير ردِّه ... مديحٌ محا غيًّا حوى الكفرا والإطرا

---

(١) في هذه الأبيات تعريض بقول النبهاني في رده على الألوسي.

ومـن حمقـه أو كفـره قـال إنـه ... إلهـي وقـد أكثـر في مدحـه الـشعرا
ولـو حـل مـدحي للنبـي بـسفره ... للوَّثـه تبًّـا لـه ولـه سـفرا

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

٢٧٩- فماذا عسى إن كان ما راح منشئاً ولا منشداً بيتاً ولا منشداً شطرا

٢٨٠- بمدحٍ حوى الإطرا وكلَّ ضلالة فتباً لمدح قد حوى الكفر والشرا

٢٨١- وماذا عسى إن صغتَ فيه مدائحاً ونَوَّعتَ في أمداحه النظمَ والنثرا

٢٨٢- وعطلتَ ربَّ العرش جل جلاله عن الاستوا من فوقه فاقتضى الكفرا

٢٨٣- فما ذاك يجديك المديح لعبده وأخبرنا ربُّ العُلى أنه أسرى

٢٨٤- وقد جاوز السبع الطباق بذاته إلى الله حتى نال من ذلك الفخرا

٢٨٥- وتجحد أن الربَّ من فوق عرشه فما فوقه ربٌّ لديك ولا يُدرى

٢٨٦- لقولك في مزبور مَينك ضلةً فما جهةٌ بالله من جهة أحرى

٢٨٧- فهلاًّ به أسرى إلى تحت أرضه وعن يَمْنَةٍ أسرى به أو إلى اليُسرى

٢٨٨- وألفتَ في فضل استغاثتكم به كتاباً حوى كفراً بصاحبه أزرى(١)

٢٨٩- وليس جليلاً عند كل موحِّدٍ وكيف وقد أظهرتَ في قولك الشرا

٢٩٠- وذلك في أن استغاثتكم به بها من صريح الشرك ما أوجب الكفرا

٢٩١- وتلك لعمري من خصائص ربنا وجاء بها القرآن والسنة الغرا

٢٩٢- خلا أنه إذ كان حيًّا وقادراً يغيث أخا كربٍ ويمنحه اليُسرى

٢٩٣- وينصر مظلوماً ويدفع ظالماً ويبذل أسباباً بها تدفعُ الضُّرَّا

٢٩٤- ومن يستغث بالله جل جلاله وبالمصطفى قد كان أشرك واستجرا

٢٩٥- على الشرك بالمعبود وهو ضلالة يقررها من كان منكم بها أدرى

٢٩٦- وأعلمُ بالله العظيم ودينه وبالمصطفى منكم وقد أوضحوا الأمرا

٢٩٧- وقد بينوا والحمد لله وحده وما وجدوا للمستغيث بهم عذرا

---

(١) يعني كتاب النبهاني «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق».

٢٩٨- وكـان كتابـاً بالـضلالة مفعـماً حوى بدعاً شنعاء فأهون به سِفْرا

٢٩٩- شـواهدُ كفـرٍ أطلعتْ في سطورها شرورَ علوم كلُّ شطر حوى شرا(١)

٣٠٠- ومـا كـل قـول بـالقبول مقَابـلٌ فكيف وقد أبدى ضلالاته جهرا

٣٠١- فكانت على أحبابه من ذوي الردى جحيماً بيوم الحشر تُسعرهم سعرا

٣٠٢- ونـال بهـا أهـلُ التقـى مـن عداتـه هدىً في غدٍ حازوا به الفوز والأجرا

٣٠٣- لأنهـم لم يرتـضوا بـضلاله ولا بالـذي أبـدى نظامـاً ولا نثـرا

٣٠٤- ولامـت لمنـع الاسـتغاثة جـدَّه فتباً لمبديها الملوم الذي هَرا(٢)

٣٠٥- وقـد لامـت الـنعمان مـن أجـل أنـه رأى أنهـا كفرٌ فلـم يـرتضِ الكفـرا

٣٠٦- ومـن قولـه فـيما بـه كـان قـد هـذى وحـرره هجـواً وأبـدى بـه شـعراً

٣٠٧- (فلو خصَّني بالشتم مع عظْم جرمه لمـا لمتـهُ لكنـه عمـم الـشرا

٣٠٨- فـذَّم هـداه الـدين مـن كـل مـذهب وأعطـى لكـلٍّ مِـنْ شـناعته قـدْرا)

٣٠٩- أقـول لعمـري مـا أتـى بجهالـة بشتمك إذ أبديت من زيفك الهُجرا

٣١٠- ألـستَ أبحـت الـشرك بـالله معلنـاً كـما قلتـه فـيما تحـررِّه نثـرا

٣١١- فـلا غـرو أن صـنفتَ فيـه مـصنَّفاً وأفصحتَ عن منشوره الهُجْرَ والنُّكرا

٣١٢- وموجـب هـذا الـشتم مـا أنـت مظهـر تؤلِّفـه نثـراً وتنظمـه شـعرا

---

(١) هذا تعريض بقول النبهاني عن كتابه.

شـواهد حـق أطلعـت في سـطورها بـدور علـوم كـل سـطر حـوى بـدرا

إلى آخر الأبيات.

(٢) يقول: إن شواهد الكفر المذكورة في البيت (٢٩٩) لامت جد الألوسي، وكان معظم بيت الألوسي سلفيين. وهو يشير إلى قول النبهاني.

ولامـت لمنـع الاسـتغاثة جـده ومـن عمـه نعـمان أنكـرت النُّكـرا

٣١٣- وأما هداةُ الدين من كل مذهب ... فزور وبهتان هذوت به فَشرا

٣١٤- فما ذمَّهم محمودُ شكري وإنما ... غواةٌ طغاة أحدثوا البِدْعَ والنُّكرا

٣١٥- وأثنى على قومٍ هداة أئمة ... وكان بهم أولى ومنكم به أحرى

٣١٦- فقد كنتموا أنتم زنادقة الورى ... سواسيةً حُمْقاً ملاحدةً بُتْرا[1]

٣١٧- ومحمودُ محمودٌ على كل حالة ... لنصرته حَبْراً هِزَبْراً سما فخْراً

٣١٨- غدا الفتى تيميَّةٍ أيَّ ناصر ... نعم حيث لم يشرك ولم يقترف خُسْرا

٣١٩- وكان من الأعلام بل كان قدره ... أجلَّ من المثني به عندنا قدرا

٣٢٠- وما بلغ المثني عليه نهايةً ... ولا غاية من قدره توجب الشكرا

٣٢١- لذلك أثنى حسب ما يستطيعه ... لنصرته للمصطفى استوجب النصرا

٣٢٢- وما كان هذا النصر إلا لأنه ... لنصر النبي المصطفى أنفد العُمرا

٣٢٣- وما كان نصرُ المصطفى باتخاذه ... إلهاً مع الرحمٰن تشركه جَهْرا

٣٢٤- ونصرُ النبي المصطفى باتِّباعه ... وتكفيرِ أقوام رأوا أنه الأحرا

٣٢٥- بما يستحق الربُّ جلَّ جلاله ... فتبًّا لهم تبًّا فقد آثروا الشرا

٣٢٦- فمن كان هذا دينَه وانتحالَه ... فلن يستحقَّ العفو والصفح والعُذْرا

٣٢٧- وماذا عسى لو أنفد العمر كلَّه ... بخدمته المعصومَ بالكفر والإطرا

٣٢٨- فذاك الذي يرديه لو خال أنه ... بهذا استحقَّ النصر والفوز والأجرا

٣٢٩- وما يستحقُّ العفوَ من كان دَأْبُه ... يهرُّ بني الزهرا ويبغي لهم شرا

٣٣٠- وما ذاك إلا أنه كان طالباً ... لديهم بما خُصُّوا به حسداً شرا

٣٣١- فلو كان من نسل المجوس لديكمو ... سما عندكم من أجل كفرانه قدرا

---

(١) بُترا: مبتورون: أي مقطوعون؛ دعاء عليهم بصيغة الفأل لهم.

٣٣٢- فإذ كان من نسلِ النبي محمدٍ أعزِّ الورى قدراً وأعلاهمو فخرا
٣٣٣- وردَّ على من ندَّ عن دين جده وصدَّ عن التوحيد يبغي له النَّصرا
٣٣٤- وتنبئ بالتعريض قدحاً وفريةً فمت كمداً واخسأ فلن تبلغ الثأرا[1]
٣٣٥- فلو كنتَ من أنصار دين محمد لدى السادة الأمجاد حقًّا بني الزَّهْرا
٣٣٦- لأصبحتَ محموداً مراعىً مكرماً ولم تستحقَّ الذم والشتم والكسرا
٣٣٧- فلما عكست الأمر بؤت بما به تُناط من الفحشاء والقالة النُّكْرا
٣٣٨- فعوديت لا من أجل أنك لم تزل بذكرِ معالي جده تنفق العمرا
٣٣٩- وماذا عسى إن كنت للعمر منفقاً بذكر معالي المصطفى من سما فخرا
٣٤٠- وأنت عدوٌّ مبغض متنقص لأحبابه النافين عن دينه الكفرا
٣٤١- وتجحد أوصافَ الإله وكونه على العرش حقًّا قد علا واعتلى قدرا
٣٤٢- ومرتفعاً بالذات من فوق عرشه تعالى عن الأمثال من ملك الأمرا
٣٤٣- فإن كنت في شك من النسب الذي نقول وفيه الشكُّ تحصره حصرا[2]
٣٤٤- فما أنت إلا ضفدعٌ وابنُ ضفدعٍ فلا حقَّ تدريه ولا منكرٌ تَذْرا
٣٤٥- وشكك لا يجدي لدى كل مسلم فدع هَذْرَكَ الأخرى وفحشاءك النُّكرا

---

(١) الأبيات رد على قول النبهاني عن الألوسي:

فلو كان من نسل المجوس عذرته وقلت امرؤ يبغي لأجداده ثأرا

(٢) الأبيات رد على النبهاني في قوله مشككاً في نسب الألوسي المنتمي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لائماً له في موالاة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

ولكن نراه يدعي خير نسبة وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى في الناس شخصاً موالياً لقوم يرون الحب في جده كفرا
ومن ذا رأى في الناس شخصاً معادياً فتى بمعالي جده أنفق العمرا
إذن نحن في شك من النسب الذي يقول وفيه الشك نحصره حصرا

٣٤٦- فإنــك كالحربــاء ترنــو بطرفهــا إلى الشمس من حمق وقد أوغر الصدرا

٣٤٧- وهــل أنــت إلا مــن قريــةٍ إجــزمٍ قريَّةِ حيفا من فلسطين لا يُدرى

٣٤٨- بمــن أنــت منسوب إليــه حقيقــة فنحن على شك ودعواك لا تُجرا

٣٤٩- وقد صح عندي من أحاديث من له بحالــك تحقيــق يقررهــا جهــرا

٣٥٠- بأنــك مــن غوغــاء أنبــاط إجــزم أصابك منها الفال والحالة العُسرى[1]

٣٥١- ودعوى بني نبهان يحتاج أن يُرى بذلك ثبتاً ثابتاً عن بني الزَّهرا[2]

٣٥٢- يقــرره محمــودُ شــكري لأنــه هو العَلَمُ الفرد الذي استوجب الشكرا

٣٥٣- وصــحَّ لــدينا في اعتقــادك أنــه كمذهب أهل الاتحاد وبه أحرى

٣٥٤- وينبئُنــا عــن ذاك نظمُــك جهــرة فتباً لــه تباً لقــد أوجــب الكفــرا

٣٥٥- وقــد قــال هــذا الفَــدْمُ في هذيانــه وأبــرز جهــلاً مــن غباوتــه جهــرا

٣٥٦- (وبعــدُ فــذيَّاك الكتــاب يــدلنا على جهله طوراً على غيه طورا)

٣٥٧- أقــول لعمــري إن ذا لتهــورٌ من الفَدْم إذ أضحى بمنظومه يقرا

٣٥٨- ومــا الغــيُّ إلا مــا نحــاه ومــا محــا به الملة السمحا من الكفر والإطرا

٣٥٩- وما الجهل جهراً غير ما الفَدْمُ خطَّهُ ويحسب جهلاً أنه الأوحد الأدرى

٣٦٠- فأبــدى كتابــاً مــن ســفاهة رأيــه وحرَّر فيه الجهل والشرك والكفرا

٣٦١- حــوى كــلَّ شرٍّ مــستطيرٍ شرارُه يغــرُّ بــه الغوغــاء مــن جهلــه غــرًّا

٣٦٢- فحــلَّ عليــه اللعــن إذ كــان أهلَــه فــما ســامع إلا ويلعنــه جهــرا

---

(١) المعنى: أنه لم يُصب ممن انتسب إليهم غير الحالة العسرى.

(٢) يريد ببني الزهراء آل الألوسي، وقد حصل من القوم تراشق في الأنساب، فالشيخ الألوسي شكك في نسب النبهاني إلى طيء بـ«غاية الأماني» (٢/ ٩٢-٩٣)، والنبهاني شكك في نسب الألوسيين بالرائية الصغرى ـ كما سبق ـ.

٣٦٣- وأمــا كتــاب الألمعــي فإنــه ... كتاب حوى علماً أشاد به القُرا

٣٦٤- وأعــلى بــه أعــلام ســنة أحمــد ... وأعلامه أعلى لهم جهده فخرا

٣٦٥- وأكثر فيه النقل عن كل جهبذٍ ... ليغمر غُمراً غمره أحدث الشرا

٣٦٦- ولا شك قد أسهبت فيما كتبته ... فكثر ما ينفي بتكبيره الكبرا

٣٦٧- وكل جواب فيه معنى مطابق ... لمعنى حرام رامه الأحمق المغرى

٣٦٨- نعم كل من يهوى هواه وغيه ... يرى أنه أخطا ولم يفهم الأمرا

٣٦٩- لأنهمو في غَمرة من ضلالهم ... فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا

٣٧٠- وغاظ عدو الله تكبير حجمه ... ففاه بما أبدى لكي يدرك الثأرا

٣٧١- وما ذاك إلا أنه قد أمضه ... وأورى به في الهمط جلجاله جمرا[1]

٣٧٢- فمتْ كمداً لا عشتَ ما عشتَ آمناً ... ولا ناجياً مما أمضَّك أو أورى

٣٧٣- وما كان ما قد قال من ردِّ غيِّكم ... بتخبيط عشوا كالذي قلته فشرا[2]

٣٧٤- ولكن على النهج القويم كلامُه ... بآي من القرآن والسنة الغَرَّا

٣٧٥- وأقوال أعلام الهدى وذوي التقى ... ومنهم مصابيحُ الدجى للورى طُرَّا

٣٧٦- وسيرك في يهما مفاوز من مشى ... ثوى في نواحيها وأودى به المسرى[3]

---

(١) الهمط: الخلط والأباطيل، والجلجال اسم لما لحركته صوت شديد، والأبيات رد على قول النبهاني:

وكثر فيه النقل من دون حاجة ... ليثبت في دعواه بالكبر الكبرا

وبالحرف والقرطاس عظم حجمه ... ليحمل لعنات أتت فوقه تترى

(٢) رد على قول النبهاني:

ولكنه عشواء تخبط خبطها ... بليلٍ من الأهواء قد فقد البدرا

والفشر: الهذيان.

(٣) اليهما: الفلاة، لا يُهتدى فيها.

٣٧٧- بديجور ليل الشرك والقَدْمُ لم يكن	على منهج أسنى وقد فَقَدَ البدرا
٣٧٨- فيحسب جهلاً أنه في مسيره	وقد ضلَّ في يهما المهامه واغترّا[١]
٣٧٩- وقال كتابي وهو لا شك قد حوى	من الشرك بالمعبود خالقنا شرا
٣٨٠- كتابٌ لخير الناس قد كان نصرة	وهيهات لو يدري لأبصره كفرا[٢]
٣٨١- أينصره من كان بالله مشركاً	ومن كان زنديقاً تجاهل واستجرا
٣٨٢- وقد جعل المعصومَ ندًّا لربه	ويحسبه نصراً ومِنْ حمقه فخرا
٣٨٣- ومحمودُ شكري لم يكن متجانفاً	لإثم ولا أبدى بما قاله وزرا
٣٨٤- وقال غباء من سفاهة رأيه	وجاء بهذا لابن تيمية نصرا
٣٨٥- نعم نصرَ المعصومَ غاية جهده	وأنصارَه ممن على نهجه يترى
٣٨٦- كشمس الهدى البحر الخضم الذي به	سمت شرعةُ المعصوم واستعلنت جهرا
٣٨٧- وذاك أبو العباس أحمدُ ذو النهى	ومن كسَّرت أعداءَنا كتبُهُ كسرا
٣٨٨- وأعجب شيء أنه من ضلاله	ومن غيِّه في غمرة إذ هذى جهرا
٣٨٩- وخال سفاهاً أنه بمحلة	من العلم والتقوى فقال وقد أزرى
٣٩٠- وذلك من أغلى وأعلى مناقبي	وهذا هو الشر الذي أوجب الإزرا
٣٩١- ويبرزه للراشقين درِيَّةً	وكان به عن منهج الصدق مزورا
٣٩٢- وأعلى مقاماتٍ لمحمود قد سمت	وكانت لعمري من مناقبه الكبرى
٣٩٣- وشاد لمن عادى مناقب ظنها	مثالب قد كانت بمن خالها أحرى

---

(١) المهامه: المفاوز البعيدة.

(٢) البيت رد على قول النبهاني:

كتابي لخير الخلق قد جاء ناصراً	وهذا لأعداء النبي أتى نصرا

٣٩٤- وتلك لهذا في الحياة وبعدها ... ومحمودُ لا يُخزى بذلك في الأخرى[(١)]

٣٩٥- وما يَتِرُ الرحمٰنُ من أجرِ محسن ... ولكنه يلقى به الفوز والأجرا

٣٩٦- وأسلافُ محمودٍ على الدين قد مضوا ... وماذا عسى لو أبرزوا تقيةً تَدرا[(٢)]

٣٩٧- فإن كان قد أبدى وأظهر دينه ... وخالف مَن أخفى وللصدِّ قد ورَّى

٣٩٨- ففاق بما أبدى وأظهر وارتقى ... به شرفاً يبقى ومنقبةً كبرى

٣٩٩- وما كان ما يُخفيه خوفاً جدودُه ... وأظهره محمودُ رجساً ولا كفرا[(٣)]

٤٠٠- ولكنما إبليس في فيك خارئاً ... بأرجاسه الكبرى وأركاسه الصغرى[(٤)]

٤٠١- فأصبحتَ لا تدري سواها وإنما ... لك القحةُ الشنعَا شعاراً بها تَخْرى

٤٠٢- بفيك على من كان للدين مظهرا ... وللسنة الغَراء أظهرها جهرا

٤٠٣- فأصبحتَ ملعوناً بكل محلة ... وأصبح محمودٌ بها نائلاً فخرا

٤٠٤- وقرَّظ قولاً منك في مصر عصبةٌ ... هم الغاغة النوكا إذ قرضوا الكفرا[(٥)]

٤٠٥- ولو أنهم من أهل شرعة أحمدٍ ... لما قرضوا كفرا وأعلَوْا له قدرا

٤٠٦- ولكنهم صُمٌّ وبكمٌ عن الهُدى ... وأعينهم عميٌ فلم تبصرِ الشرا

---

(١) رد على قول النبهاني:

وذلك فخري في الحياة وبعدها ... وهذا له خزي بدنياه والأخرى

(٢) تقية: مداراة، وتدرا: تدرأ ـ بالهمزة ـ أي تدفع.

(٣) المعنى أن محموداً أظهر سلفيته التي كان يخفيها أجدادُه خوفاً من القبوريين والبدعيين.

وهذا الرد عود على قول النبهاني:

كشكري الألوسي تابعاً إثر جده ... وأعمامه لكنهم آثروا السِّترا

(٤) هذا تعريض بقول النبهاني:

هم الكلَ أعداء النبي فبعضهم ... عداوته كبرى وبعضهم صغرى

(٥) النوكى: الحمقى.

٤٠٧- نفوسُ كلابٍ في جسوم أوادم ... تهرُّ على أهل الهدى دائماً هَرَّا
٤٠٨- وقرَّظ سفراً للألوسي عصبةٌ ... عن الحق ما ازوروا ولا حرروا هُجْرا[1]
٤٠٩- وكلٌّ غدا يلقى الذي هو أهله ... إذا ما أتى عَرْض لمولاه أو نُكْرا[2]
٤١٠- نعم كلنا يلقى غداً بفعاله ... وأقواله الزلفى أو الخزي والوزرا
٤١١- وما أحدٌ منا يذمُّ ذوي الهدى ... ولكننا نُثني ونمنحه شكرا
٤١٢- ونعلي مقاماتٍ لهم بمدايح ... وننشرها نظماً ونبدي بها نثرا
٤١٣- وقد كان معلوماً لدينا بأنَّ مَنْ ... زعمتَ هداةً من ذويك وفي مصرا
٤١٤- غواةٌ طغاة لا ثقات أئمة ... فلن يستحق المدح منا ولا النصرا
٤١٥- هم الكل أعداءُ النبيِّ فبعضهم ... عداوته كبرى وبعضهمو صغرى
٤١٦- ولا كان أهلُ الزيغ والكفر عندنا ... أئمة إسلام لسنتنا الغَرَّا
٤١٧- لذلك أعطينا ولم نحترم لهم ... مقاماً لكلٍّ مِنْ عداوتنا قَدْرا
٤١٨- وللأحمق الأشقى أمضُّ عداوة ... نخصصه من تلك بالحصة الكبرى[3]
٤١٩- سنسقيه كأساً مفعماً ونذيقه ... بذاك دفاعاً عن مقالاته النُّكرا
٤٢٠- وإشراكه بالله جل جلاله ... وجَحْدِ عُلُوِّ الله من فوقنا جهرا

---

(١) هذا رد على قول النبهاني:

وقرَّظ قولي عندما تم طبعه ... مشايخ إسلام الشريعة في مصرا
وقرَّظ سفر السوء بالزور أهلُه ... ومن كان عن سبل الشريعة مزورا

(٢) غير مفهوم معنى نكرا في هذا السياق، ولعله يريد منكراً ونكيرا.

(٣) رد على قول النبهاني في ذمه لمن زعمهم أعداء محمد ﷺ.

وخصوا محبيه بنسبة حبهم ... فأعطوا لكلٍ من عداوتهم قدرا
وقد جعلوا لي حصة من كبارها ... لما علموا من حبه حصتي الكبرى

٤٢١- فقـد جـاء هـذا الفَـدْمُ أمـراً مؤيـداً ... وأظهـر في منظومـه ذلـك الأمـرا

٤٢٢- فيا مـن هـو العـالي عـلى كـل خلقـه ... عـلى عرشـه مـن فوقـه بـائنٌ طُـرَّاً

٤٢٣- أبد فئةً أضحت ليوسفَ ذي الردى ... حماةً وردءًا حيث قد أطَّدوا الكفرا

٤٢٤- ورامـوا لأنـصار الرسـول ودينـه ... بـآرائهم كـسراً وأضـداده نـصراً

٤٢٥- فتبًّـا لهاتيـك العقـول ومـا رأت ... من الرأي في طمسٍ لأعلامه جهرا

٤٢٦- وصـلِّ عـلى خـير الأنـام محمـد ... أعزِّ الـورى قـدراً وأعلاهمو فخـرا

٤٢٧- وأصـحابه والآل مـع كـل تـابع ... وتـابعهم ممـن عـلى نهجهـم يـترى

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

حرف الراء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رائيته في الرد على النبهاني

الحمد لله الذي أظهر الحق وأداله، وقمع الباطل وأزاله، أحمده سبحانه وتعالى على ما أولاه من فضل وأناله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اعتقد الحق وعمل به وقاله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي علّم الله به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غُلْفاً، فنصح الأمة وأدى الأمانة وبلغ الرسالة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وقفت على منظومة رجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن إسماعيل النبهاني[1] تجاوز فيها الحد وأقذع فيها وألحد وأسهب في مسبة أهل الإسلام وهداة الأئمة والأعلام وجاء بضروب من

(١) توفي النبهاني سنة ١٣٥٠هـ بمسقط رأسه إجزم بشمالي فلسطين، وكان أديباً شاعراً صوفياً تولى القضاء بقصبة جنين من أعمال نابلس وكوى سنجق من أعمال ولاية الموصل كما عين رئيساً لمحكمة جزاء باللاذقية، ثم بالقدس، فرئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت. وجاور بعد ذلك بالمدينة. انظر مصادر ترجمته بمعجم المؤلفين ٢٧٦/١٣.

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ

٤١٨ـ ولـلأحـمـق الأشـقـى أمـضُ عـدواة نخصصه من تلك بالحصة الكبرى[١]

٤١٩ـ سنسقيه كأساً مفعماً ونذيقه بذاك دفاعاً عن مقالاته النُكرا

٤٢٠ـ وإشراكه بالله جل جلاله وجَحْدِ عُلُوّ الله من فوقنا جهرا

٤٢١ـ فقد جاء هذا الفَدْمُ أمراً مؤيداً وأظهر في منظومه ذلك الأمرا

٤٢٢ـ فيا من هو العالي على كل خلقه على عرشه من فوقه بائنٌ طُراً

٤٢٣ـ أبد فئةً أضحت ليوسفَ ذي الردى حماةً وردءاً حيث قد أطْدوا الكفرا

٤٢٤ـ وراموا لأنصار الرسول ودينه بآرائهم كسراً وأضداده نصراً

٤٢٥ـ فتباً لهاتيك العقول وما رأت من الرأي في طمس لأعلامه جهرا

٤٢٦ـ وصلِّ على خير الأنام محمد أعزِّ الورى قدراً وأعلاهمو فخرا

٤٢٧ـ وأصحابه والآل مع كل تابع وتابعهم ممن على نهجهم يترى

تمت والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) رد على قول النبهاني في ذمه لمن زعمهم أعداء محمد ﷺ:

وخصوا محبيه بنسبة حبهم فأعطوا الكل من عداوتهم قدرا

وقد جعلوا لي حصة من كبارها لما علموا من حبه حصتي الكبرى

صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ

(٤)

منظومة

الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح

ـ رحمه الله ـ

(ت ١٣٦٩هـ)



ترجمته[1]:

قال الأستاذ أحمد الدامغ: «هو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح ـ رحمه الله ـ، والد فضيلة الشيخ إبراهيم السويح ـ رحمه الله ـ، صاحب كتاب «بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال». كان يجيد الشعر بالفصحى والعامية وأغلب شعره بالعامية.. وقد عثرت على شعر له بالفصحى في صورة مخطوطة عندي، منه قصيدة موجهة إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ طيَّب الله ثراه ـ، يهنئه فيها بفتح الأحساء، ومؤرخة في ١٥ جمادى الثانية عام ١٣٣١ هجرية ونصها:

فتحاً يقارنه بالسعد إقبالاً ... مَلكاً على أهله مسترجعاً آلا
فتحاً به بدت الأيام بهجتها ... كأنه في جبين الوقت إهلالا
فالصدر منشرح والقلب في فرح ... والنفس ترقص إعظاماً وإجلالا
بُشْراكي بِشْرك بالأحسا وساكنها ... قد اكتست من صميم الأمن سربالا
من بعدما أوقف الأعراب سَلبهم ... والترك تظلمهم نهباً وإهمالا
وأصبحوا نهبة الأعراب في وجل ... لا يأمنون على نفس ولا مالا
حتى أتيح لها حامي البلاد أبا ... تركي تتبعه الأبطال سردالا
ليأخذا الملك من أيدي غواصبه ... رغماً على من على أملاكهم عالا
في فتية من بني الأحرار يقدمهم ... تخالهم في وطيس الحرب أشبالا

(١) نقلاً عن كتاب: «الشعر النبطي في وادي الفقي» للأستاذ أحمد الدامغ، (١/ ١٤٠-١٥٠). ولم يذكر سنة وفاته ـ رحمه الله ـ، ومثله ابن خميس في «تاريخ اليمامة» (٥/ ٥٤٠).

هُنيت بالنصر والإقبال من ملك حامي الرعية وهاباً ومفضالا
لما رأيتُ لما قد صار ذكرني بيتاً به سارت الأمثال من قالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دارٌ منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وقد ذيَّل هذه الأبيات بنثر نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: إلى معالي مولى الهمم العوالي وسليل الأكارم الأعالي: أدام الله إجلاله، وأبقى على الرعية إحسانه وأفضاله، آمين. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بكمال الابتهاج تلقيت البشرى التي ملأت القلب سروراً، والأفئدة بهجة وحبوراً، وهو تجلي شموس أنواركم على ولاء الأحساء وتوابعها، فكانت عندي أحسن بشارة قرَّت بها العين، فتجاسرت لتحرير هذه الأسطر، ورفعتها لمقام مولاي أطال الله بقاه، والحمد لله الذي أقامكم مقاماً تَسرّ به الخواطر، وأحيا بكم هذه الولاية إحياء الروض بالسحب المواطر، وإني على الدوام (.....)[1] بعد ذي الجلال والإكرام بأن يحرسكم بعينه التي لا تنام، ويحفظكم بعنايته، والسلام. خادمكم الداعي لجنابكم: عبدالعزيز بن إبراهيم السويح».

---

(١) بياض في أصل الرسالة.

المنظومة

١- على وجهها الموسوم بالشؤم إذ تُقرا قصيدة أفاك أتت من بني الغَبرا

٢- فتى يوسف النبهان أهون بشخصه فتبًّا له قَدماً وبئساً له غُمرا

٣- ولم أدر من أي الطوائف نسبةً ولكن بيت السوء ظنًّا به أحرا

٤- وإني بشك أن يكون نكاحُه حلالاً وأن الفحلَ أحبلها طُهرا

٥- ومضمونها الشرك الوخيم وسبة لأعلام دين الله والسنة الغَرا

٦- وما رُوجت إلا على كل أحمق ضعيف النُهى لم يدر شيئاً ولم يُدرا

٧- وليس عجيبٌ أن يكون مغفلٌ غبي يرى بَعْراً ويحسبه تمرا

٨- لقد قال غيرَ الحق إفكاً وباطلاً ويحسبه المأفون من جهله دُرَّا

٩- تقول ابعد يا ليته قد أقالها ...... اللئيم لها النظرا[1]

١٠- فضيفتها مني قريضاً مُنمقاً ...... قد حوت نُكرا[2]

١١- وما أنا باللعان لولا اجتراؤه وكلُ فتىً يُجري بمثل الذي أجرا

١٢- كما سبَّ محمودَ الألوسي واجترا على شتمه إن اللئيم لمغترا

١٣- وسب كتاباً قد حوى كل آية من الوحي ما ألقى الخبيثُ لها الفكر

١٤- فكم من حديثٍ قد حواه وآية ولكنَّ في أذنيه عن سمعها وَقرا

١٥- ولم يدر ما قد قال من غلظ جهله فيا محنة الإسلام من سوأة كبرا

---

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة.

(٢) مكان النقط كلمات غير واضحة.

١٦- ويعتبـــه إذ رد زيغـــاً وبـــاطلاً ألا إنني أنشدت في جَدك الشعرا[١]

١٧- وما الشعر في حق الرسول بنافع لمن كان ذا شرك عن الحق مغترا

١٨- لقـد كـان ذا شـعر ونـصر يُعينـه أبو طالبٍ والشرك أحرمه الأجرا[٢]

١٩- فكم يدعي حبَّ الحسين روافضٌ ومـن فعلهـم إن الإمـام غـدا يبرا

٢٠- ومـا الحـبُّ إلا في اتبـاع طريقـه كما جاء في التنزيـل والسنة الغَرا

٢١- ومـا العلـم إلا مـن كتـاب وسـنة وما غيرها إلا المهالـك والخسرا

٢٢- فيـا أيهـا القَـدم الـذي جاء مفسداً بـسب دعـاة الـدين ظنـاً بـه فخـرا

٢٣- يسب دعـاة الـدين مـن كـل جهبـذ هداة لمن أخطـا الـصراط أو ازورا

٢٤- كما سب في مصر أخـا العلـم والتقـى فقال (منارَ السوء) يمنحهم شكرا

٢٥- وقـد غاظـه نـصرُ الهـدى وتباعـه فأوغر في صدر الخبيث له جمرا

٢٦- وفي قطرٍ سـبَّ الهـمام محمـداً كما سب في نجد سليمان واعترا[٣]

٢٧- لـئن قلـتَ هـو هـرٌ فأنـت ففـأرة وكم يُهلك الضرغام من كفه فأرا

٢٨- ومـا أنـت كفـواً أن تـصان وتُتقـى ولا عرضك المهتوك يستوجب السِّترا

٢٩- تبيِّـت في التـأليف للنـاس عُجبـةً ومهـزأةً للعـارفين كـما الـسُخرا

٣٠- أإن قـام كلـبٌ ينـبح الحـق ضَرَّه بـلى إنــه للتـيس يـشبهه طُـرًّا

٣١- وقـد قـيّض الـرحمٰن ربي لدينـه إذا هـرَّ كلـبٌ مـن يلقّمـه صـخرا

---

(١) أي أن النبهاني يتمدح بأنه أنشد الشعر في النبي ﷺ، جد الألوسي.

(٢) أي أن شعر أبي طالب في النبي ﷺ لم ينفعه؛ لأنه كان مشركاً.

(٣) أي أن النبهاني سب رشيد رضا ومجلته «المنار»، وسب الشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري، وسب الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمهم الله تعالى ـ.

٣٢- يُعَيرنــا أن قــد تنبــأ بدارنــا مسيلمةُ الكـذاب أو عِرسـه البَترا

٣٣- فكـم مـدعٍ دعـواه من كـل كـاذب فما أشأموا قِطرا ولا أسعدوا قِطرا

٣٤- ففـي مكـة ولـد النبـي وصـحبه وفيهـا أبوجهـل ومـن مثلـه كفـرا

٣٥- وكم في بلاد الله من عاش كـافراً ومن مسلم يُرجى له الخير والبرا

٣٦- وإنَّـا لنا مع صحبه خير مشهد يحققه التاريخ من كل ذي خبرا

٣٧- فكم يشهد التاريخ من موقف لنا نـصرنا بـه الإسلام إذ فرَّ من فـرا

٣٨- فسل عنهموا أبطال كسرى وقيصر فكم فتحوا مصراً وكم كسروا كسرى

٣٩- فما أفسد الدينَ الحنيفي غيرُكم فمذهبُ جهم أورث الكفر والشرا

٤٠- وفرَّق جمع المسلمين وشملهم فكم جر في الإسلام من دمعة حَرا

٤١- سريتَ على ما قال جهم فقلته لتتبعـه قطبـاً فيـا خيبـة المـسرا

٤٢- وتجحـد أن الله فـوق سـمائه ومعتقـد الله فوقـاً أتـى كفـرا

٤٣- إذا كان هذا الفوق والسُفل واحد لديك فما المعراج في قصة الأسرا(١)

٤٤- كذا صالحُ الأعمال قد جاء رفعها بـآي كتاب الله يدريه من يقرا(٢)

٤٥- فعندك ما فرعون إذ قال ابن لي لهامان ذا كفر لـديك ولا نُكرا(٣)

---

(١) إذا كان العلو والسفل عند النبهاني واحداً، فماذا يقول في حادثة معراجه ﷺ إلى السماء؛ هل هي إلى العلو أو السُفل؟!.

(٢) قال تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

(٣) أي أن فرعون لم يقل لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، إلا لأن موسى ـ عليه السلام ـ أخبره أن الله له صفة العلو ـ سبحانه وتعالى ـ.

٤٦- تشابهتما بالكفر إذ كان جاحداً ... ومذهبك التعطيل مجراكما مجرا

٤٧- ومن جمعه إذ قال لم يتوسلوا ... وما زاروا المختار في طيبة الغرا

٤٨- أقال رسول الله بي فتوسلوا ... وبي فاهتفوا في .... [1]

٤٩- وهل أرشدَ الصحبَ الكرام لفعله ... وهل جاء عنهمُ فعل ذاك أو الأمرا

٥٠- أيرضى رسول الله أن نستغيثه ... ونصرف للموتى العبادة والنذرا

٥١- حمى جانبَ التوحيد عن كل شبهة ... كمثل غلوّ السالفين أو الإطرا

٥٢- أتدعو عبادَ الله للشرك جهرة ... شددت من الشيطان إزراً لك الوزرا

٥٣- وتطلب بالإشراك أجراً وترتجي ... بسب دعاة الدين والعلم في الأخرى

٥٤- كمطعمة الأيتام من كدِّ فرجها ... وتطلب زعماً عند خالقها الأجرا

٥٥- وما ذنبنا عند الغبي وحزبه ... إذا انجال عن وجه الصواب لك السِّترا

٥٦- سوى محض إفراد العبادة كلها ... إلى الله لا ندعو نبياً ولا قبرا

٥٧- ونبغض أهل الشرك بالله والذي ... إلى بدعة يدعو ومِن فعله نَبرا

٥٨- فلا مذهب التعطيل نرضاه مذهباً ... ولا نتقي في الدين زيداً ولا عمرا

٥٩- وصلى إله العرش ربي بفضله ... على المصطفى خير الوجود أبي الزهرا

٦٠- مع الآل والأصحاب كلَّ عشية ... على ...[2] تُتلى مكررة تترا

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

المنظومة

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح ـ رحمه الله ـ

صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح ـ رحمه الله ـ

(٥)

منظومة

الشيخ محمد بهجة البيطار

- رحمه الله -

(ت ١٣٩٦هـ)



ترجمته[١]:

هو محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، عالم فقيه، أديب مؤرخ مصلح، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى من الجزائر.

كان والده عالماً أديباً، نشأ في حجره، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة، وعلى أعلام عصره، مثل: جمال الدين القاسمي، و محمد الخضر حسين، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، والسيد محمد رشيد رضا، الذي انتفع به، وسار على طريقته[٢].

وكان تأثره بالشيخ جمال الدين القاسمي كبيراً، قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة: «كان والدي ملازماً للشيخ جمال الدين، شديد التعلق به، وكان للشيخ ـ رحمه الله ـ أثر كبير، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة، والبُعد عن الزيف والقشور، وحُسن الانتفاع بالوقت والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي»[٣].

وقد اختير الشيخ «بهجة البيطار» في جمعية العلماء، ثم في رابطة

---

(١) نقلاً عن: «علماء الشام في القرن العشرين» للشيخ محمد حامد الناصر (ص١٦٦-١٧١)، وترجمة الشيخ البيطار ـ رحمه الله ـ معلومة مشهورة، من أوسعها: كتاب «محمد بهجة البيطار ـ حياته وآثار» للأستاذ عدنان الخطيب.

(٢) «تتمة الأعلام للزركلي» لمحمد خير رمضان يوسف (٢/ ٣٢٢)، و«رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص(٤١٢). وينظر: «علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٢/ ٩١٨).

(٣) «جمال الدين القاسمي» لنزار أباظة، ص(٢١٥).

العلماء في دمشق.

وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع «القاعة» في الميدان خلفاً لوالده، ثم في جامع «الدقاق» في الميدان أيضاً، واستمر فيه حتى وفاته.

تنقل في وظائف التدريس في: سوريا والحجاز ولبنان، كما أنه درَّس في الكليَّة الشرعية بدمشق: التفسير والأخلاق، ودرَّس كذلك في دار المعلمين العليا وفي كلية الآداب في دمشق. وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني.

وكان الشيخ عضواً في المجمع العلمي العربي، ومشرفاً على مجلته[1].

سافر الشيخ (بهجة) إلى الحجاز، وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وأبقاه الملك (عبدالعزيز)، فجعله مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم ولَّاه القضاء، فاشتغل به مدة ثم استعفاه، فولاه وظائف تعليمية، وجعله مدرساً في الحرم، وعضواً في مجلس المعارف، ثم دعي الشيخ بهجة لإنشاء دار التوحيد في الطائف، وأخذ معه ولديه: الدكتور يسار، من خبراء المال، والأستاذ عاصم الذي كان من أعلم مدرسي النحو، وأحسنهم طريقة، وقد اشتغل سنين في المملكة العربية السعودية[2].

---

(١) «تتمة الأعلام» لمحمد خير رمضان يوسف (٢/ ٣٢٣).

(٢) «رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص(٤١٢-٤١٣، ٤١٨).

ويحدثنا الشيخ علي الطنطاوي عن علاقته بالشيخ بهجة البيطار وعن كرمه ومعتقداته وعلمه فيقول:

«كان الشيخ بهجة البيطار معلماً في مدرسة «أنموذج الميدان الابتدائية» عام ١٩٢١م، وكان يخطب الجمعة (بعد ذلك بسنوات) في جامع الدقاق»، فكان الطنطاوي يسمع خطبه ويعجب فيها أيما إعجاب.

يقول: «كان يخطب ارتجالاً، كان يلقي إلقاءً طبيعيًّا عاديًّا كما تُلقى المحاضرات»، «وصرتُ كلما استطعت، ذهبت إليه فصليت عنده، ثم سافر إلى الحجاز...».

«ثم عاد سنة ١٣٥٠هـ، إلى دمشق وإلى الخطبة في جامع الدقاق»[1].

ويتحدث الشيخ علي الطنطاوي عما تعلَّمه من معتقدات الشيخ بهجة، فيقول:

«لقد وجدتُ أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول: بأن ما عليه السلف هو الأسلم، والأحكم. وكنت قد نشأت على النفرة من ابن تيمية والهرب منه، بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليَّ، وكنت حنفيًّا متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على

---

(١) «رجال من التاريخ»، ص(٤١٢-٤١٣).

الدليل، لا على ما قيل...، وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، بعد عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات...»[١].

ثم يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وكان اتصالي بالشيخ بهجة قد سبَّب لي أزمة مع مشايخي؛ لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون إلى الصوفية، وينفرون من الوهابية، وهم لا يعرفونها، ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه الوهابية، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنه من الوهابيين، على رأسهم الشيخ محمد بهجة البيطار...»[٢].

«ومن أعجب العجب، أن والد الشيخ بهجة كان صوفيًّا من غُلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود، على مذهب ابن عربي، وابن سبعين والحلاج...»[٣].

أما صفاته: فيحدثنا الشيخ الطنطاوي عنها بمعرفة الخبير المطلع، فيقول متحدثاً عن كرمه:

«وكنت كلما حضرت خطبة الجمعة عنده، وانصرف إلى داره انصرف معه جماعة من الناس، فوجدوا المائدة معدَّة، ففي كل جمعة وليمة، فيبقون يتحدثون، ويستمعون إلى الشيخ، حتى يؤذن العصر، فيصلّون ويذهبون».

«بقيت أكثر من ثلث قرن أصلّي الجمعة عنده، أنا وعدد من الفضلاء، وكان في إحدى جلسات منزله بعد الجمعة، الأمير شكيب أرسلان،

---

(١) المرجع السابق: ص(٤١٤).

(٢) المرجع السابق: ص(٤١٦).

(٣) المرجع السابق: ص(٤١٦-٤١٧).

عرفته من قريب عظيماً في تواضعه وفي سيرته»[١].

«كنا عند الشيخ بهجة، كأننا في بيوتنا، إن جعنا طلبنا الطعام، وإن نعسنا ذهبنا إلى الغرفة الأخرى لننام، وهو في الحالات كلها، مشرق الوجه، باسم الثغر، لين القول، فقوله درس، وسلوكه قدوة، ومجالسته متعة ما بعدها متعة، رحمه الله».

ثم يقول متحدثاً عن سلوك الشيخ بهجة:

«كان حلَّالاً للمشكلات، يستمتع بالنكتة ويقولها، لازمته أكثر من أربعين سنة، سافرت معه، شاركته في لجان التحكيم، وفي لجان رسمية، فكان في الحالات كلها الرجل الكامل الفاضل»[٢].

«وكان مطلعاً على جوانب من علوم شتى، وملماً باللغة الفرنسية، فهماً وكتابة، درسها في المدرسة (العزرية) في دمشق، وهي مدرسة نصرانية»[٣].

توفي الشيخ بهجة غرة جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ، الموافق ١٩٧٦م في دمشق، رحمه الله رحمة واسعة[٤].

وقد ترك عدة مؤلفات قيِّمة؛ من أبرزها:

- مسائل الإمام أحمد: لأبي داود السجستاني «تعليق».
- أسرار العربية: لابن الأنباري «تحقيق».

---

(١) المرجع السابق: ص(٤١٤-٤١٥)

(٢) المرجع السابق: ص(٤١٩)

(٣) المرجع السابق: ص(٤١٥)

(٤) «تتمة الأعلام» (٢/ ٣٢٣)

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للقاسمي، «تحقيق وتعليق».

- الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية.

- الإسلام والصحابة الكرام بين السنَّة والشيعة.

- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات.

- كلمات وأحاديث، بعنوان: الثقافتان الصفراء والبيضاء.

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لجده عبدالرزاق البيطار، «تحقيق وتقديم».

- تفسير سورة يوسف.

- الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية، تأليف جمال الدين القاسمي «تقديم وتحقيق»[(١)].

(١) المرجع السابق: (٢/ ٣٢٣).

المنظومــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وقفت على رسالة للشيخ يوسف النبهاني سماها: «الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا»، وهو من باب تسمية الشيء باسم ضده، فرأيت المؤلف قد تعدى بها حدَّه وتجاوزه إلى ما بعده، وكفَّر بها كبار الرجال، وفطاحل الأبطال، من الأئمة المصلحين، أهل التقوى والدين، أمثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني، والمرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والإمام الكبير والعَلَم الشهير السيد محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، وعلامة البلاد العراقية السيد محمود شكري الألوسي(١).

---

(١) يلاحَظ: أن البيطار ـ رحمه الله ـ قد أحسن الظن كثيراً بالأفغاني وتلميذه محمد عبده؛ فدافع عنهما، وأنزلهما منزلاً لا يستحقانه، وقد مضى الحديث عنهما، وذكر المراجع التي تُفيد في معرفة حالهما ـ وهذا يغني عن تعقب الأبيات التالية ـ. ولعل البيطار ـ رحمه الله ـ اغتر ـ كغيره من الفضلاء ـ بالهالة الإعلامية التي صنعها الاستعمار ثم تلاميذه لهما؛ كما بين هذا الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإسلام والحضارة الغربية».
ويلاحظ ـ أيضاً ـ: أن البيطار ـ رحمه الله ـ قد جعل الفصل الخامس من رده للانتصار للشيخ محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ، دون أن يتعرض أو يدافع عن دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ، التي هجاها النبهاني في رائيته! وظني أنه تعمد هذا؛ نظراً لحال بلاده الشام في ذاك الوقت؛ حيث كانت «الوهابية» تُهمة يُحاسب المرء عليها! وينظر لهذا: ما ذكره الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي ـ رحمه الله ـ عن المحن التي مرَّت بالشيخ جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ، جرّاء اتهامه بالوهابية، في رسالته: «شيخ الشام جمال الدين القاسمي»، ص(٣٩-٤٣).

رأيته قد تمادى بها في طغيانه، واسترسل في زوره وبهتانه، وطفق يكتب عن هؤلاء الأبرار، والأئمة الأخيار، ما أوحى إليه الشيطان، من ضروب الكذب والهذيان، حتى جاءت رسالة مفعمة بالشرور، مملوءة بقول الزور، شاهدة عليه يوم الحساب، بما جاد به عن الصواب.

وقد رددتُ عليه بهذه المنظومة، التي سميتها: «الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى»، ولم أقصد مجاراته في طول قصيدته وعرضها؛ لأن وقتي أقل من أن يتسع لمثل ذلك، ولكني كتبت ببناني ما أجراه الحق على لساني، طاوياً الكشح ما استطعت عن السب والشتم، وألفاظ البذاءة واللوم، راجياً أن يكون هذا الرد منبهاً له في آخر أمره، وخاتمة عمره، حتى يستغفر من ذنبه، وينيب إلى ربه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمـــة

١- كمال الفتى بالعقل بين الورى طرًّا	بـه يجتني علـماً بـه يبتني قـدرا
٢- بـه يرتقي فـضلاً بـه يبلـغ المنـى	بـه يقتني خـيراً بـه يتقـي شرا
٣- فمـن كـان ذا عقـل يـزين فعالـه	فقد عاش في الدنيا سعيداً وفي الأخرى
٤- ومـن يَفقـد العقـل الثمـين فإنـه	إلى النـاس والأوطـان يستحسن الـضرا
٥- إلى الله أشكو ما يلاقي أولو الحِجا	مـن العقبـات الواقفـات لهـم وعـرا
٦- فمن كل حشويّ ومن كـل جامـد	ومـن كـل شريـر يـرى فجـره بـرا
٧- فينهض ذاك المصلح الفـرد وحـده	ويـسأل مـولاه المجيـب لـه النـصرا
٨- ويـستل سيفاً مـن صـوارم نـصحه	علـيهم بـه يبقـي مكائـدهم بـترا
٩- يسوق لهم جيشاً من الحق صـارماً	فيقـذفهم قـذفاً ويـدحرهم دحـرا

الفصل الأول: في غرور النبهاني في دعاويه

١٠- ألست ترى من آل نبهان يوسفاً ... يصرح في تضليل أهل الهدى جهرا

١١- تآليفه ملأى بكل سفاهة ... فيبدي بها لعناً ويبدي بها كفرا

١٢- ويطعن في أنساب آل محمد ... ويسخر من أنصار سنته الغرا

١٣- يرى الخير في من يتمون لغيره ... وليس يرى في المتمين له خيراً

١٤- دليلي على ما قلته من ضلاله ... قصيدته المسماة رائية صغرا

١٥- حشاها بما أوحى إليه غروره ... من الإفك والبهتان مخرقة كبرى

١٦- وراح بها يرمي بكل مذمة ... أئمة هذا العصر إذ نوروا العصرا

١٧- إذا ذكر الأعلام في الدين والتقى ... يفسقهم طوراً ويكفرهم طورا

١٨- على أن دعوى الاجتهاد ضلالة ... وأن دعاة الاجتهاد أتوا نكرا

١٩- يراهم إباحيين حيث تمسكوا ... بهدي كتاب الله والسنة الغرا

٢٠- يراهم إباحيين إذ تركوا الهوى ... وما تبعوا زيداً وما تبعوا عَمْرا

٢١- وقد خص دعوى الاجتهاد بأربع ... وحرم أن الناس يعدونهم شبرا

٢٢- وقال الذي يبغي الهدى في سواهم ... فقد حاد عن سبل الشريعة وازورا

٢٣- فما قول ذا المغرور في من تقدموا ... من التابعين السابقين لهم عصرا

٢٤- أهم دخلوا في حكم من جاء بعدهم ... أم الحكم لم يشملهمو ولهم أبرا

٢٥- وهل هم إباحيون إذ هم تمسكوا ... بما في كتاب الله والسنة الغرا

٢٦- ومن ذا يراهم فاسقين وإننا ... روينا عن المختار أن بهم خيرا

٢٧- وهل ثمَّ فرق بين أتباع أحمد ... ومن بعدهم جاؤا إذا تبعوا الأثرا

٢٨- نعم لا نرى فرقاً وأي موحد ... سوى الأرعن النبهاني قال بما مرا

٢٩- وما حجر الرحمن فيض نواله ... ولكنَّ ذا المعتوه قد زعم الحجرا

٣٠- يظـن وبعـض الظـن إثـم محـرم ... بـأن دعـاة الاجتهـاد نـووا شرا
٣١- وذاك بـأن يطـوو المـذاهب كلهـا ... لكي ينشروا في الناس مذهبهم نشرا
٣٢- لقد خاض في بحر الضلال وما درى ... لما قصدوا والقوم في قصدهم أدرى
٣٣- رأوْا أن قول الحق في الخلق شائع ... وما فرقة بالحق من فرقة أحرى
٣٤- وكلهـم عـن بـذل وسـع تكلمـوا ... ورَوْم وصول الحق قد أجهد الفكرا
٣٥- وأن زعـيم الاجتهـاد لمـرةً ... يُصيب ويخطئ الحق في مرة أخرى
٣٦- وكلهم في الاجتهاد على هدى ... وما منهم إلا وقد أحرز الأجرا
٣٧- فقـام دعـاة الاجتهـاد بعـصرنا ... ليلتقطـوا مـن بـين أقـوالهم دُرًّا
٣٨- فمن قول أسلاف ومن قول غيرهم ... من القوم أهل الحق في الفرق الأخرى
٣٩- فيؤخـذ منهـا كـلُ قـول موافـق ... لما في كتاب الله والسنة الغرا
٤٠- كذا قاله شيخي الجمال لديننا ... هو القاسمي الجَد أعظم به حبرا
٤١- وتأليفه الإرشاد للخلق قد حوت ... طليعتُـه بـسطاً لـذلك فلتُـدرا

الفصل الثاني: في الانتصار للسيد جمال الدين الأفغاني

٤٢- فأول من في عصره قام صادعاً ... هو السيد الأفغاني من قد سما ذكرا
٤٣- فقد جاء مصراً قاصداً لصلاحها ... فأعمل في أرجائها همته كبرى
٤٤- سـقاها علومـاً في ينـابيع فكـره ... فأخصب روض العلم والفضل في مصرا
٤٥- وسرعان ما التف التلاميذ حوله ... ليلتقطـوا مـن بحـر أفكـاره دُرًّا
٤٦- فأرشـدهم للحـق حتـى تفوقـوا ... وأصبح كلٌ في سماء العلا بدرا
٤٧- أتهجوا إمام الشرق مصباح نوره ... جمال الهدى والدين من قد علا قدرا
٤٨- رويدك لا تنطح بقرنك صخرة ... فتَدْمى ولا تنبح بصوتك البدرا

٤٩- لقد عاش ذا الأستاذ طول حياته يؤلف للإسلام جامعة كبرى
٥٠- وأبقى من الآثار إثر وفاته على صفحات الكون ما يشرح الصدرا
٥١- فلم يبق للدهرية الدهر شبهة وأظهر للإسلام آيته الكبرى
٥٢- وعندي أن الله جل جلاله اجتباه لتجديدِ لملته الغرا
٥٣- فقد بصَّر الأقوام أسرار دينهم ودك خرافات به ألصقت نكرا
٥٤- عليك جمال الدين أكمل رحمة ولقَّاك مولاك المثوبة والأجرا
٥٥- وأغدق دمناً ضم مجدك والعلا شآبيب رضوان غدت فوقه تترا

الفصل الثالث: في الانتصار للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

٥٦- ومن بعده قد قام لله داعياً إمامٌ يقول الحق بين الملا جهرا
٥٧- هو السيد الأسنى محمد عبده ختام أولي التحقيق من قد سما قدرا
٥٨- توخى طريق الجد في طلب العلا إلى أن غدا في مصره آية كبرى
٥٩- ونال بها الإفتاء بعدُ وقد غدا بها الباطل مخذولاً بها الحق مفترا
٦٠- وأصبحت الفتيا كسالف عصرها بحكم كتاب الله والسنة الغرا
٦١- وقد أوجب الرحمن هذا وإنه أطاع بذا مولاه وامتثل الأمرا
٦٢- فحيث دعانا لاتباع كتابه يحق علينا بعدُ أن نقفوا الأثرا
٦٣- ويالهفي كم نال من جاء داعياً لنأخذ بما جاءت به الشرعة الغرا
٦٤- فكم أوسعوا سباً وحوباً وذلة وكم أرهقوا عسراً وكم أُخذوا قسرا
٦٥- وقد أودعوا في السجن أسرى ولم يكن فكاكٌ لهم حتى لقد أودعوا القبرا
٦٦- وهذا ابن نبهاني أتى في زماننا مخازي أضحى في الورى أمرها إمرا
٦٧- يحاول تعليم التعصب والهوى ليرجع فينا الطعن واللعن والكفرا

٦٨- وإلا فما هذا التباغض والجفا ... وإلا فما هذا التخاذل والإزرا
٦٩- أما آن أن نسعى لتأليف شملنا ... وأن نهجر البغضاء من بيننا هجرا
٧٠- على مَ هجا علامة العصر عبده ... على م ترى قد حرم الكتب أن تقرا
٧١- وهلا أعار الطرف نظرة منصف ... وحَكَّم في أبحاثه العقل والفكرا
٧٢- وبيَّن ما قد كان حقاً موافقا ... وبيَّن ما قد خالف الشرع وازورا
٧٣- أما هكذا كان الجدير بشأنه ... أيرضى رجال العلم والفضل ما أجرى
٧٤- هو الحسد الممقوت يفري بربه ... فقد يجعل المعروف في عُرفه نكرا
٧٥- ألا إن تفسير الإمام محمد ... لمن خير تفسير غدا في الورى يُقرا
٧٦- نعم فسر القرآن من جاء قبله ... بفضل تفاسير بها استوجب الشكرا
٧٧- ولكنَّ ذا التفسير قد جاء وافياً ... بحاجاتنا في كل عصر تلا عصرا
٧٨- وقد أوضح الأستاذ أن كتابنا ... على سنن العمران ينطبق الدهرا
٧٩- وضَمَّن ذا التفسير نقد كلامهم ... بتأويل آيات غدت كلها تبرا
٨٠- وكم ذا أساء الشيخ نحو إمامنا ... برائيةٍ صغرى وكم ذا به أزرى
٨١- وكم ذا افترى إفكاً عليه محرماً ... تمور الجبال الراسيات له مورا
٨٢- فمما افتراه ما ادَّعاه بأنه ... يُضلل أهل العلم مذ تبعوا الغيرا
٨٣- ومما افتره ما ادعاه بأنه ... بلا مانع قد أهمل الظهر والعصرا
٨٤- ومما افتراه ما ادعاه بأنه ... يحُلل شرب الخمر أو يشرب الخمرا
٨٥- وما قال في ترك الإمام لحجه ... فإن صح لا ريب أن له عذرا
٨٦- وأعجب من ذا ما حكاه لبعضهم ... برؤيته عين الإمام غدت عورا
٨٧- فأوّل أن الشيخ دجال عصره ... وما زال دجالاً وإن سكن القبرا
٨٨- فإن كانت الأحلام تنهض حجة ... ومن لفظها يُستنبط الخير والشرا

٨٩- فإني أُخبركم برؤيا عجيبة رآها تقي صالح يفعل البرا
٩٠- فذا حسن فتح الإله مقامه ببيروت وهو البدر أكرم به بدرا
٩١- وقد حج بيت الله في مكة الهدى وزار رسول الله في طيبة الغرا
٩٢- رأى المصطفى في حالة النوم عنده وأنواره كالشمس في الصحوة الكبرى
٩٣- يقول ألا مبلغ كلامي ليوسفٍ بأن امتداحي منه ليس له ذخرا
٩٤- وأني عنه غير راضٍ وإن يكن غدا مادحي نظماً غدا مادحي نثرا
٩٥- وهذا هو المعهود في سيد الورى وهذا هو المعهود في من درى الأمرا
٩٦- فإن التآليف التي قد نشرتها بمدح إمام المرسلين أبي الزهرا
٩٧- فأنت بها تبغي الدنا وحطامها ولست بها تبغي المثوبة والأجرا
٩٨- وبعد فذا أستاذنا القاسمي قد أتى حضرة الأستاذ في قاعة كبرا
٩٩- وشاهد منه الوجه أبيض مشرقاً كأن ضياه الشمس قد فقدت سترا
١٠٠- عليه من أنواع الحلي أجلها وكسوته في سندس قد غدت خضرا
١٠١- كأن صفا المرآة نور ثيابه أو البرق حتى يأخذ البصر البهرا
١٠٢- أناملـه منظومـة بخـواتم من الذهب الإبريز قد فاقت الحصرا
١٠٣- لعمري ما حور الجنان ...... بأجمل من مرآة ....(1)
١٠٤- أقول ولا أخشى ملامة لائم كذا فلتكن رؤيا الخيار ولا فخرا
١٠٥- ولا بَدعٌ أن نال النعيم فإنه بطاعة مولاه لقد أنفق العمرا
١٠٦- فهل ثمَّ حبر ما بكى لفراقه وهل ثمَّ حبر ما رثى ذلك الحبرا
١٠٧- عليه سلام الله ما ذر بارق وما شوهدت آثاره في الملا تقرا

---

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة.

الفصل الرابع: في الانتصار للعلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

١٠٨- وإن تلاميذ الإمام تواطؤا على نهج ذلك الليث واستسهلوا الوعرا

١٠٩- وسلوا سيوف الحق فوق عداته بذا نصروا دين النبي أبي الزهرا

١١٠- وإن لمن خير التلاميذ نسبة وأغزرهم علماً وأرفعهم قدرا

١١١- منار الهدى بحر الندى قاهر العدى رشيد رضا من أحرز الفخر والنصرا

١١٢- إمامٌ إذا ما المشكلات تعقدت وأعجزت الأبطال أن يدركوا السرا

١١٣- أتوه سراعاً يقصدون جنابه ليكشف عن وجه الخفا لهم السترا

١١٤- فيوضح منها كلَّ ما كان غامضاً ويُصبح بعد العسر إدراكها يسرا

١١٥- يراعتهُ إن هزها بيمينه على طرسه تستحقر البيض والسمرا

١١٦- وهذا منار العلم قد صاح في الورى ففي سائر الأقطار قد زلزل الكفرا

١١٧- يجوب بلاد الله شرقاً ومغرباً ويجتازها براً ويجتازها بحرا

١١٨- وقد نقد النبهاني بعض مباحثٍ بأجزائه أبدى المنار لها ذكرا

١١٩- ومنها حديث الشمس بعد غروبها فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا

١٢٠- فقد سألوا عنه المنار وأنه أجابهم فيما رأى أنه الأحرى

١٢١- أجاب بأن المصطفى لم يجئ بما بذي النشأة الأولى مع النشأة الأخرى

١٢٢- أقام على هذا دليلاً بأنه نهى صحبه أن يأبروا نخلهم أبرا

١٢٣- فلما بدا عكس الذي هو آملٌ فقال لهم أنتم بدنياكمُ أدرى

١٢٤- وهيهات أن تدري معاني كلامه ومن أين للخفاش أن يُبصر البدرا

١٢٥- على السيد المفضال بذل اجتهاده وليس عليه أن يعلمه الحُمْرا

١٢٦- ولما أتى الأستاذ بيروت أظهرت له أهلها فيها المسرة والبشرا

١٢٧- وأقبل طلاب العلوم ليسألوا أندخل للتعليم كلية كبرى
١٢٨- فجوز تعليم العلوم لهم بها بشرط امتثال الأمر للشرعة الغرا
١٢٩- وذا يوسف النبهاني غير حكمه برائية صغرى وقد عكس الأمرا
١٣٠- ومن كذبه لم يستحي عند قوله ببيروت للإسلام قد جوز الكفرا
١٣١- وقال بأن الشيخ فتواه هذه بها هوو الأبناء قد كفرو طرا
١٣٢- وزين للإسلام في مصر طرده وإبعاد رب العلم أو الفضل عن مصرا
١٣٣- وأثنى على من كان بالشر ساعياً من الشام لماأن أرادوا به شرا
١٣٤- إذا ما أتى يوماً على ذكر ما جرى له عدَّه تاجاً يتيه به فخرا
١٣٥- أما ونصير المصلحين بجعله طروسهم بيضاً وأقلامهم سُمرا
١٣٦- لقد أخطأ النبهاني فيما أتى به بمدح أناس قد غدا فعلهم نكرا
١٣٧- أيثني على قوم ويشكر صنيعهم وما اقترفوه ما أحاط به خبرا
١٣٨- أيثني عليهم بعد أن بان شرهم وأصبح بين الناس أمرهم إمرا
١٣٩- ألم يعلم النبهاني أن الذين أتوا به أوقعوا بين الملا فتنة كبرى
١٤٠- ومع ذا فيغريهم بإيقاع مثلها وأن لهم عند الإله بها أجرا
١٤١- فهل ثم ذو عقل يقول بقوله ومن ذا من الإسلام يجري الذي أجرى
١٤٢- عليه من الجبار ما يستحقه له الحكم في الدنيا له الحكم في الأخرى

الفصل الخامس: في الانتصار لعلامة العراق السيد محمود شكري أفندي الآلوسي

١٤٣- وأما الألوسي حَبْر بغداد فهو من أئمة هذا العصر أعظم به حبرا
١٤٤- فأهديه من شكري ثناءً معطراً ولست أؤدي ما حييت له شكرا
١٤٥- أمانيَّ في سفر له فبه ترى سهاماً على النبهاني قاصمةً ظهرا

١٤٦- فقد كشف الأستار عن جهله بما عليه به سقف المساوئ قد خرا

١٤٧- وألقمه صخر الحِجاج مبرهناً فمن هوله قد كاد يُسكنه القبرا

١٤٨- ولست أرى أن الذي قد حدا به على نظمه ذا الوقت رائية صغرى

١٤٩- سوى ذلك السِّفر العجيب الذي به الإمام الألوسي أحرز الفخر والنصرا

١٥٠- وماذا عسى أني أقول ومدحه من العلماء قد طبق البر والبحرا

١٥١- أقر له الأعلام بالفضل والتقى وألبابهم في سِفره قد غدت حيرى

١٥٢- إذا ما أجلت الطرف في حسن روضه رأيت من التحقيق ما يُدهش الفكرا

١٥٣- غدا ناصراً للدين فيه وإننا لنشكره سراً ونشكره جهرا

١٥٤- وأحمد ربي شاكراً ومصلياً على المصطفى الهادي المشفَّع في الأخرى

تمت على يد ناظمها الفقير لله
محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار
الدمشقي، وذلك في ١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢.

أعدتُ النظر على هذه المنظومة باقتراح صديقنا الأستاذ الجليل الشيخ محمد أفندي نصيف ــ حفظه الله وأدامه ذخراً للعلم وأهله ــ، وذلك في جُدَّة ليلة الجمعة ٢١/ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ.

وكتبه الفقير إليه سبحانه: محمد بهجة البيطار.

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

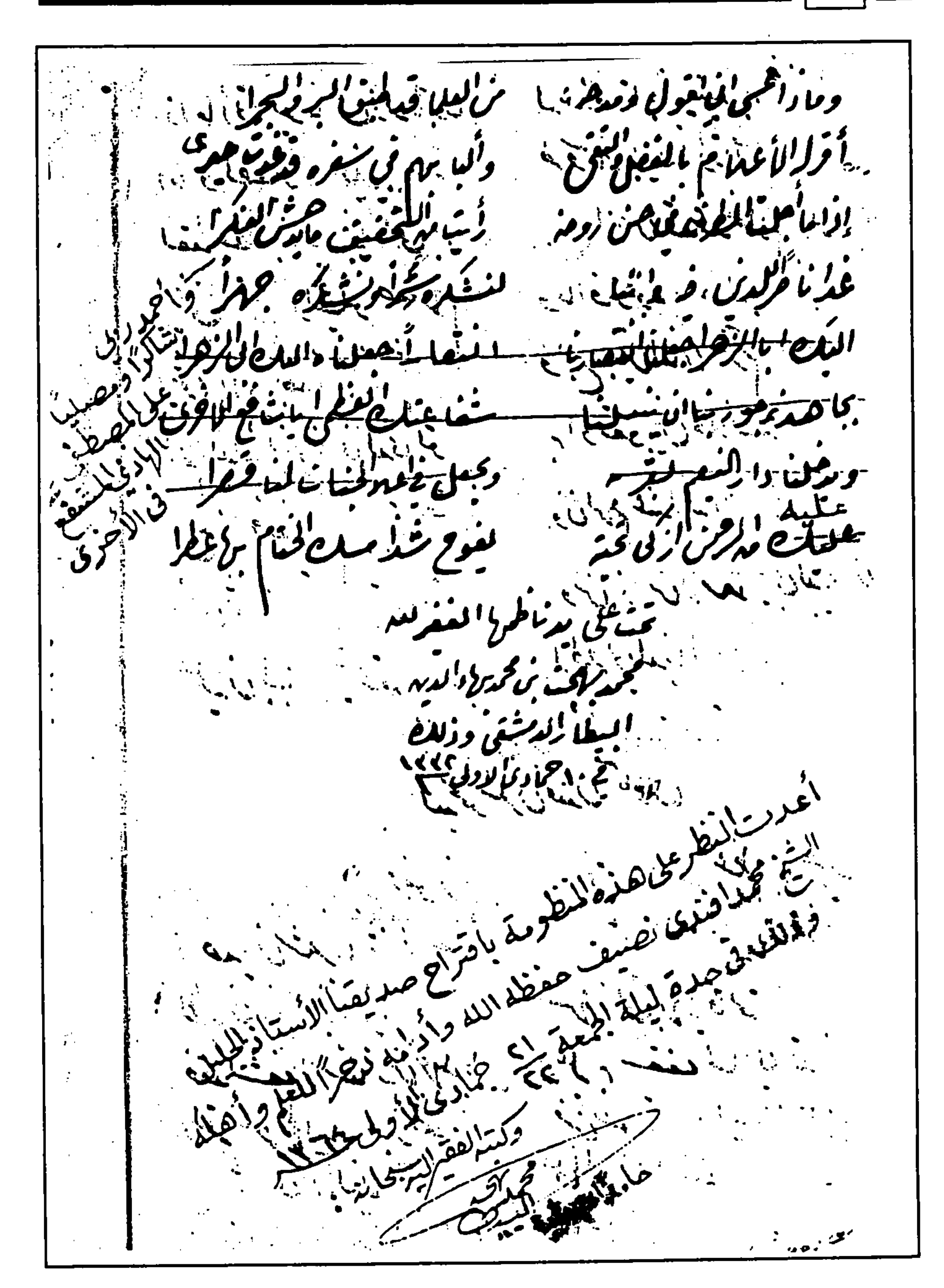
٦٠

محمد بهجت البيطار الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه اجمعين. وقفت على رسالة للشيخ يوسف النبهاني سماها (الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا) وهو من باب تسمية الشيئ باسم ضده. فرأيت المؤلف قد تعدى بها حده، وتجاوزه الى ما بعده، وكفر بها كبار الرجال، وفطاحل الابطال من الائمة المصلحين، اهل التقوى والدين، امثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني، والمرحوم الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والعلامة الكبير، والعلم الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) وعلامة البلاد العراقيه السيد محمود شكري الآلوسي. رأيته قد تمادى بها في طغيانه، واسترسل في زوره وبهتانه، وطفق يكتب عن هؤلاء الابرار والائمة الاخيار، ما اوحى اليه الشيطان، من ضروب الكذب والهذيان حتى جاءت رسالته مفعمة بالشرور، مملوءة بقول الزور، متشابهة عليه يوم الحساب، بما حاد به عن الصواب. وقد رددت عليه بهذه المنظومة التي سميتها (الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى)، ولم اقصد بها مجاراته في طول قصيدته وعرضها، لأن وقتي اقل من ان يتسع لمثل ذلك، ولكني كتبت ببناني، ما اجراه الحق على لساني، طاويا الكشح ما استطعت عن السب والشتم والفاظ البذاءة واللؤم، راجيا ان يكون هذا الرد منبها له في آخر امره، وخاتمة

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ محمد بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ



صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ محمد بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ

(٦)

منظومة

الشيخ محمد بن حسن المرزوقي

ـ رحمه الله ـ

(ت ....هـ)



ترجمته:

هو محمد بن حسن المرزوقي الأنصاري القطري، أحد علماء الدعوة السلفية بقطر، كان معاصراً للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمهما الله ـ وكانت بينهم مراسلات ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ. قال عنه الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ: «له مقام محمود في نشر الدعوة السلفية، ومحاربة أعدائها، وممن تصدى للرد عليهم؛ كالنبهاني وغيره».

قال صاحب كتاب «الأدب القطري الحديث»[1]: «ومن أدباء المرحلة الأولى ـ أيضاً ـ: الشاعر محمد بن حسن المرزوقي، وهو شاعر تذكر بعض المصادر أنه كان حاد المزاج، له مهاجاة مع كثير من شعراء عصره[2].

وعلى الرغم من أن الشاعر المرزوقي قد عاش في النصف الأول من القرن الحالي؛ إلا أننا لم نستطع معرفة الكثير عنه وعن أشعاره، سوى قصيدتين؛ إحداهما في كتاب «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار» لابن درهم، وهي قصيدة قالها في مدح الشيخ عبدالله بن جاسم،

---

(١) الدكتور محمد عبدالرحيم كافور، ص(٨٢).

(٢) الذي ذكر هذا: الأستاذ عبدالبديع صقر في تقديمه لديوان الشاعر القطري ماجد الخليفي، حيث قال عن المرزوقي (ص٣): «له قصائد جيدة في الرد على النبهاني والجهمية، وفي الدفاع عن التوحيد، وكان حاد المزاج، له مناوشات أدبية، وهجاء لكثير من أهل عصره». قلت: يتبين صدق هذا في تأمل موقفه مع الشيخ ابن سحمان ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ، رحمهما الله.

مطلعها[(١)]:

تدومُ بالعز والإقبال والظَفَر ... في نعمة الله تبقى مدة العُمر

والقصيدة الأخرى في رثاء الشيخ جاسم بن محمد، وهي قصيدة طويلة...

ومن أبياتها:

مَضى غَارِسُ التَّوحيدِ في قَطر النَّدَى ... مَضى هادِمُ الأَهْواءِ والبِدَعَاتِ
مَضى بَعْدَ ما أَحْيَا مِن الجودِ والهُدَى ... رُسُوماً لَهُ في الدَّارِ كالهَضباتِ
بَنُو قَطَرٍ مِنْ قَبلهِ بِجَهالَةٍ ... مَمَاليكُ لِلأَهْوَاءِ والشَّهَواتِ
أئِمَّتُهُمْ أبناءُ جَهْمٍ تَؤُزُّهُمْ ... فزالتْ بِمَهْدِي الرُّشْدِ والبَرَكَاتِ
فَلَمْ يَمْضِ حَتَّى عَلَّم المَجْدَ كُلهمْ ... بِصَائِبِ فِكْرٍ يُدْحِضُ الشُّبُهَاتِ
وعَلَّمَهُمْ نَهْجَ المكَارِمِ والتُّقَى ... وَجَاءَ بِأَحبارِ الهُدَى ودُعَاةِ
وَأَجْلَى دُعَاةَ السُّوءِ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ ... وَمِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي لَبَسَاتِ
طَرَائِقُ صوفِيٍّ «وزَارٌ» «وَمولِدٌ» ... نَفَاهَا بحَدِّ السَّيْفِ والكَلماتِ
وعَلَّمَهُم نكْرَ الفَواحِشِ جَهْرَةً ... وَأَذْهَبَ مَألُوفَاتِهِمْ بِعِظَاتِ[(٢)]

وجاء في كتاب «انتخاب الدرر من شعراء قطر»[(٣)]:

«الشيخ محمد بن حسن المرزوقي: ويسمى القطري والأنصاري

---

(١) «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار»، لعبدالرحمن بن درهم (٣/ ١٠٧٢).

(٢) «الأدب القطري الحديث»، ص(١٩٨-١٩٩). وانظر: «درر المعاني في مدح آل ثاني» (١/ ٣٣٢)

(٣) يضم ثلاثة دواوين: (الفيحاني - الخليفي - شاهين)، عني بطبعه: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري - رحمه الله -.

أيضاً، له قصائد جيدة في الرد على النبهاني، والجهمية، وفي الدفاع عن التوحيد، وكان حاد المزاج، له مناوشات أدبية وهجاء لكثير من أهل عصره، وللآن لم نعثر على شيء منها»[١].

قلت: هذا ما وجدته عن الشيخ المرزوقي ـ رحمه الله ـ، وبقي أن أشير إلى ما حدث بينه وبين الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ الذي سبقت ترجمته في المقدمة، وأن له ردًّا على النبهاني. فقد اختلف المرزوقي معه في حكم الجهمية الموجودين حول بلادهم، فذهب المرزوقي إلى أنهم كفار لا يُعذرون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، وأن الذي لا يكفرهم، فهو مثلهم، ورأى الشيخ حسين أن هناك اختلافاً بين العلماء في تكفيرهم، فلا يجوز تكفير من لم يكفرهم، وتحزب لكلٍ منهما فريق يؤيده، فانتصر يوسف بن شبيب الكويتي لرأي الشيخ حسين، وألف رسالة بعنوان «نصيحة المؤمنين» سنة ١٣٢٥هـ.

فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتابه «كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين»، قال في مقدمته:

«الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد...

---

(١) ص(٥).

فإنه بلغنا عن بعض الإخوان الساكنين بالساحل من أرض عُمَان أن في جهتهم جهميةً، وإباضية، وعُبَّادَ قبورٍ متظاهرين بمذاهبهم وعقائدهم، مظهرين العداوة للإسلام وأهله. وذكروا أنه كان لديهم أناسٌ ممن ينتسب إلى العلم والطلب يجادلون عنهم، ويوالونهم، ويَفِدُون إليهم، ويأخذون جوائزهم وصلاتهم، ويأكلون ذبائحهم.

وهؤلاء الجهمية الذين كانوا بالساحل من أرض عُمَان قد شاع ذكرهم، وانتشر خبرهم، وظهر أمرهم من قديم الزمان. وكذلك الإباضية الذين كانوا بهذا الساحل معروفين مشتهر أمرُهم، لا يخفى على أحد.

وقد راسلنا بعض الإخوان في هؤلاء الذين يوالونهم، ويجادلون عنهم، فظننا أن الأمر ليس كما زعموا، وأحسنا الظَنَّ بمن هناك من طلبة العلم، فلم نُنْعِمْ الإخوانَ بجوابٍ، ولم نسمح لهم بخطابٍ، إلا نحضّهم على الصبرِ على الأذى، وتحمل المشقة والبلوى، وبذل النصيحة لهم، والتلطف في الدعوة لهم، والدعاء لهم بالهداية، حتى رأينا لهم رسالةً طبعها لهم بعضُ الغزاونةِ أولادِ عبدالله الغزنويِّ رحمه الله، ونسبوها إلى رجلٍ يقال له: يوسف بن شبيب الكويتي.

وهذا الرجلُ لم يكن معروفاً بالعلم والدراية، ولا بالمعرفة والرواية، بل كلامُه وتركيبُه يدل على جهله، وعدم معرفته. وقد قيل إن الذي أَلَّفها غيرُه ممن يترشح للعلم والمعرفة.

وقد نقل هذا المؤلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه نقولاً يُلبس بها على العوام الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام، ولا دراية لهم بموارد الأفهام. ويوهمهم أن هذه النقول التي نقلها عن شيخ

الإسلام ابن تيمية تدل على ما ذهب إليه من عدم تكفير الجهمية الخارجين عن شريعة الإسلام، ويظن أن هذه النقول له، وهي عليه لا له، كما سنبينه إن شاء الله تعالى، وننقض استدلاله، وما ذاك إلا أنه ليس له إلمامٌ بهذه الصناعة، ولا متجرَ له في هذه البضاعة...».

ثم أخذ ـ رحمه الله ـ في الرد عليه، والانتصار للمرزوقي ومن معه، مورداً أقوال السلف في هذا الشأن.

ولكن الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ لم يقتنع بهذا، وأرسل مستفتياً الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ـ رحمه الله ـ عن هذه المسألة، فلما رأى الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ سؤاله وما فيه من تجنٍ على المرزوقي ومن معه، ألف رسالة في الرد عليه سماها: «كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس»، ومن قوله فيها:

«ثم إنه بلغني أن حسين بن حسن وضع قصيدة ينتصر فيها لهؤلاء القوم، ويهجونا فيها... وقد كنتُ فيما سلف معرضاً عنه وعن غلطاته وورطاته، مراعاةً لحق والده ولإخوانه؛ ولأنهم يزعمون أن هذا مما قيل على لسانه، وطلبوا مني أن لا أستعجل بالجواب حتى أتحقق منه ذلك؛ لأنهم ظنوا أن هذا لا يصدر منه؛ لأنه خلاف ما يعتقدونه، وخلاف ما عليه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، والفضلاء والنبلاء من أولاده وتلامذته، بل هو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فلما رأيت هذه الورطات، وسفاسط هذه الغلطات بقلمه، وتحققت ذلك منه في هذا السؤال، عدلت عن الجواب بالنظم، وبينت له الأحكام التي زعم أني أجهلها، وهي بحمد الله لاتخفى على أدنى طلبة العلم، وقد وضحها أهل

العلم وبينوها، ولكن عميت عين بصيرته عنها، وأخلد إلى الأرض واتبع هواه»[(١)].

وقال ـ رحمه الله ـ: «ثم إني قد رأيت لهذا الرجل[(٢)] قصيدة اعترض فيها على محمد بن حسن المرزوقي وإخوانه، من أهل ساحل عمان، قال فيها أعظم وأشنع مما قاله في سؤاله من عدم تكفير الجهمية، وأن للعلماء فيهم قولين، وفيها إلزام من كفر الجهمية بتكفير طوائف من أهل السنة والجماعة، وأن من كفَّر إباضية أهل هذا الزمان فقد كفَّر جميع الصحابة، لاسيما علي بن أبي طالب!

فقال يهجو من نازعه في هذه المسائل:

فقلنا لـه هـذا الجـواب لقـولكم	ألا فاسمعوا قول الهداة الأطايب
فأما الـذي قـد قلتمـوا قبلُ أنكـم	حكمتم بكفر القوم من كل جانب
لأنهمـوا مـا كفـروا شرَّ فرقـة	وهـم تـابِعو جهـمٍ بكـل المعائـب
فقولـك هـذا قـد تـضمن واقتـضى	لتكفـير أهـل العلـم أهـل المناقـب
وذلـك خَلـق مـنهم طـال عـدّهم	فما كفَّروا الجهمي ردي المذاهب»[(٣)]

وقال الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ في أول كتابه «تمييز الصدق من المَين في محاورة الرجلين»:

«من سليمان بن سحمان إلى الأخ عبدالله بن الشيخ حسن بن حسين

---

(١) ص(٣٠-٣١).

(٢) أي: حسين بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ.

(٣) ص(٨٨-٨٩). وقد رد المرزوقي على قصيدة الشيخ حسين هذه ـ كما سيأتي إن شاء الله.

سلمه الله تعالى وهداه، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد وقفت على جواب حسين الذي أرسل إليكم، وتأملته فلم يكن فيه شيء ممَّا وقع النزاع فيه، بل حاد عن ذلك، وصدَّر كلامه بالكذب على محمد بن حسن المرزوقي،وأنا أذكر لك ما في كلام أخيك من الكذب على المرزوقي، وما فيه من الخطأ والغلط والوهم، فإن بان لك ما ذكرته، واتضح لك كذبه على المرزوقي وغلطه ووهمه، فالواجب الرجوع إلى الحق، وعدم التعدي على المرزوقي، وبهته بما ليس فيه، وتبيين غلط أخيك، وإن أشكل عليك شيء من كلامي، ولم يتضح لك؛ فاعرضه على المشايخ، فإن كان حقًّا فالواجب قبول الحق، وإن كان خطأً رجعتُ إلى الحق»[1].

ثم بيَّن تحريف الشيخ حسين لكلام المرزوقي ـ رحمهم الله ـ، إلى أن قال:

«ثم اعلم ـ وفقك الله لما يحبه ويرضاه ـ أنه ليس المقصود بهذا الكلام الانتصار للمرزوقي على أخيك، ولا لأنه اعترض عليَّ وهجاني، إنما المقصود بيان الحق، وردُّ الباطل على مَنْ قال به كائناً من كان، ولأن أخاك قال في رسالته: «فرحم الله رجلاً وقف لنا على زلة وهفوة فأرشدنا إلى الحق، فإن الحق ضالة المؤمن، يأخذه حيث وجده»، فهذه مما نبيه[2] عليه، فإن رجع إلى الحق، فالحمد لله رب العالمين، وإن لم يرجع

(١) «إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة والجهمية»، ص(١٢٣).

(٢) على اللهجة الدارجة في «نجد»، والمقصود منها: «يصبح عليه».

وتمادى في الباطل، فقد قامت عليه الحجة بالبيان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً»[1].

ثم أورد ابن سحمان ـ رحمه الله ـ قصيدته التي يرد فيها على الشيخ حسين ـ رحمه الله ـ، ومنها هذه الأبيات التي تتعلق بالمرزوقي[2]:

ومن قوله في نظمه حين ما هذىٰ	وقال من البهتان ما هو قائله
(وتحسن ظناً بالهُويلي[3] محمد	ومن كان في البهتان ظلماً يماثله)
أيجوز ظن السوء بالمسلم الذي	يقول مقالاً تستبين محامله
أقول به كسرٌ يبين لذي النهى	وبيت مضى قد قال فيه وذاهله
وما الطعن في الأنساب من أمر ديننا	فسل عنه أهل العلم إذا أنت جاهله
بلى إنه للجاهلية مذهبٌ	فسرت على منهاج مَنْ ذاك باطله
وليس على عبد تقيٍّ نقيصة	إذا حقق التقوى وبانت فضائله

(١) المصدر السابق، ص(١٥١). وقد رجع الشيخ حسين ـ رحمه الله ـ عن قوله ـ ولله الحمد ـ.
قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ في إحدى رسائله للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ: «وما عرفتم به محبكم كان لديه معلوماً، خصوصاً وصول حسين إليكم، واعترافه بخطئه، ورجوعه، والحمد لله». انظر الرسالة في «دارة الملك عبدالعزيز» برقم (٢٥٢). نقلاً عن هامش «إجماع أهل السنة..»، ص(٢٣).

(٢) المصدر السابق، ص(١٧١-١٧٩).

(٣) الهويلي: أي محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ، نسبة إلى أسر عرب فارس المسمين هناك بالهولة. قال الأستاذ محمد بن دخيل العصيمي: «هذه الأسر والقبائل تسمى في اللهجة الفارسية «هوله»، ومعناها «حوله»؛ أي القبائل المتحولة من الساحل الغربي إلى الساحل الإيراني، ولأن اللغة الإيرانية لا تنطق حرف الحاء، قُلبت هاء، فقالوا: الهولة». (عرب فارس، ص١).

وليس الهُويلي يا جُوَيهِلُ لفظة ... يُعاب بها في دينه من تناضله
فليس بجهمي فترميه بالردى ... ولا بأباضيٍّ ولا مَنْ يشاكله
وليس يواليهم ويركن نحوهم ... كمن كان بالعدوان بغياً ينازله
ولكنه يحمي حمى الدين جهده ... ولم يأل في إيذاء من لا يعامله
وهل قال إلا ماهو الحق والهدى ... صريحاً لدينا تستبين دلائله
ووافق أهلَ الحق في جلّ ما به ... يقولون لا تأويل خبٌّ يُماحله
يُؤَول ما قالوا بغير الذي له ... أرادوا وتخفى في الدليل محامله
ولكنه أبدى كمائن عُصبة ... غشتهم دياجير الهوى وقساطله
فعادى الذي عادى لدين محمد ... وكفَّر من قد شاع بالكفر باطله
وقد بلغتهم حجةُ الله جَهْرة ... وقامت عليهم بالبلاغ دلائله
ووالى ذوي التقوى لحسن بلائهم ... وإغنائهم في الدين عمن يخاتله
لذلك أحسنَّا به الظن والذي ... يساعده في شأنه أو يماثله
ومهما استمروا مستقيمين في الهدى ... فما لامرئٍ فيهم مقال يحاوله
سوى البغي بالعدوان والجهل والهوى ... ومن رام ذا فيهم أُصيبت مقاتله
ونقبل أخبار الرشيد محمد ... إذا قال في الأشرار ما هو قائله
ونقبل أخبار السفيه يُوَيسِفٍ[1] ... وأشباهه من كل فَدْم يماثله
وقولك أدهى بل أشد ضلالة ... وأشنع مما قاله مَنْ تخالِلُه
وقولك في هذي القصيدة ناصراً ... ومنتقماً للفَدْم فيما يحاوله

---

(١) أي: يوسف بن شبيب الكويتي، الذي رد عليه بكتابه: «كشف الشبهتين».

ومستشفياً مني لنصري محمدٍ على الحق إذ عادى لمن هو جاهله
(وتفعل جهلاً منك بل وسفاهة ونقصان عقل فعله وتماثله)
أقول نعم قد كنتُ أفعل فعلَهُ بتكفير جهميٍّ ومَنْ قد يشاكله»

قلت: هذا ما حدث بين الشيخين: سليمان بن سحمان، وحسين بن حسن آل الشيخ ـ رحمهما الله ـ، وقد عادت علاقتهما إلى التصافي بعد رجوع الشيخ حسين عن رأيه ـ كما سبق بيانه في هامش مضى ـ.

أما صاحبنا محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ فقد جمع كتاباً سماه «أنجح الفوائد»[1] أورد فيه شيئاً مما واكب الخلاف السابق مع الشيخ حسين. ومن ذلك: قوله:

«وقلت أيضاً سنة ١٣٢٩: القول السديد على منظومتي حسين بن حسن إمام الجزيرة حالاً من علاقة رأس الخيمة، يقال لهاجزيرة زعاب:

لكَ الحمدُ يَا مَنّانُ يا خيرَ واهِبِ وَيَاخير مَسْئولٍ برغبةِ طالِبِ
ويا مرشد المختار اصرِف قلوبنا عن الذب عن قوم الخنا والمثالبِ
فبعد ظهور الشيخ جَدَّد ديننا هداةٌ أتونا من رياض الأطايبِ
ومن بعدهم جاءوا أناس بزيهم وجئتهم لكن أتوا بالمصائبِ
حتمتُ على نفسي مجاوبة لهم فيارب وفقني لردع المشاغبِ
إذا فات ذو أجهلٍ بشبهته أتى على إثره ذي بدعةٍ ومعائبِ
ففي عامنا هذا وجدتُ رسائلاً نماها حسينٌ في جزيرة زاعبِ

---

(١) صوره لي الأخ الكريم: حسان الرديعان ـ وفقه الله ـ، من مكتبة الشيخ حمود الشغدلي ـ رحمه الله ـ، بحائل.

فكنــا بنجــد مــدة لم نجــد لــه — بذكر لدى الإخوان مع كل صاحبِ

ولا جالــسوه كــي يُفيــد بعقلِــهِ — وفهــم لتوحيــد زمــان المطالــبِ

ولازم منفوحــاً[1] ودام بغفلــة — قضى رأيه ضرباً لنهج المكاسبِ

أتــى بعُــمان في رثاثــة هيئــة — يَبـثُّ مـن البأسـاءِ شر النوائـبِ

ألــحّ علينــا أن نقــرره لكــي — يعلِّــم قرآنــاً لطفــل المكاتــبِ

وإن تـاح ربي حجّـةً لم تجـد لـه — الإقامـة في دارِ الرّبـى والمعايـبِ

فحــالاً كتبنــا للأخــلاء كلهــم — وبـالفور واسوه بجزل المواهبِ

بــمال وأثــواب وأهــل ومنــزل — وسـموه شـيخاً وهـي بغية راغبِ

فلـما حـوى هـذا تكـبر واعتـدى — على صهره والدين مع كل صاحبِ

فـأبرز شـعراً قـد حـوى كـل بدعـة — وجـال ولكـن لا بحـدّ القواضـبِ

فقــال بمنظوميــه يــا ذا وخطــه — بجهـلٍ وحـزنٍ في نياحـة نـادبِ

إلى الله أشكو ما دهى من مصائب — على ملة الإسلام خير المواهبِ

تكلـم في ديـن الهـدى كـل جاهـل — بــشر أقاويــل و محــض أكــاذبِ

وليس لهم شبه من الناس يا فتى — سـوى فرقـة دانـوا بـشر المـذاهبِ

كمثــل أنــاس أظهــروا لمقالــة — بها كفـروا بعـض الهـداة الأطايـبِ

نـرى كـل جهمـي وكـل إباضـة — بإسلامهم جاء اختلاف الأطايبِ

إلى آخر النظم الـذي قـد نـماه عـن — وساوس فكر مع نقـولات كـاذبِ

أصخ لجوابي خذ عُجَالـة راكـبٍ — جواباً لما أبـديت مـن رأي خائـبِ

---

(١) في الهامش: «منفوحة قرية صغيرة من قرى الرياض بنجد». قلت: وهي أحد أحيائها الآن.

تـصور بهتانـاً عـلى كـل مـسلمٍ ... وتبـدي جوابـاً نحـو نـسج العناكـبِ
تمثـل أصــحاب اليقــين وســنة ... بأبـاض وقتـي يـا كثـير المثالـبِ
وتبـدو كفـراً ثـم لعنـاً لمـن غـدا ... يخـالف مـا تـدعو لـه مـن معايـبِ
ألا من قرى في غالي الوعظ دائماً ... وتبـصرة الجـوزيِّ في صـوت خاطـبِ
وصد عن الوحيين يا صاح عمره ... ولم يـك للتوحيـد يومـاً بـصاحبِ
فلا عجباً من أن يرى الحق باطلاً ... ويأتي من الأهواء خبث المذاهبِ
تَعـرَّض إبـراهيم جهـلاً وراشـداً ... وأحمد قاضي الحق سامي المناقبِ(١)
وأصـهاره مـع كـل صـاحب سـنة ... بسِيْفِ عُـمَانٍ مـن قريـبٍ وجانـبِ
بتكفـيرهم مـن كـان للنـد داعيـاً ... وتَابَعَ جهماً في خبيث المشاربِ
وراكـب للفحـشاء مـن غـير خفيـةٍ ... وقرب للزيران نـسك الرغائبِ(٢)
بـأنهموا قــد شـابهوا لخــوارجٍ ... أباضــية بــاؤا بخــزي المثالــبِ
خـوارج يـا مغـرور بالـذنب كفـروا ... طـريقتهم قـد ردهـا كـل راهـبِ
وذنـب أولاء الـشرك ثـم تجهـم ... فـشتان لا هـذا بـذا مـن مقـاربِ
فلماخـلا مـن سـاحلٍ كـلُ باسـل ... كماة الورى أهل التقى والمراتـبِ
وداخلهــم قــراء فلــسٍ وكــسوةٍ ... فحلّ بـدين الحـق جـل المـصائبِ
كمثـل حـسين إذ تـصدى بجهلـه ... يناضل عن قوم الهوى والمعايـبِ
وغــيَّر ســكان الجزيــرة بيــنهم ... لـشبهته عـادوا شـتات المـذاهبِ

(١) في الهامش: «أحمد بن عبدالرحيم، قاضي رأس الخيمة وقراها».
(٢) في الهامش: «الزار: ضرب من الجن».

وأوقـد نـيران العـداوة والقـلا وكـدر مـاءً كـان صـافي المشاربِ
فـوالله لـو في الزعـب أهـل نباهـة كأجدادهم أهل النهى والمناقبِ[1]
لأولـوه ضربـاً ثـم جلـوه ضـحوةً وكان لهم في ذاك حسن العواقبِ
ولا قـدموه في الـصلاة وجمعـة ولا افترع المخذول أسنى المراتبِ

فصـــل

في أوصاف من ذب عنهما وعقيدة من ذمهم وبهتهم بالزور من الموحدين السلفية:

فيـا أيهـا الإخـوان بـالله فاسـمعوا مقالة مـن في القـول لـيس بكـاذبِ
نـصحتُ لهـذا المـرء بينـي وبينـه وجهـراً بنـادي صـهره وأصـاحبي
وقلنـا فقـدم بالدراسـة يـا فتـى لعامـة زعـاب برهبـة راغـبِ
بتوحيـد خـلاقٍ وتفـسير وحينـا وكتب حديث كي تفز بالمطالبِ
فعانـد واخـتط الخطـا راغبـاً إلى صحائف أخبار القـرون الـذواهبِ
ثلاثـة أعـوام أقـام مآتمـاً علـى قـوم نـوح في جزيـرة زاعـبِ
وسـموه شـيخاً بعـد هـذا وارتـدى ردى الفشر بالـدعوى لـشر المكاسبِ
بـسب الـذي أبـدوا لـه نحـو قولنـا أفـادوه توضـيحاً لـنهج المحـاربِ
فقـالوا فهـاتي دار شرك وبدعـة بـلا مريـة بـين المـشاة وراكـبِ
كـدار التـي قـد ذب عـنهم وقاحـة هما اشتهرا في ترك خير المـذاهبِ
أصروا على جحد الصفات ودعوة لجـيلان مـع أمثالـه في الرغائـبِ

---

(١) في الهامش: «الزعب: اسم قبيلة».

فقـول إلهـي ثـم قـول رسـولنا فقـد بلغـتهم مـا الجـواب لناكـبِ
فكم دعوة جاءت لهم إثر حجة أوان ظهـور الـشيخ جـم المناقـبِ
وأبـدوا بتكفـيرٍ وهمـزٍ وسُـبَّةٍ لشيخ الهدى عمداً فسُحقاً لثالـبِ
أئمـتهم مـع كتـبهم وعقائـد سوى كتب أهل الحق من كل جانبِ
وإن صح إيمانٌ لمن كان هكذا وتارك نهج الحق أوجب واجبِ
فكـل خبيـثٍ فاعذرنـه بـلا مِـرا وسلم على من شئت منهم وصاحبِ
وقولـك نـاس أخرجـوا لمقالـة بها كفروا بعض الهداة الأطايبِ
وأنهـم قـد كفـروا لمـساكنٍ لمن كان جيرانا بدار المحاربِ
متـى نحـن كفرنـا هـداةً أطايبـاً مقيمين في التوحيد من كل جانبِ
يوالـون أهليـه يعـادون ضـده كذبت وربّ العرش لستَ بصائبِ
نفـاة صـفات الله مـع كـل مشركٍ نكفرهما جهراً على رغم غاضبِ
ومن شك فيهم صار في الكفر نحوهم وأسـوتنا القـرآن أزكـى المطالـبِ
متـى نحـن عممنـا الـبلاد بأسرهـا بكفرٍ كما زورتَ عن كل صاحبِ
متى نحن خصصنا لمن كان جارهم بكفـر رمـاك الله داء الثعالـبِ
فأبـدر لهـم خطـأً لـنعلم صـدق مـا رميت به أهـل الهـدى والمراتـبِ
وقولـك قـولان أتـى بـتجهم وأن أباضي الوقت لا كالمحاربِ
وعنـدك خَلـق مـنهم طـال عـدهم فما كفروا الجهمي ردي المكاسبِ
أقـول فـسافر وادرس العلـم مـدة ومن لي بأكار الحشيش وحاطبِ
هلـم فعـدد لي ومـن شـذَّ سـابقاً بإسلام جهمي خبيث المذاهبِ
لنـدري ويـدري مـن يحثـك خفيـة دهتكم مدى الأيام أيدي المصائبِ

فخمس مئين كفروهم بلا مِرا ... فأبدر لنا فردين من ذي المناقبِ
وقولك في تقسيم سكان مكة ... كسكان ذا الدارين أقوى العجائبِ
فيا محنة الإسلام من كل جاهل ... تردى بجور لم يخف بأس ضاربِ
أولئك ما اسطاعوا بحيلة قادرٍ ... ولم يهتدوا نهج الفرار لضاربِ
وكم لأولاء القوم من حيلة بدت ... يميزها أهل الهدى والمراتبِ
وقولك عنهم كفروا لمجاورٍ ... جميعاً عموماً ما لهم من معاتبِ
أيا أمرط العينين أين كلامهم ... بقولك قالوا ما لهم من معاقبِ
ولكنهم قالوا تعين هجر من ... يلازم دار الشرك غير مراقبِ
وقولك جدي ذا يقول مقالتي ... كذبتَ على شيخ التقى والمناقبِ
فقد برزت في الدين آثار هديهم ... وحاشا علاهم من جهول مشاغبِ
وما أنت فيهم غير شخص زكت له ... جدودٌ ولكن حظه جد خائبِ
لذاك رماك الجهل في هوة الهوى ... فأرداك بل أغواك حب المكاسبِ
وقولك في نظم وخطك بيننا ... لأجمعنا فابدوا بتوبة آئبِ
فهل نحن ذبينا عن الشرك والخنا ... جهاراً ونادمنا أُهَيْلَ المعايبِ
كموسى وخبازٍ وأنذال فارس ... صباحاً نوافيهم ببلدة زاعبِ
نتوبُ عن التوحيد مع ذم مشركٍ ... عدمتك ما هذي نصيحة صاحبِ
ولو فيك خيرٌ ما هجرت بعارض ... جُفيت خصوصاً بين كل الأقاربِ
وأنت وصبيان المكاتب واحد ... ولكنهم أولى بسامي المراتبِ
لأنهم ما أبدعوا لحوادث ... ولا ناضلوا يوماً لنيل المناصبِ
وغرك زُعَّابٌ دعوك بعالم ... لذاك رأيت الحق شر المذاهبِ

ولو كان زُعَّابٌ كمثل جدُودهم لأولوك ضرباً بل رموك بحاصبِ
فلو أبصروا نهج الصواب لقادهم لمنهاج آباء كرامٍ أطايبِ
ونقلك عن صحب وكل أئمة بإسلام آباض بلا شك راقبِ
كذبتَ على الأصحاب مع كل عالم وأنت فلا تدري بنهج الأطايبِ
فمن قد خلا منهم نقول بكلهم لقد مرقوا كالسهم من قوس حاجبِ
حكيت بإسلام الأباض بوقتنا لدى هاشل مع ساكني دار زاغبِ(١)
أباضَةُ هذا الوقت غاية بحثنا فكفرهم من غير شكٍ لحاسبِ
لأنهم ازدادوا بشركٍ وبدعةٍ على من خلا منهم بماضي الحقائبِ
فقد كفروا من سادة الدين جملة وكانوا كلاب النار يا ويح خائبِ
فمن قبلُ لم تبلغهم ويك حجة وذا الآن لن يبقى اعتذارٌ لطالبِ
وقد أنكروا الميزان ثم شفاعة وحوضاً عسى نأتيه عذب المشاربِ
ولم يثبتوا في القبر من فرط خبثهم نعيماً ولا بؤساً أكيد المصاعبِ
بأصل وفرع خالفت سبل الهدى وشيعة جعدٍ مثلهم في المثالبِ
جهادهما فرضٌ على كل مسلم وبغضهما نهج الهداة الأطايبِ
فعَلُوَا وزعابٌ وآل قواسِمٍ وآل نعيمٍ شمروا للتحاربِ(٢)
قديماً تجاهد للذين مدحتهم بأمر هداةٍ من رياض الأطايبِ
وجئت وخالفت الصوا ب وأهله فأبديتَ ما أولاك شر المعاطبِ

---

(١) في الهامش: «هاشل ولد ابن منصور، من سكان الجزيرة».

(٢) في الهامش: «هؤلاء من قبائل العرب في ساحل عمان الآن».

وما جئته بغياً تذم لعصبة / سمو شرفاً في سمتهم والمذاهبِ
كراشد إذ عاداك في الله جهرة / وأحمد قاضي الحق أكرم بصاحبِ
سلالة عمران فلا تنس فضلهم / وذو الميز إبراهيم سامي المناقبِ
أولئك إخواني فلله درهم / فقد ألقموك الترب في دار زاعبِ
أولئك مع أمثالهم ميزوا الهدى / وعادوك حقاً يا لئيم المشاربِ
وقد بذلوا لله نفساً وخالفوا / لرأي الذي تنحوا له من معايبِ
وقدحك قراءً بما ليس فيهموا / من الوصف حالاً من وقاحة كاذبِ
متى ألفو رداً على كل مبطل / بسِيف عمان يا عري المناكبِ
متى نكروا قبحاً على طول لبثهم / متى جدَّدوا للناس نهج الأطايبِ
مناهجهم كسب الحرام وأكله / ومدح الذي يبدي لهم من مواهبِ
تقرر توتيناً وتدعو لسُبحة / وترفض من يدعو لنهج الرغائبِ[1]
ومنهم عُبَيد الله يدعى بسيد / فديدانه ثلباً لأهل المناقبِ
وقاضي العنيزي قد رمى بمكيدة / فزالت بحمد الله من كل جانبِ
ومنهم خدين الرفض مع كل فاسق / فللسحت أكالٌ وليس بتائبِ
فتاواه جهلٌ للرشاء ملازماً / فللدين والإخوان غير مراقبِ
وكلهم مُسْتَحْقَر ببلاده / كما كنتَ لا جاهاً ولا فضلَ طالبِ
بحول إلهي أن يروا ما يهينهم / فشراً بشر والجزا غير ذاهبِ
لقد كنتَ في نجد فلم تك واجداً / من القوت ما يكفي لجوعه ساغبِ

(١) التوتين: التطعيم ضد الجدري وغيره من الأمراض المشابهة.

ولا كسوةً تدري بها كيف لونها ... ولا حجم .... ولا وصف كاعبِ
أتيت عماناً نلتَ كل مليحة ... فلم تشكر المولى لتلك المواهبِ
فأبرص في ماض الزمان وأقرع ... فمذ بطرا عادا بصفقة خائبِ
فيا رب اردده كما كان أولاً ... بذلٍ وفاقات وسوء العواقبِ
ووعدك يا محتار بالفشر والهوى ... تجي بردود يا قرين المعايبِ
تهدد أرباب المعارف والنهى ... وهل ترهب الآساد بأسَ الثعالبِ
وقد جُردت لله نفسٌ وأشرعت ... لمن ترك التوحيد سُمْرُ القواضبِ
فإن عدتَ في زور المقال فإننا ... وقوفاً نادي ويك هل من محاربِ
فكم جال في الميدان قبلك فارس ... فعاد بلا لب ولا زند ضاربِ
وأختم نظمي بالصلاة مُسَلماً ... على المصطفى مع كل آل وصاحبِ
وتابعهم من كل ناصر سنة ... ومن كان في ذا الدين صافي المشاربِ

ثم أورد فتوى للعلماء قال عنها:

«فتوى علماء الرياض الشيخ عبدالله والشيخ إبراهيم أبناء الشيخ عبداللطيف والشيخ سليمان بن سحمان لتأييد حجة محمد بن حسن المرزوقي، وإبطال حجة حسين بن حسن إمام زغاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال السائل: ما قول علماء المسلمين وأئمة الموحدين في إمامة رجل يقول في الجهمية والقبورية المنكرين لتوحيد الذات والصفات والعبادة، كأكثر أهل دبي وأبي ظبى ونحوهما: قولان، وأنهما لم تبلغهما الحجة، وأن الإباضية في زماننا لما سئل كيف تشبهنا بهم؟ قال: هم مسلمون... إلخ.

الجواب: لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبوريين أو يشك في تكفيرهم، وهذه المسألة من أوضح الواضحات عند طلبة العلم وأهل الأثر، وذلك أن الإمام أحمد رحمه الله وأمثاله من أهل العلم والحديث لم يختلفوا في تكفير الجهمية، وأنهم ضُلال زنادقة، وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر، وعد اللالكائي الإمام رحمه الله منهم عدداً يتعذر ذكرهم في هذه الفتوى، وكذلك ابن الإمام عبدالله بن أحمد في كتاب السنة، والخلال في كتاب السنة، وإمام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم، ونقله عن أساطين الأئمة، وقد حكى كفرهم شمسُ الدين ابن القيم في كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم وقد يُفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك، وهذا القول يميل إليه شيخ الإسلام في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، وعلى هذا القول فالجهمية في هذه الأزمنة قد بلغتهم الحجة وظهر الدليل، وعرفوا ما عليه أهل السنة والجماعة، واشتهرت التفاسير والأحاديث النبوية، وظهرت ظهوراً ليس بعده إلا المكابرة والعناد، وهذه هي حقيقة الكفر والإلحاد، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطيل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات، وشهدت به الفطر السليمات، ما لا يبقى معه حقيقة للربوبية والإلهية، ولا وجود للذات المقدسة المتصفة بجميل الصفات، وهم إنما يعبدون عدماً لا حقيقة لوجوده، ويعتمدون على الخيالات والشبه ما يُعلم فساده بضرورة العقل، وبالضرورة من دين الإسلام عند من عرفه، وعرف ماجاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،

ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام في نفي الصفات ماهو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين، بل كلامه أخف إلحاداً من بعض قول هؤلاء الضُلال، ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره، وكذلك القبوريون لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان، وقد ذكر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في غير موضع أن نفي التكفير بالمكفرات قوليها وفعليها فيما يخفى دليله ولم تقم الحجة على فاعله، وأن النفي يراد به نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة عليه، وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النزاع بين الأمة، وأما دعاء الصالحين والاستغاثة بهم وقصدهم في الملمات والشدائد فهذا لا يُنازع مسلم في تحريمه، والحكم بأنه من الشرك الأكبر، فليس في تكفيرهم وتكفير الجهمية قولان، وأما الإباضية في هذه الأزمان فليسوا كفرقة من أسلافهم، والذي يبلغنا أنهم على دين عُبَّاد القبور، وانتحلوا أموراً كفرية لا يتسع ذكرها هنا، ومن كان بهذه المثابة فلا شك في كفره، فلا يقول بإسلامهم إلا إنسان مصابٌ في عقله ودينه.

وأما قول السائل: وهل تصح جمعة ثانية لأهل قرية منذ كانوا وهم يصلون بجامع واحد وإمامه محسن العقيدة والسيرة ما فيه من مقال، والجامع كبير يأخذ أكثر مما في البلد، ولكن طلب الإمام الجديد من الإمام القديم أن يكف عن ذم القبورية والجهمية، فلم يطعه، وقام الإمام الجديد واعتزل بنصف أهل البلد بجامع آخر.

الجواب: أنه لا يصح إقامة جمعة ثانية في قرية يشملها اسم واحد من غير ضرورة داعية إلى ذلك، والإمام الذي يُكفر الجهمية والقبورية

والإباضية هو الذي تصح الصلاة خلفه، ولا تصح خلف من لا يرى كفر هؤلاء الملاحدة أو يشك في كفرهم، واعتزال الإمام الجديد بنصف الجماعة لكون الإمام القديم يذم القبورية والجهمية عذر باطل لا يبيح إقامة جمعة ثانية، فلا تصح جمعة معهم، ولا تنعقد والحالة هذه، وصلى الله على محمد وآله وسلم. رجب سنة ١٣٢٥هـ.

ثم قال المرزوقي ـ رحمه الله ـ:

«وقال أيضاً[١] على رسالة وجدها في ساحل عمان سنة ١٣١٨هـ، وثم في شوال ١٣٢٥هـ[٢]:

على كل حالٍ وحد الله واعبدا ... وللحق والإنصاف ويحكما اقصدا

وإيا كما الجهل الوخيم وبدعة ... فتدروكما عن منهج الحق والهدى

فخير كلام ما أتى عن إلهنا ... به فاظفرا في كل حال لترشدا

وأقوم هدي نهج طه وصحبه ... فلا تطلبا هدياً سوى هدي أحمدا

وبعد فإن النصح في الدين واجب ... كما قد حكى المختار طه وأرشدا

فمن عجب أني رأيت رسائلاً ... ملفقة من جاهل وذوي اعتدا

وينشرها عمداً ويدعوا لأخذها ... فأهون بها تباً لمن كان مفسداً

وأبدى بآياتٍ على أخذ سبحةٍ ... وثم حديثٍ افتراه تعمدا

---

(١) يعني نفسه.

(٢) وهي قصيدة في بيان بدعية: «السبحة» التي انتشرت في عصره بين المنتسبين للعلم وغيرهم. وللتفصيل والمزيد عن بدعيتها، والحكم على ما ورد فيها من آثار، تراجع رسالة العلامة الشيخ بكر أبوزيد ـ رحمه الله ـ: «السُّبحة: تاريخها وحكمها».

عــزاه لفــردوسٍ بجهــل وفريــةٍ ... فأعشى لأعمى صار كلٌ مقلداً
فيا معشر الإخوان من كل منصفٍ ... يصير به في العلم والفضل يُقتدا
ســألتكم بــالله والحــق واضــح ... ومن حاد عن نهج الإصابة فنّدا
فكم خرزةٍ كانت لمِسبَاح أحمد ... وكــم مــرةٍ فيهــا التهاليــل ردّدا
وهل سبح الصحب الكرام بسبحة ... فردوا سؤالي يا ذوي الدين والهدى
ومـا نـوع مـسباح الـصحابة بيّنـوا ... أيُــسـرا ومُرْجَانـاً وكُوكـاً مُنَـضّدا
أئمتنــا نعــمان أحمــد مالــك ... ورابعهــم أعنــي الإمــام محمــدا
هل اتخذوا المسباح يوماً لـوردهم ... فيا قـوم هـاتوا مـا يـزول بـه الـصدا
أقــول فحاشــا مــا لطــه وآلــه ... ولا صـحبه منظـوم خـرز تعقـدا
يعــدون أذكــاراً بهــا بزمــانهم ... ومـن قـال هـذا قـد طغـى و تمـردا
فـما ذكـروه في صـحاحٍ ومـسند ... ولا صـح عـن حـبر بفتيـاه يقتـدا
وهيهـات أن يـأتي المبـيح بحجـة ... ومن يبتدع في الـدين يُلفـى ملـددا
فـما ذكـروا عـن أحمـدٍ و محمـدٍ ... ومالـك والـنعمان في ذاك مـسندا
ولا الـسلف الأخيار فـاهوا بـذكره ... حنانيك فاسلك نهج من كان مهتدا
فقـل بدعـةً مـن غـير شـكٍ وحيرة ... علانيـةً فـانطق بهـا ثـم واشـهدا
ولابـد أن نبـدي لمـا ابتـدعوا لهـم ... جزاءً لما أبدى الكويتي واعتدا[1]
ففتـشت في الأسـفار ثـم نظمتـه ... جوابـاً وجيـزاً صـح نقـلاً ومـوردا
وما ذكروا عن مرأةٍ عدت الحصى ... فــذاك لهــا رأي ولـم يــك مقتــدا

---

(١) في الهامش: «هو يوسف بن شبيب».

وأرشـدها طـه لمـا هـوا أيـسَرٌ فعادت بـلا شـك لمـا كـان أسعدا
نقـول لهـم قـال الرسـول وصـحبه وأتبـاعهم مـع سـادة أيـدُوا الهـدى
فقالوا فكانـت مـرأة تعقـد الحـصى لقـد دلهـا الهـادي بلطـف وأرشـدا
إذ دلهـا مـاذا بقـى ثـمَّ حجـة لمبتـدعٍ نهجـاً فقـل يـا ملـددا
فهـلا وسـعكم فعـل طـه وصـحبه بـتركٍ لمـتروكٍ ورأي مـن اعتـدا
أمـا حبرنـا ذاك الـصحابي حذيفـة كذاك ابن مسعود إمام ذوي الهدى
أقامـا عـلى قـوم بمـسجد كوفـة بزجـر روينـا ذاك يـا صـاح مـسندا
كـما قـد حكـاه الـدارمي في كتابـه وحـبر ابـن وضـاح أفـاد وأرشـدا
فقـالا ضـلالاً جمعكم لحجـارة لذكر بَدَعتم محدثاً فعلكـم سـدى
ولكـنكم يـا قـوم عـدوا ذنـوبكم وأضمن إحساناً لكم لم يفت غدا
فذا نهي أصحاب الرسول بلا خفا وذا حجـةٌ تحكـي حـساماً مهنـدا
ونهي ابـن مـسعود جهـاراً بـوقتهم لدى الصحب والاتباع يا صاح قد بدى
ولو كان عد الذكر بالـصخر والنوى لدى الكل أمراً سائغاً كـان أرصـدا
لمـا كـان عبـد الله ينهـى جهـارةٌ لـديهم بنهـي زاجـراً لمـن ارتـدى
ومـا قـد عـزاه المفـتري في جوابـه من النقل واهي الطرق لم يكُ جيداً
ولو فعلوا الزنبيل والنطـع والنـوى وما لوا إلى المسباح يوماً لأسـندا
بكتب صحاحٍ عمت الكـون صـحفها ولما خلت قلنا لكم فعلكم سدى
وفعـل أبي هـرٍ بخفيـة حالـه بتعقيـد خـيطٍ لم يكـن ثـم مـوردا
إذا شـذ فـرد مـن صـحابة أحمـدٍ وخالفـه البـاقون هـل كـان يُقتـدا
وقـال لنـا طـه علـيكم بـسنتي وسنة سادات لكم أسسوا الهـدى

ومحدث أمر لم تجده بديننا — فردٌ على مبديه قد ضل مقصدا
وسنته مع كل تابع هديه — بأيديهم الأذكار تبدو وتعقدا
كما قال طه في حديثٍ مؤيد — بكل كتاب صاح تلقاه مسندا
عليكن بالتسبيح باليد افعلوا — بأنملة مستنطقات لتشهدا
ومن نهجهم نعم المذكر سبحة — حديث لفردوس عزوه تعمدا
كذبتم على طه بتصحيف لفظه — كذاك على الفردوس بعداً لمن بدا
وما قد رواه الديلمي في كتابه — وعنوانه الفردوس نقلاً مؤكدا
بأن قد أتى نعم المذكر سُبحة — لنافلة راجعه تلقاه مسندا
حكاه سيوطي بجمع جوامع — بباب صلاة ذاك تلقاه مرصدا
ولو مدح المسباح لم تلق آله — وأصحابه تلغي لما كان أوردا
أيمدحه الهادي وهم يتركونه — حنانيك قد سرتم إلى منهج الردى
أما الحسن البصري أفتى بوقته — بأن نظام الخرز لم يك موجدا
أتاه ابن عياش يروم إبانة — فقال له سبح بيمناك واعقدا
ولو صح هذا كيف قستم لسبحة — على بندق والطوب جهلاً تعمدا
ومن قاس مسباحاً على كل موزر — وصمع وساعات تحير واعتدا
فذاك جهول بل غبي مغفل — تجارت به الأهواء للأرض أخلدا
فأي قياس ذاك يا خب قل لنا — وبيِّن لنا أقسامه ثم فاعددا
أذاك اقتراني أم قياسي مثل ما — تراه أم استقراء أوضح ليُهتدى
وبدعة مسباح لدى كل عالم — قديماً بلا شك أتت تلك مسندا
كما قاله الحبر ابن مسعود سابقاً — كذا الحسن البصري خذه على المدى

وقد جاء في تاج العروس مبيناً لقاموسنا شرح بذا الوقت قد بدى
وقال فما المسباح يُعرف عندهم قديماً ولكن كان هذا مُوَلدا
نفاه ابن مسعود وكذا حسنٌ حكى خصوصية فيه فلا تترددا
كذاك ابن وضاح وصاحب مدخل وراجع لتأليفيهما يا أخا الندى
وأيضاً تقي الدين أفتى بنفيه وتلميذه أيضاً نفاه وأرشدا
وعالم شقرا عابد الله بعده سليمان نجل الشيخ قالا وفَنَّدا[1]
كذاك ابن سحمان وثم شيوخه بنجد فقالوا بدعة لم تكن هدى
وعالم كتلان ودوتي كلاهما هما بَدّعا مستعمليه وشددا
فمن خالف الأعلام صار يقينه كرجم بغيب مثل من جار واعتدا
فدع محدثات الرأي من كل وجهة أخا الجهل فاحذر أن تخالف أحمدا
ودع زخرفات القول ويلك دائماً فكم ذا تخال التبر والصُفر واحدا
فسبح بلا عد فربك عالم كذاك الكرام الكاتبون على المدى
فيُحصون أقوال ابن آدم كلها ولاتخش من مثقال ذر يفت غدا
وإلا فسبح بالأنامل ما تشا وعد بها الأذكار دهرك واعقدا
بهذا أتى قول الرسول وفعله وأصحابه أهل المكارم والهدى
وما كان لم يفعله طه وصحبه فقل بدعة جهراً ولا تترددا
وسر دائماً في نهج سنة أحمد وعض عليها بالنواجذ تسعدا
فهذا جوابي للثلاثة كلهم جزاءً لما أبدوا عناداً تعمدا

---

(١) في الهامش: «المعروف بعبدالله أبي بطين، وسليمان بن محمد، الحنبليان».

وردهـم للحـق كـان تعطفـا لـدى فئة يرجون منهم عُسَيجِدا
غدا ابن شبيب يوسفٌ جُنةٌ لهم فهدهدُ لا يُرمى ولو كان أفسدا
ولم يك هذا الوزغ كفواً لأحمدٍ فأرنبـة أنـى تقـاومُ فرقـدا
فيوسفُ لم يقرأ ولم يك كاتباً متى صار للتأليف أهلاً و محتدا
أفي الحلم نال العلم أم صهره دعا فـصار طبيباً ثـم حَبْراً مجـددا
سيجلب مسباحاً بشارقةٍ لهم كما جلب المرآة زي من اعتدا
وأدويـة كـذباً يروجهـا لهـم فصار ابن كرجيّ طبيباً ومرشدا
فوالله لو في الدار من آل قاسمٍ فتى في معالي الأمر يسمو لأرشدا[1]
وأوجعـه ضربـاً وأعلـن نفيـه ليحظى بأجر ثم يُحمد سرمدا
طبعنا لما كنا جمعنا لرد مَنْ بمطبوعه حالاً على الدين قد بدا
ليعلم أنَّا لا نزالُ ولم نَزَل وقوفاً بثغر الدين نطعن في العدا
ونلقمـه صخراً ونشدخ رأسه بحد الظِبا لم نخشَ غزني وأحمدا
عَليَّ ضماناً أن أجدد غارةً دواماً لمن للجهل أضحى مؤيدا
وآليت أني لا أوالي من دعا إلى بدعةٍ حتى أوسَّد جلمدا
وصلِّ على المختار يا رب دائماً كذا الآل والأصحاب دأباً مؤبدا
وتابعهم من كل صاحب سنّة ومن كان ذا هجر لمن زاغ واعتدى».

(١) في الهامش: «أي في الشارقة من ساحل عمان».

ومن قصائده في هذا الكتاب، قوله:

«وقال أيضاً[1] في أهل الزمن وذكر شيء من المحن سنة ١٣٢٥هـ:

مضى الزمان وعيشي عيش تنكيدِ	والعمر ولّى ولم أظفر بمقصودي
كان الزمان وكان الخلف لازمه	هوِّن عليك ووحد خير معبود
وال اليقين، وعاد الشك أجمعه	عظِّم إلهك لا تركن لمنقود
فالخطب عَمَّ وصار الناس كلهم	معظمين لبدعيّ ومردود
هذا الزمان الذي كنا نحاذره	في قول كعب وفي قول ابن مسعود
فصاحب الدين ممقوتٌ ومنكتم	وصاحب الفسق فيهم غير مظهود
كلٌ يقلد في الأهواء صاحبه	حتى البلاد لها شأن بتقليد
والأمر بالعرف ثم النهي عن نكر	صارا لدينا بلا شك كمفقود
إذا نصحت لشخص قال أنت كذا	فيك العيوب لدينا غير محمود
أضحت تفاخرهم في حسن بزتهم	ومنزل حَسَنٍ عالٍ بتشييد
وجمع حلي وخدامٍ وأسلحةٍ	أيامهم فنيت في جمع منقود
تلقى الأمير مع المأمور في وهنٍ	عن رفع مظلمة أو نفع مطرود
لنيل دنياهم كالأسد ضاريةً	وكلهم في الهوى مبدٍ لمجهود
تمضي سنون ولم تسمع ببلدتهم	ذكراً لوحي ولا درساً لتوحيد
حكامهم قد جفوا ديناً وحامله	تركاً وطرداً بلا خوف لمعبود
إذا رأوا صالحاً يدعو لنهج هدى	تأنبوه بإيذاءٍ وتبعيد

(١) يعني نفسه ـ كما سبق ـ.

حكم الطواغيت قالوا فيه مصلحة ... وفي الربا ساعدت شيب لمولود

أهل الحجى والنهى مالوا لسالفة ... قالوا الشريعة لا تجدي بمقصود

أهل الترفض مع فسق وفاعله ... يمشي ببلدتهم يوماه كالعيد

حكامهم للرشا مالت وعالمهم ... كلاهما خالفت مالو لمنقود

ولاية الكفر أمست من مناقبهم ... فكلهم قال هذا خير موجود

قضاتهم قد غوت نهج السوى إلى ... مدح الضلال ومدح الجاه والجود

دأباً تنم على الإخوان ديدنها ... يا ليتها هتكت عرضاً لمنكود

أبدوا لنا بدعاً ماكان نعرفها ... وجانبوا نهج توفيق وتسديد

غرت عواماً بزي الزهد كاذبة ... كحنية الفخ إغراراً لمصيود

ما في الزمان فتى تُرجى منافعه ... يراقب الله نصاراً لتوحيد

مآتم الرفض والأهواء بادية ... لا رادع لهم حتى بتهديد

والهرج والمرج تلقاها مروجة ... والدين والسمت في جلباب مطرود

بروا بعيداً وعقوا كل والدة ... لم يرفدوا رحماً لانوا لمبعود

تلقى الهوى والربا والجور مرتكبا ... والعلم والنصح فيهم غير موجود

ووافقوا أهل ظلم في مقاصدهم ... قد حالفوا كل بدعيّ وملدود

وقلدوا الأمر لكعيا أخا بدع ... لجلب أمر وفكر غير محمود

مخالف الشرع لم يظفر بحاجته ... لو نال خيراً قصاراه لتبديد

فالبهت والذم والإيذاء قد وجدت ... لكل منتسب عندي لتوحيد

أهل الرباء وبهتان وجور هوى ... مقرباً عندنا يُلقى بتمجيد

فالدين في غربة والناس أكثرهم ... بخبث طبع يوالي كل مطرود

مــن الديانــة هجــرانٌ لمبتــدع ... لا مرحبــاً بقبــوري ومــردود

صار الـذي كـان تـأتم الهـداةُ بـه ... وتقتفيــه بــأمر غــير معهــود

مـن كـان يهجـر ذا بـدع ومظلمـة ... أمسى يباشرهـا مـن غـير ترديـد

بـشتخة جَلَبَتْ لهـواً عـلى مـرح ... ساعات سنطورهم تبدى بتغريـد

تبًّـا لجالبهـا أهـون بـسامعها ... نـالوا الوبـال وإثـماً غـير معـدود

لا داعيـاً مرشـداً يـدعو لـصالحةٍ ... ولا وزيـر ولا قـاض بتـسديد

فالكـل يـسري لمـا يهـواهُ خـاطره ... لم يلتفـت لمـراضي خـير معبـود

حـق الغريـب وحـق الجـار أهملـه ... مـن كـان تعرفـه بالـدين والجـود

تجـارهم لم تُـزك ويـل أمهـم ... مـن شر عاقبـة في يـوم موعـود

لا يربُ سحت كما قال الإله لكـم ... كسب الحرام طريق غير محمود

أين الفرار وكم مـن بدعـة حـدثت ... وسـنةٍ درسـت مـن غـير تعديـد

موالـدٌ وَلَّـدت رقـصاً وتـصدية ... وضرب كـف وأشـعاراً بتغريـد

وصـيَّرت ديننـا في زي مـسخرة ... فــأي ديــن أتانــا بالأناشـيد

فالآل والصحب ثم التابعون لهـم ... كــذا الأئمــة لم تفعـل لمولــود

كـذا طرائـق سـوءٍ بـان منكرهـا ... ومنهل الحق أضحى غير مورود

فـما الطريقـة إلا نهـج أحمـد مـع ... أصـحابه الـسادة الغـر الـصناديد

فهـل تـرى مـن غـدا للنـار يحملهـا ... ويضرب الدف مع حمـل العرابيـد

أو هل سمعت بمن للجُدر ينطحها ... نطح الكبـاش وثـور ويـك مهـدود

ويــستغيث بــأمواتٍ لكربتــه ... فـاكفر بهـذا ولا تـشرك بمعبـود

فـاخلص لربـك اتبـع نهـج سـيدنا ... قـولاً وفعـلاً تنـل فـوزاً بتـسديد

ثعالب السوء نادت في أرانبها ... هذا زمانك عيشي عيش محمود
فالدار في أمرنا أعداؤنا خذلوا ... ملنا الأمير بمرقوش ومنقود
ما في البلاد حماةٌ غير ما رحلوا ... ومن بقى عندنا في زي ملحود
وا غربةُ الدين والإيمان في بلدٍ ... أهل الهدى بين مقهور ومضهودِ
إن دام هذا ولم يحدث له غيرٌ ... لا ترج حياً ولا تفرح بمولود
وفارق الكل لا تلوي على أحدٍ ... أرضاً بأرضٍ وخلانا بموجود
من كان نأمله في كشف معضلة ... أبدى بعذر ولا أجدى بمقصود
فأي دار بها الإسلام في شرف ... وسنة المصطفى تزهو بتجديد
أين الفرار وأي الدار نلق بها ... ولاتها كل ميمونٍ و محمود
عمري غدا بين واش ثم مبتدع ... يا رب يسّر بأنصارٍ لتوحيد
يا صاح من رام فوزاً يمشين على ... طريقة المصطفى يحظى بتسعيدِ
وآل ثم أصحاب له تَبَعٌ ... فازوا بسبقٍ وفاقونا بتسديد
وقادة الخير كالنعمان أولهم ... وأحمد وابن إدريس أخي الجود
ومالك كلهم كانوا أئمتنا ... أئمة الناس قد جاءوا بمقصود
تقليدهم بفروع مع مخالفة ... في أصل معتقد ذا غير محمود
قلد جميعاً بتوحيد وكن حذراً ... من رأي مبتدع تبدى بتقليد
واسلك عقيدتهم حباً متابعة ... واهجر أشاعرةً هجراً بتنفيد
وارفض لجهميةٍ مع كل معتقد ... للشرك ديناً ولو أبدى بتوحيد[١]

---

(١) في الهامش: «أي ولو تلفظ بالشهادتين وأتى بالواجبات؛ لأن الشرك والتجهم من المنافي لهما، فافهم».

نواقض الدين عشر تلك فافهمها ... لكي تنال نعيماً غير مجدود

وحبَّ في الله لا تركن لمبتدع ... واهجر بلاد الهوى حباً لمعبود

فلازم السنة الغراء تنج بها ... عند اللقاء بفوز غير محدود

ولا توافق أهواءً تلفقها ... أقوامُ سوء تُرى بالأوجه السود

خير الأمور أخي ما كان مرجعه ... إلى الرسول بلا شكٍ وترديد

فامسك عليه وجانب كل منحرفٍ ... لكي تفوز بدار الخلد والجود

أنشأتُ هذا وأرجوا قادراً صَمَدا ... حُسن الختام وتوفيقاً لمقصود

ثم الصلاة على الهادي وعترته ... وصحبه النجباء السادة الصِيد

ما لاح برقٌ على وادي العقيق وما ... على الغصون بدا القمرى بتغريد

وقال في سنة ١٣١٨هـ في ساحل عمان في حوادث بني الزمان:

يا مُنزل الآيات والقرآن ... صلِّ على المبعوث من عدنان

وعلى جميع الآل مع صحب له ... والتابعين لهم مدى الأزمان

يا رب وفقنا لنعمل صالحاً ... والأخذ بالقرآن كل أوان

يا رب جنبنا الحوادث والهوى ... أنت المُخَلص من لظى النيران

هذا زمانٌ قد تغير أهله ... لم يبق غير الرسم للقرآن

والاسم للإسلام باق في الورى ... لكنما الأعمال غير الشان

برزت جميع المنكرات كما ترى ... في كل قطر تَلْقَها بعيان

والجهل والطغيان فاش عندنا ... والعلم والإيمان في كتمان

والناس يرجون الجنان وحورها ... من غير فعل الخير والإحسان

همم الرجال مع النساء بوقتنا ... في الأكل والملبوس والبنيان

فكأنهم خُلقوا لها لم يذكروا	دار الجزا يوماً عظيم الشان
والأمر بالمعروف أهمل في الورى	والنهي أيضاً ذان متروكان
أمرآء هذا الوقت جارت واعتدت	هماتها في البغي والعدوان
أخذت مظالمها ولكن أهملت	حق الرعية جهرة بعيان
قد سالموا الأرفاض لكن حاربت	أهل التقى بالطرد كل أوان
علماؤهم أهل المناصب داهنوا	ونحو لنحو المال والسلطان
قد سالموا أهل التجهم والربا	لكنهم حربٌ لذي الإيمان
قالوا لعباد القبور وخدنهم	هم أهل قبلتنا بلا نكران
قد وتنوا أبناءهم ونساءهم	من غير معقول ولا برهان[1]
فأتى بهدي ثم تنوير كذا	سفر السعادة عن أولي العرفان
شرحٌ لخمسين وثم كتابنا التوحيد	فيها رد ذا البهتان
علماء نجد كلهم منعت لذا	هم في العقيدة أنجم الحيران
فالهيثمي الشافعي حكى به	منعاً بنقل واضح التبيان
عبدٌ لواحد ثم أحمد آخرٌ	جآءا بأحداث بسِيف عمان
فتأولا آي القرآن وسنة	بإباحة التجدير للإنسان
لا علم عندهما ولا ترك لما	تركت لها لأصحاب منذ زمان
قد جوزوا المسباح عمداً بيننا	بزبالة الآراء والهذيان
بثلاث آيات حكوه بسبحة	جهلاً وترويجاً على العميان

(١) مضى معنى التوتين.

نسبا حديثاً عن رسول إلهنا قد صار يمدح سبحة الإنسان
من بعد هذا ثم قاساه لنا في مدفعٍ مع بندق النصراني
كذبا على الباري وثم رسولنا لم يمدح المسباح قط زمان
كم غيرت قراؤنا من سنة كم أحدثت من بدعة بأوان
من نَاقَض الإسلام في أفعاله حكموا له بالخير والإيمان
مع كل جهمي وكل من التجى في الضر والكربات للجيلاني
أفتوا لحكام البلاد بنهبة من ثلث ميت يا أخي بعمان
خفروا لعهد الله في جارٍ لهم يا رب دمر ناكث الأيمان
كم أيدوا فسقاً وكم هدموا هدى يا رب أفقرهم من السلطان
فرعاة جور أيدت لمفاسدِ يا رب زلزلها من البلدان
ديدانهم جمع الدُنا ورياسةٍ ومآكل وتلاعب النسوان
لا غيرة بقيت لهم بديانة باعت ممالكها على الشيطان
يا رب فانزل رحمة وإغاثة بولاة يُمنٍ يا علي الشان
من وافق السلطان في شهواته يحظى بما يهوى لدى العميان
فالدين ضاع لدى الأمير وقاضيٍ هذا له سهم وذا سهمان
عقد النكاح مع الطلاق برشوة إن لم تكن فالأمر في شنآن
دأباً ترى صرف الحقوق لظالم أهون بقاضي الجور والنيران
أتباع نعمان ومالك شافع ركنوا بمعتقد لرأي فلان
أمسوا أشاعرة بمعتقدٍ لهم أو ماتريدياً بلا نكران
ما عذرهم تركوا بأصل ديانةٍ لأئمة الإنصاف منذ زمان

يا رب يسر من يرد أخا الهوى | لمناهل التحقيق والإيمان
تجار وقتي يا أُخيَّ تختموا | من خالص الإبريز والعقيان
ساعاتهم أمست كحلية نسوةٍ | في الصدر أبدوها بلا كتمان
منهم تراه لدى الشروط مرابطاً | كسب القمار كجيفة الأنتان
أكلوا الربا عمداً لربك حاربوا | بئس التجارة من جهول جان
قطعوا لأرحام وعقوا والداً | بروا صديقاً جهدهم بتهان
قد قرروا القانون في بلدانهم | تباً لهم من معشر عميان
قالوا إذا مات الولي يكن لنا | غوثاً معيناً سائر الأزمان
عبدٌ لقادر عيدروسُ رفاعيٌ | بدويهم كلٌ بذا الأكوان
تدري بمن يدعوهمُ في كربة | هذا مقالة عابد الشيطان
احذر تزل وتعتقد في حلقة | لا ترجُ غير الله ذا الإحسان
من كان يعبد واحداً لم يعتقد | في خِضرهم نفعاً وعَبّادان
لا تعتقد في حلقة وتميمةٍ | في طرد نفس الجنّ والإنسان
نَزَل الحديد وبأسه بمنافع | في أخذ أسلحةٍ لقمع الجان
وعلى الإله توكلوا وتحصنوا | بدراسة الأوراد والقرآن
فاللعن والبهتان عند جميعهم | من غير ما كيل ولا ميزان
تركوا الإماء مع العبيد بغيهم | وفسادهم من غير ما نكران
يا رب يسر عالماً ومجدداً | للدين حتى يرشد الحيران
كم أتلفوا الأموال في كأسٍ وفي | صين وساماتٍ لدى النسوان
ومناظر فيها البُراق مصوراً | قد علقوها زينة لمكان

ساعات سنطور ودعوة خمسة ... قد أحدثوها جهرة بزمان

ملئوا منازلهم كأعداءٍ لنا ... صُوَرًا وتمثالاً من الحيوان

بشتختة الشيطان جاؤنا بها ... تجد الغراب موالف الأنتان

تباً لمبديها وسحقاً للذي ... يرضى بإصغاءٍ لصوت أغان

لا غيرةٌ بقيت بغالب أمة الـ ... مختار في دين بذا البلدان

أهل الشهامة والديانة سافروا ... من هذه البلدان منذ زمان

ومن الحوادث أن في تجارنا ... قوماً سروا للبغي والعدوان

تركوا من الإسلام ركنين له ... حجاً بلا عذر ولا برهان

أيضاً وتقسيم الزكاة برأيهم ... منهم يؤخرها لحولٍ ثاني

والآخرون فلم يزكوا مالهم ... يا ويلهم من نقمة الديان

الله أكبر من عظيم مناكرٍ ... تبدوا من الأرفاض في البلدان

في يوم عاشورا بمجتمع لهم ... من غير ما نهيٍ ولا نكران

يُبدون أمراً لا يسوغ لعاقل ... فيه السكوت ولو بدا بطعان

ويلاه من تلك الفضيحة إنها ... نُشرت بأيدي الرفض كل زمان

كم مثلوا كم شبهوا كم أشركوا ... بالله من رجل ومن أوثان

كم أبرزوا جزعاً وكم لطموا على ... تلك الوجوه لطاعة الشيطان

كم شبهوا ببنات أحمد منهم ... متهتكات أقبح النسوان

ضلوا الطريق عقولهم فسدت كذا ... صاروا لدنيا ضحكة الصبيان

يا ناصر الإسلام هل من نخوةٍ ... وحميّةٍ للدين والإخوان

تبدي بهدم مآتم بنيت على ... سبٍ وتكفير لذي الإحسان

يـا رب فابعـث مـن تـشاء بوقتنـا ... للنـاس يـردعهم مـن العـصيان
كـم قربـوا للجـن قـالوا سـيّداً ... نُـسكا يريـد مـن الـشياه الـضان
مع طيب عـودٍ ثـم خـاتم عـسجدٍ ... دأبـاً يكـون بخنـصر الأيـمَان
حتى يكـون الـزار يشكر سعيكم ... أيـضاً فـلا يمكـث بـذا الإنـسان
مـا بعـد هـذا الفعـل حبـة خـردلٍ ... يبقـى لـصاحبه مـن الإيـمان
أيـضاً فكـم مـن مجلـس ببلادنـا ... بنيـت عـلى العـصيان للمـردان
لعـب القـمار وضرب مزمـار بهـا ... وغنـاء شـابور بـضرب بنـان
إن قلـت هـذا منكـر قـالوا لكـم ... فهـم الزقـرت لهـم كبـير الـشان
جـراً لـسفن ثـم هـم خـدا منـا ... في البحـر غواصـون للمرجـان
لولا همـو متنـا ولم نقـدر عـلى ... سـعيٍ عـلى الأطفـال والنـسوان
يـا رب فابعـث للعبـاد أئمـة ... فضلاً لطمس الجهـل والعـصيان
شهماً يريد الأجر لم يخش الورى ... يـا رب يـسره بـذا الأزمـان
أمـا النـساء فـلا لهـن عقـل ولا ... ديـن وهـن حبائـل الـشيطان
لا الذكر يزجرهن عن فعل الخنا ... بـل لا حيـاء يـردُّ عـن طغيـان
لـو كـان ديـن مـا بـرزن لـسكة ... بلبـاس حـلي ظـاهرٍ لعيـان
مـع كـشفها للـصدر تجـرر ذيلهـا ... أهـون بـذا النـسوان كـل أوان
لـو كـان عقـل للنـساء بـساحل ... أوتخـش ربـاً فـاطر الأكـوان
مـا كـان تغـدوا للمقـيض تعمـداً ... مـع رفقـة الـشيطان للبلـدان
قبحاً لهـا سـحقاً لمـن يـرضى بـذا ... يـا ويلهـم مـن نقمـة الـديان
أمـا سـخيفات العقـول مـن النسا ... فرؤوسـهن كجماجـم الثـيران

مـن كورهـا للـشعر مثـل عمامـة يــدعى بــشُنْقِيّ لــدى النــسوان
لعـن الإلـه الواصـلات مـن النسا والماشــطات لهــن كــل أوان
فالصالحات الطاهرات مـن النسا لم تـأت محـذوراً عـلى الأزمـان
يـا رب جنبنـا الحـوادث والهـوى أنــت الجـواد وفـاطر الأكــوان
يــا رب وفقنـا طريقتــك التــي بينتهــا للنــاس في القــرآن
يـا رب غُفـراً مـن ذنـوب جمـةٍ يــا رب معــذرةً مــن النــسيان
هــذا قليــل مــن كثـير حــوادث ممــا ذكرنــا قــد بــدت بزمــاني
ثــم الــصلاة عــلى النبــي وآلــه والصحب والأتباع بالإحسان»[1].

قلت: بقي أن يشار إلى أن العلاقة بين الشيخ ابن سحمان والمرزوقي ـ رحمهما الله ـ لم تدم على صفائها ـ للأسف ـ، فقد حدث بينهم النزاع ـ فيما بعد ـ.

قال الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ تعليقاً على ترجمة الشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ لحسين بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ: «لعل الشيخ ـ رحمه الله ـ تحاشى ذكر المساجلة التي جرت بينه وبين الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمهما الله ـ، وهي مساجلة لا تتصل ـ ولله الحمد ـ بالعقيدة، وإنما لخلاف عارض حول عالم جليل من علماء عصرهما، هو الشيخ محمد بن حسن المرزوقي، الذي له مقام محمود

(١) ما سبق منقول من كتابه «أنجح الفوائد»، (ص٣٢-٦٢). وله ـ رحمه الله ـ قصائد أخرى في خاتمة الطبعة الأولى من كتاب «كشف الشبهتين» للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ، المطبوعة في الهند، عام ١٣٢٦هـ.

في نشر الدعوة السلفية، ومحاربة أعدائها، وممن تصدى للرد عليهم، كالنبهاني وغيره، فقد حدث أن قدم الرياض وكان يلبس عقالاً، ولعله لم يجد من حسن الاستقبال من المشايخ ما كان متوقعاً، فعاد متأثراً، وأطلق لسانه في أمور لا تتصل بالعقيدة، ولعله نال من بعض دعاتها ومناصريها، ممن تأثر منه حين عاد إلى بلدته قطر..»(١).

وقال الشيخ أبوعبدالرحمن الظاهري ـ وفقه الله ـ: «حدثني شيخنا حمد الجاسر أن المرزوقي زار نجداً، ولم يلق قبولاً من المشايخ؛ فتنكر لهم»(٢).

قلت: وقد أرسل الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ رسالة للمرزوقي ـ رحمه الله ـ بعد أن تنكر له، يقول فيها:

«من سليمان بن سحمان إلى الأخ محمد بن حسن المرزوقي: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أشرفتُ على خطك الذي أرسلت إلى الشيخ سعد تقول فيه: «وكُتُب سليمان إلي في مصر وعندنا يكون يوكل أحد نسلمها له، ما عاد لي شوق إلى موالاة أحد أبداً، جزى الله بالخيرات من ليس نعرف، وأما الأمر الديني فأناعليه إن شاء الله تعالى»، فأقول: إذا كان الأمر كما ذكرتَ، فلا أدري ما السبب المهيّج لذلك؟ هل هو أمر ديني أو دنيوي؟ وهل هو أمر من جهتي وخاص بي، أو هو من أجل غيري؟ فإن كان من أجل غيري؛ فلا تزر وازرة وزر أخرى، وإن كان من أجلي والأمر

---

(١) جريدة الرياض، تاريخ ١٥/ ٦/ ١٤٢٠هـ، مقال عن كتاب الشيخ البسام ـ رحمه الله ـ «علماء نجد خلال ثمانية قرون».

(٢) من مقدمته لكتاب «شعراء من الوشم»، للأستاذ: سعود اليوسف ـ وفقه الله ـ، ص(٣٤).

ديني، وقد حصل مني أمر يوجب قطع الموالاة من أجل ذنب ارتكبته، أو موالاة لأعداء الله ورسوله، أو معاداة للإسلام وأهله؛ فبينه لي، فإما وافقتك على ذلك وأقررت بذنبي، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وإلا أجبتك عن ذلك؟ وإن كان الأمر دنيوي، فماعلمتُ إلا أني أكرمتك، وأنزلتك فوق منزلتك، وكنتَ أحبُ واردٍ إلينا، وأكرمُ وافدٍ علينا، فإن كنتَ رأيت غير ذلك منا؛ فبينه لي، وقبل ذلك لا أرضى أن يتكلم أحد في عرضك بشيء، بل أكون شجاً في حلقه... ـ إلى أن قال ـ: وأما قولك: «وأما الأمر الديني فأناعليه إن شاء الله تعالى» فأقول: إن كانت المحبة التي سبقت بيننا، والمناصرة التي سبقت بيننا، والمناصرة والمعاونة على البر والتقوى، ومعاداة من أحدث في الدين حدثاً، أو منكراً، والمساعدة على طبع ما رددنا به على أعداء الله ورسوله، ليست من الأمر الديني، فواضيعة الأعمار تمضي سبهللا! وقد خاب مسعانا، وواضيعة العمر!، وإن كان الأمر الديني، فما الموجب لهذا الكلام الساقط السامج المتهافت؟ الذي لا يصدر من ذي محبة قديمة سابقة، ولا مودة أكيدة صادقة».

قلت: رحم الله الشيخين ـ ابن سحمان والمرزوقي ـ، وجمع بيننا وبينهما وإخوانهما من العلماء في مقعد صدق، عند مليك مقتدر، وقد أوردت ما سبق للفائدة العلمية.

* * *

المنظومــــة

الحمد لله الذي جنبنا زيغ الزائغين وانتحال الجهمية والمشركين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، أما بعد:

ففي سنة ١٣٣١هـ رأيت رائية لرافع راية الحزب الشيطاني، الملحد الشهير بيوسف النبهاني، فإذا هي مشتملة على الإفك وخبث الانتحال، ومدح الجهمية القبورية الضلال، وتكفير العرب الحنابلة النجديين، وهجاء أكابر العلماء السلفيين، كمحمود شكري و محمد عبده والأفغاني جمال الدين، إذن تيقنت أنه خاتمة الدجاجلة الثلاثين وأنه من سُمارة الدجال الأعور اللعين، فبادرت لنزاله في الميدان، ولو أنه الآن في خبر كان، ليعلم حزبه أن للدين حماةً وأنصاراً، وأنه ما نال من أسفاره إلا الوزر والعار، ولولا حذر العقاب، لما حررت له جواب.

والله المرجو أن يجزل لي الثواب، بقمع هذا الملحد المرتاب، اللهم إياك أعبد وإياك أستعين، فيما أرجوه وأخافه من أمر الدنيا والدين.

١- أقـول وبـسم الله أفتـتح الأمـرا ... وأسأله التوفيق في نظمي الشعرا

٢- جواباً لمن عادى الهدى ودعاته ... لألقمه صـخراً وأدحـره دحـرا

٣- قبوريـة مـن كـل قطـر تحزبـت ... تؤلـف أهـواء وتنـشرها نـشرا

٤- فحـدادُ صـنعا والزهـاويُ بعـده وأحمد زيني ثم من سكنوا هجرا[١]

٥- وكَسْم عطاء أحمد العظم عـصبة بشام أتت شرًّا وأبدعت الوزرا[٢]

٦- وأخسر منهم من غدا في حياتـه يـروح صُـفرا ثـم يحسبه تِـبرا[٣]

٧- دعيّ بني نبهان يوسف في الورى لقد خاب مسعاه بدنياه والأخرى

٨- حثالـة أنبـاطٍ لقـد ضـل قـصده فتبًّـا لـه بطنـاً وتعـساً لـه ظهـرا

٩- فـدين أبي جهـل لقـد ظنـه هـدىً ودين ختام الرسل قـد خالـه كفـرا

١٠- فجـدد للجهمـي رأيـاً ومـسلكاً يُـحـسنه نثـراً وينظمـه شـعرا

١١- ومن بعد سِفر الزور أبدى قصيدة دعاهـا بجهـل منـه رائيـة صـغرا

---

(١) حداد صنعا هو علوي بن أحمد الحداد (ت١٢٣٢هـ)، ألف كتاباً في مناوأة الدعوة السلفية سماه «مصباح الأنام...»، فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتابه: «الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد».

والزهاوي، هو الشاعر العراقي: جميل صدقي الزهاوي (ت١٣٥٤هـ). ألف كتاباً في مناوأة الدعوة السلفية، سماه: «الفجر الصادق...». رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتاب: «الضياء الشارق...»

وأحمد الزيني، هو أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ)، ألف كتاباً في مناوأة الدعوة السلفية، سماه: «الدرر السنية في الرد على الوهابية». رد عليه عددٌ من العلماء. ومن أفضل الردود عليه: كتاب: «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للشيخ بشير السهسواني ـ رحمه الله ـ.

(٢) كسم عطاء، هو محمد عطاء الكسم (ت١٣٥٧هـ)، ألف كتاباً في مناوأة الدعوة السلفية، سماه: «الأقوال المرضية...»، فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتابه: «الصواعق المرسلة الشهابية...».

وأحمد العظم (ت١٣٤٠هـ)، ألف كتاباً في مناوأة الدعوة السلفية، سماه: «جلاء الأوهام...»، رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتابه: «كشف غياهب الظلام...».

(٣) الصُفر: النحاس. والتِّبر: الذهب.

١٢- فـضمَّنها زوراً كـشاهد حقـه	ومن حمقه أن قال في شعره جهرا
١٣- (وأعجب شيء مسلم في حسابه	غدا قلبه من حبٍّ خير الورا صِفرا
١٤- أولئـك وهابيـة ضـل سـعيهم	فظنوا الهدى شرًّا وظنوا الردى خيرا)
١٥- أقـول فوهابيـة طـاب سـعيهم	فهم حكموا القرآن والسنة الغَرا
١٦- يوالون ذا التقوى يعادون من غوى	كماة الهُدى لا إفك لا شرك لا نُكرا
١٧- وقد حسَّنوا التوحيد لما دعوا له	وقد زجروا أهل الهوى كلهم زجرا
١٨- سلاطينهم تسدي وتلحم جهدها	وتنشر أعلام الهدى في الورى نشرا
١٩- قضاتهمو بالوحي تحكم في الورى	وقـانون آراءٍ فتهدمـه كـسرا
٢٠- ولم تـستغث يومـاً بغـير إلههـم	ولم يجلبو للقبر نُسكاً ولا نذرا
٢١- ولم تر في نجدٍ على الكفر واحداً	ولا رافضيًّا مع مذاهبك الأخرى
٢٢- فـأكرم بهـم مـن فرقـة سـلفية	تكفر جهميًّا ومن يعبد الدهرا
٢٣- وتـرفض مَـن للأشعري مقلـداً	وللماتريدي دائماً تُعلن الهجرا
٢٤- وتبـدي لأهـل الابتـداع مـسبةً	وتهجرهم من غيِّهم أبداً زجرا
٢٥- حنيفيـة الإيـمان في نهـج أحمـدٍ	حنابلـةٌ ما خالفت أحمداً شبرا
٢٦- وقولـك سكان اليمامة أصبحوا	قلوبهمو من حب خير الورى صِفرا
٢٧- كذبت فهم في غاية الحب والولا	لخير الورى كانوا فما خالفوا الأمرا
٢٨- فسكان نجد ثـم مـن هـو مثلهم	محبته من قلبهم سَكنت جَذرا[1]
٢٩- تعـزره جهـراً بتـوقير هديـه	فتتبعـه دأبـاً وتـشكره دهـرا

---

(١) الجَذر: أصل الشيء.

٣٠- همو جددوا نهجاً له ولصحبه لما ملكوا سل كربلاء وسل شحرا[١]

٣١- وسل يمناً عنهم وسكان مكة بما هدمو من بدعة وبَنَو فخرا

٣٢- محبة طه تلك طاعة أمره بلا حيدة عنها يميناً ولا يسرى[٢]

٣٣- فمن لم يكن يحيا بها في حياته يكن قلبه من حب خير الورى صِفرا

٣٤- وقلتَ مقالاً لا سديداً وحجة بنظم ونثرٍ أشبها الروث والبعرا

٣٥- (مسيلمة الجد الكبير وعرسُه سَجاح لكل منهم الجدة الكبرى)

٣٦- نعم كان في ذاك الزمان مسيلمٌ وأسودُ في صنعاَ وطلحة ذو الإغرا[٣]

٣٧- ومثلهم المختار في كوفة افترى غداة حكى جبريل أوحى له الأمرا[٤]

---

(١) الشِحْر: ما بين عدن إلى عُمَان. (معجم البلدان: ٣/ ٣٧١).

(٢) يقصد الناظم بـ«طه»: نبينا محمد ﷺ.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما ما يذكره العوام أن «يس» و«طه» من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، وليس في ذلك حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنماهذه الحروف مثل: آلم، وحَم، وآلر، ونحوها» (تحفة المودود، ص١٢٧).

(٣) أي: الأسود العنسي، أحد من ادَّعوا النبوة. ومثله: طلحة الأسدي.

(٤) يلزم الناظمُ النبهانيَّ بأن هناك من ادّعى النبوة في أماكن أخرى غير نجد؛ كالأسود العنسي باليمن، وطلحة بن خويلد الأسدي في الشام، والمختار بن أبي عبيد في العراق، فلماذا خصصت نجداً بالذم، وأغضيت عن تلك الأماكن؟ وسبب الغضب والذم واحد؟!

ومسيلمة الكذاب، هو ابن حبيب اليمامي، ادعى النبوة زمن النبي ﷺ، حتى قتل سنة ١١هـ على يد وحشي بن حرب ـ رضي الله عنه ـ، في حروب الردة زمن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٥).

والأسود العنسي، هو عبهلة بن كعب بن غوث، ادعى النبوة باليمن زمن النبي ﷺ، قتله فيروز الديلمي ـ رحمه الله ـ مطلع خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. «البداية والنهاية»، (٦/ ٣٠٩). وطلحة الأسدي، هو ابن خويلد بن نوفل، ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وادعى النبوة، ثم خذله الله على يد خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ وتفرق جنده، فلحق بالشام، ثم عاد إلى =

٣٨- ففـي يمـن كـانوا ونجـدٍ وكوفـة أتغضب من نجدٍ وترضى عن الأخرى
٣٩- فماذا على نجدٍ من العيب والأذى بمن قد خلا من كافر عنه وازورا
٤٠- تُعيِّر نجـدا في سَـجاح وزوجهـا وذنبك في الإسلام قد جاوز الحصرا
٤١- مـسيلمة الكـذاب أشرك نفـسه وقال له شطراً وللمصطفى شطرا
٤٢- وأنـت تقـول الأوليـاء جمـيعهم تُـدبر هـذا الكـون أجمعـه طُـرا
٤٣- ومـن كـان ذا حـبٍ لطـه وآلـه بـه يعتقـد غوثـاً ويطلبـه نـصرا
٤٤- وتـزعم أن الله في كـل وجهـة يميناً وتحتاً كان فوقاً كذا يسرى
٤٥- وترمـي بنـي التقـوى بكـل رذيلـة خصصتَ بني نجد بلائمة كبرى
٤٦- مـسيلمةٌ كـلٌ حكـى لـك كفـرَه ووافقـه قـومٌ فنـالوا بـه خـسرى
٤٧- فكفرك أردى من مسيلمة إذ غدا لدعوتك الشنعا بما جئته جهرا
٤٨- وقولـك يـا أفـاك إن رسـولنا أشـار إلى نجـد بـذم حـوى شرا
٤٩- أشـار إلى نَحـو العـراق وكوفـة همـا جهتـا شرق لطيبتنـا الغـرا
٥٠- متـى كـان في نجـدِ الأبـيرق فتنـة بقى شرها دهراً وآلامها عمـرا[١]
٥١- ولـم يكُ في نجد اليمامة غير مَـن ذكرت وكم خير بها أخلف الشرا
٥٢- فغوغـاء مـصر ثـم شـام وكوفـة همو قتلوا الأصحاب همو أضرموا النارا

=

الإسلام زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢١هـ. «البداية والنهاية» (٧/ ١٢١).
والمختار بن أبي عبيد الثقفي، ادعى النبوة بالعراق زمن عبدالله بن الزبير، فبعث إليه أخاه مصعب بن الزبير، فقتله واحتز رأسه، وبعث به إلى أخيه عبدالله ـ رضي الله عنه ـ بمكة، سنة ٦٧هـ. «البداية والنهاية»، (٨/ ٢٩٢).

(١) الأبيرق تصغير الأبرق؛ وهو المكان المرتفع إذا اختلط فيه الحصا بالرمل. والمقصود هضبة نجد. «كلمات قضت» للشيخ محمد بن ناصر العبودي (١/ ٥٥).

٥٣- همو قتلوا صهرَ الرسول وسِبطه إذا كنتَ ذا جهل فسَل كلَّ من يقرا

٥٤- سيأتيك توضيحاً لما قد زبرته لتعلم كلُ الناس فريتك الغبرا

٥٥- وأنك دجال خدين ابنَ مُرةٍ فلم تر للإسلام جاهاً ولا قدرا(١)

٥٦- وقال عدو الله ممن قد انتمى لنبهان زوراً ثم عن شرعنا ازورا

٥٧- (وقد عذروا من يستغيث بكافر وما وجدوا للمستغيث بهم عذرا)

٥٨- أقول فذي أسفارهم لم تجد بها إغاثة ذي كفر جهاراً ولا سرا

٥٩- وذا الخلة الشنعاء أنت مقرها ونصرة أهل الكفر أنت بها أحرا

٦٠- نعم إنهم لم يستغيثوا بميت وما وجدوا للمستغيث به عذرا

٦١- وقد وجدوا ربَّ الورى جل شأنه وما أشركوا بالله سراً ولا جهرا

٦٢- وأما بنو نجد وهمو مثلهم فتلعنهم جهرا وتنظرهم خزرا(٢)

٦٣- تُكفر من أضحى يؤيد كافراً ومن كان يدعو غير من سمك الخضرا

٦٤- حكمت زماناً طال في أمة الهوى بقانون آراء وقد خالف الذكرا

٦٥- فذا بعض أهواء لديك جهارة ولم تك في نجد جهاراً ولا سرا

٦٦- توالون كفاراً بزي وغيره مشابهة الكفار في قومكم تترى

٦٧- كنائس كفار لديكم ومأتم وهل أحد يُنمى بنجد لها ذكرى

٦٨- مساجدكم معمورة بزخارف ولكن من التقوى محاريبها قفرا

٦٩- وتدعون فيها العيدروسي جهرة وأضرابه في كل نائبة تعرى(٣)

---

(١) ابن مرة: كنية الشيطان. «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبوزيد ـ رحمه الله ـ، ص(٦٣).

(٢) خزرا: أي تنظرهم بطرف عينك.

(٣) هناك أكثر من (عيدروسي) تعظمهم الصوفية! ينظر لمعرفتهم كتاب الشيخ أحمد المعلم: «القبورية في اليمن»، ص(٣٨٢ وما بعدها).

٧٠- عبــادتكم شــطران لله نــصفها ونصفاً لعبّادان صبحاً يلي عصرا[1]

٧١- وحانات خمار وسوق فواحشٍ لديك تراها ما ذكرت لها نُكرا

٧٢- فهل من يكن هذي لديه ممجدا ومن قد خلا من ذاك تهجرهم هجرا

٧٣- وقولك يا ضِلِّيل لم يتوسلوا لأن لكل عند خالقه قدرا

٧٤- كذبتَ متى قالوا بأن مقامهم مقام نبي الله في ذي وفي الأخرى

٧٥- بأي كتاب قروره أبن لنا ولكنك الكذاب مرتدياً كبرا

٧٦- يقولون إفراد العبادة واجب على العبد لله الذي ملك الأمرا

٧٧- وحبُ رسول الله وفق مراده بفعل لمأمور ورفض لما ازورا

٧٨- توسل سكان اليمامة كلهم بأسماء ربي ثم قرآنه دهرا

٧٩- هل ارتكبوا وزراً بترك توسل فجئنا ببرهان وفسر لنا الأمرا

٨٠- ودجال بيروتٍ حكى بكتابه فلم يستغيثوا بالرسول أبي الزهرا

٨١- أهل ربنا قال استغيثوا بأحمد بقرآنه هاتوا بذا حجة غَرا

٨٢- وهل قال طه للصحابة مرة ألا فاطلبوني إنني أكشف الضرا

٨٣- وهل دعوة الباري بكل ملمة تُحط لطه قدرَه فاقتضت وزرا

٨٤- أما نزلتْ بالصحب جل نوازل كما هو مشهور لدى كل من يقرا

٨٥- فأيهمُ أبدى لطه شكاية ابن لي ببرهان ووضح لي الأمرا

٨٦- أيا علماء الشام من كل منصف أذا منكر أم يوسف قد حكى النُكرا

٨٧- وقال أخو الشيطان كذباً وفرية دعي بني نبهان من حالف الغدرا

---

(١) عبّادان: مدينة أحوازية تقع جنوب غرب إيران. قال عنها صاحب «معجم البلدان» (٤/ ٨٣-٨٤): «فيها مشاهد ورباطات.. ويروى في فضائلها أحاديث غير ثابتة».

٨٨- (حنابلــة لكــن مــذهب أحمــد إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرا)

٨٩- أقــول فــسكان الأبــيرق كلهــم حنابلـة مـا خالفـتْ أحمـداً شـبرا

٩٠- فـسكان نجـد لم يـدينوا ببدعـة كـما دنتـه سرًّا وأعلنتـه جهـرا

٩١- وتنحــل اســمَ الــشافعي تــستراً إمام الهدى لا شك من كفركم يبرا

٩٢- بـدائك يـا هـيُّ ابـن بَـيٍّ رميتَهم لكونك لا دنياً حويت ولا أخرى(١)

٩٣- أتدري وهل تدري الورى ابن من تكن فذا شرحه نبديه حـالاً لمـن يقـرا

٩٤- تُـحَسن إشراكـاً ونهـج فلاسـف وتُـحيي رسومات الهوى كلها طُرًّا

٩٥- نفــاق ودهــري وتقيــة رافــض تحل بذي وقتاً وتذهب للأخرى

٩٦- وحينــاً تقــول الأشــعريٌ إمامنــا مع الماتريدي الحَبر أكرم به حبرا

٩٧- بحزوى تُرى يوماً وفي الهند تارة وفي يمنٍ وقتاً وحيناً ففي بُـصرى

٩٨- ومــذهبكم يبــدو لنــا بعقيــدة تدور مع الأهواء شهراً يلي شـهرا

٩٩- أمَــن كــان هــذا نهجــه وشــعاره يعيب على نجد ويعزي لهم كفرا

١٠٠- وأبــديت يــا زنــديق شرَّ مقالــة بقولك رب الناس يُعبد لا يـدرى

١٠١- بـدرت بـأمرٍ جـدُّك الجهـم قالـه وجـددت دعـواه وبـؤت بـه وزرا

١٠٢- ومن لم يقل رب الورى فوق عرشه غدا مشركاً قبحاً لـه وأتـى الكفـرا

١٠٣- فقبلـك جَعْـدٌ ثـم جهـم وبِـشْركم وابن دؤادٍ حكموا الـرأي والفكـرا(٢)

---

(١) هيُّ بن بيّ: يقال للرجل لا يُعرف من هو ولا أصله.

(٢) يُشبه الناظمُ النبهانيَّ بأسلافه من الجهمية المبتدعة الذين أنكروا صفات الله ـ عزوجل ـ؛ كالجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وبشر المريسي، وابن أبي دؤاد.
أما الجعد بن درهم فهو أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. وكان شيخاً للجهم بن صفوان. قتله الأمير خالد القسري ـ رحمه الله ـ في =

١٠٤- وقد قُتلوا والحمد لله بعد ما بكفرانهم أفتى الألى قد علو قدرا

١٠٥- وعبت على سكان نجد لقولهم على عرشه الرحمن سبحانه يُدرى

١٠٦- وحجتهم فيه الكتاب وسنة وإجماع من إجماعه حجةٌ كبرا

١٠٧- إخالك لم تدر بقول إلهنا ولم تك تتلوه صباحاً ولا عصرا

١٠٨- ولو طالعتْ عيناك ستَّ صحاحهم لزال الذي قد حل من قلبك الجَذرا

١٠٩- وسلمتَ للمنقول سالمت أهله وواليتهم حباً وقلدتهم عشرا

١١٠- وقلت بأن الله فوق سمائه بذات وقهر فوق عرش علا قدرا

١١١- فمن كان لا يكفيه وحيُ إلهنا ويغنيه ما أبداه طه لنا جهرا

١١٢- وما انتحلت أصحابه ثم تابع وسادةُ دين الله أجمعهم طُرًّا

=

يوم عيد الأضحى سنة ٩٤هـ، قائلاً: أيها الناس ضحوا، تقبل الله أضحياتكم؛ فإني مضحٍ بالجعد بن درهم! ثم نزل فذبحه. ولذا قال ابن القيم في نونيته:

شكرَ الضحية كلُ صاحب سنةٍ لله دَرك من أخي قربان

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٣٣)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ١٩)، وانظر للرد على من حاول تضعيف قصة مقتله: رسالة «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» للدكتور محمد بن خليفة التميمي ـ وفقه الله ـ.

وأما الجهم بن صفوان، فقد قال عنه الذهبي: «أس الضلالة، ورأس الجهمية، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، ويقول إن الله في الأمكنة كلها» ـ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ـ، قتله الأمير سَلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦).

وأما بشر المريسي، فهو أحد المبتدعة الضُلَّال، أخذ مقالة الجهم، ونشرها، ودعا لها، وقد كفره علماء عصره، وأفتوا بإباحة دمه، هلك سنة ٢١٨هـ. انظر: «لسان الميزان» (٢/ ٢٩).

وأما ابن أبي دؤاد؛ فهو القاضي الجهمي البغيض، كان قاضياً للمعتصم ثم للواثق، وحملهما على امتحان الناس بخلق القرآن، هلك من جرَّاء فالج أصيب به، سنة ٢٤٠هـ. انظر: «لسان الميزان» (١/ ١٧١).

١١٣- فذلك زنديق نقول بكفره بنثر ونظم لا مخافة لا عذرا

١١٤- وقولك يا أصل الفساد وإلفه بما كنت تبديه وتنشره نشرا

١١٥- (لقد عم في هذا الزمان فسادهم فما تركوا شاماً ولا تركوا مصرا)

١١٦- أقول فهم قد عم في الأرض رشدُهم ودعوتُهم مصراً وشاماً وزد شحرا

١١٧- هم العرب العربا بوادي حنيفة صلاحهم قد طبّق السّهل والوعرا

١١٨- وأيُّ فساد قد أتوه أبن لنا ليعلمها أعلام من سكن الغبرا

١١٩- فهل أشركوا بالله قطباً وصالحاً وهل ندبوهم في شدائدهم جهرا

١٢٠- وهل عطلوا ربًّا علا فوق عرشه وقالوا بأن الله يُعبد لا يُدرى

١٢١- وهل أولوا كالأشعريين وحيّه وهل هجروا قول الرسول لنا هجرا

١٢٢- وهل قبلوا رأي ابن سينا وجنده وهل رجحوا قولاً على السنة الغَرا

١٢٣- وهل جصصوا قبراً وطافوا بقبة وهل نحروا للقبر أو نذروا نذراً

١٢٤- وهل حسنوا فعل الروافض أم حكوا لبدويٍّ مصر دعوةً توجب الكفرا

١٢٥- وهل جوزوا للعيدروس تصرفاً وما كان في بغداد يأتونه نكرا

١٢٦- وهل صفقوا يوماً بذكر طريقة كما صفق الضُلال تزمره زمرا

١٢٧- وهل شربوا خمراً وللرأي حكّموا أجنبي وهل سوق الفجور أتوا جهرا

١٢٨- فهذي المساوي قد تناهت بداركم كذلك أضعاف لها فاتت الحصرا

١٢٩- بأي دليل قلتَ عمّ فسادهم فما تركوا شاماً وما تركوا مصرا

١٣٠- وقولك يا أكار شام وثوره بما أنت مأواه وروضته الغَبرا[1]

١٣١- (رموا بضلال الشرك كلَّ موحد إذا لم تكن منهم عقيدته تبرا)

---

(١) الأكّار: الحرّاث.

١٣٢- كذبتَ فهم ما كفروا من موحد ... بأي كتاب دونوه لكي يُدرى
١٣٣- فهل قاله الحبر الإمام محمد ... إمام الهدى من جدد الشرعة الغَرا[1]
١٣٤- وهل نجله عبدالرحمن قاله ... بشرح على التوحيد أكرم به سِفرا
١٣٥- وهل قاله عبداللطيف برده ... على نسل جرجيس الذي جوز الكفرا[2]
١٣٦- وهل قاله نجلٌ لسحمان حَبرنا ... بأسفاره الغَرا لترميهم وزرا
١٣٧- عقايد سكان اليمامة كلها ... مسطرة فيها وكلٌ لها يقرى
١٣٨- فما كفروا مثل الإباضي مذنباً ... ولكنَّ ذنب الشرك قالوا به كفرا
١٣٩- نكفر من يدعوا الوليّ لحاجة ... ومن قلد الجهمي والجعد أو بِشرا
١٤٠- نكفر أيضاً من أباح محرَّما ... وقد خالف الوحيين إن فقد العذرا
١٤١- وقولك يا نعَّاب شام وبومه ... لشيخ حوى مجداً وما خالف الذكرا[3]
١٤٢- (ومنهم سليمان بن سحمان لم يزل ... يجادل أهل الحق أجمعهم طرا)
١٤٣- نعم إنه دأباً يناضل جهده ... جنود بني الأهوا ومن نصر الكفرا
١٤٤- وينظركم شزراً ويهتك ستركم ... وأسفاره قد أوغرت منكم الصدرا
١٤٥- أتى كَسَم قِدماً وساكنُ إربل ... ضلالاتِ أوهام كما جئته جهرا[4]

---

(١) أي أن أئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وأبنائه وأحفاده؛ كالشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف، ومثلهم الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمهم الله ـ لم يكفروا الموحدين من أمة محمد، إنما كفّروا أهل الشرك.

(٢) داود بن جرجيس؛ أحد دعاة القبورية الذين رد عليهم الأئمة. له ترجمة في «المسك الأذفر» (ص٤٥٩).

(٣) النعَّاب: الغراب.

(٤) الكسم: سبق أنه أحد من ناوأ الدعوة ورد عليه الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ.

وساكن إربل: لم يتبين لي من هو. وإربل مدينة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة الموصل =

١٤٦- وحدادُ صنعا والعراقيُّ بعده ... وأحمدُ زيني والبُصَيلُ حكو نكرا[1]

١٤٧- رسائل جهل أبدروها لجهلهم ... سليمان أرداهم وأوردهم شرا

١٤٨- وحالاً ترى من ذا الهزبر نكاية ... تعود بحول الله مندحراً دحرا

١٤٩- وقلتَ مقالاً زائغاً ليس مرتضىً ... بشعر ركيك قد غدا يشبه البَعْرا

١٥٠- (وألف كُتُباً كلها من ضلاله ... عليه غدت ناراً ونال بها خسرا)

١٥١- أقول فإن الشيخ أبدى عواركم ... فأكرم به شهماً وأكرم به خبرا

١٥٢- فنال الفتى عما بدا من علومه ... ثناء وفي الأخرى المسرة والبشرى

١٥٣- وأسفار من أبدى الهوى من شقائه ... ففي سَقَر مأواه تسعره سعرا

١٥٤- ومن أنت والعلم الشريف وفهمه ... لتقدح في كُتْب سمت في الهدى البدرا

١٥٥- متى صرت تدري بالعلوم وأهلها ... لتقدح في حَبر حوى الفخر والأجرا

١٥٦- وهل أنت إلا شاعر وعويلم ... بكتب ضلال أو بكتب حوت سحرا

١٥٧- فنلت بهذا في الورى شرَّ محنة ... كأشقى ثمود عندما أحدث الشرا

= بالعراق. والذين ردَّ عليهم الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ من أهل العراق ثلاثة: أولهم: الشاعر جميل الزهاوي، رد عليه بكتابه «الضياء الشارق..»، وثانيهم: الشيعي العاملي الحائري البصري، رد عليه بكتابه: «الحجج الواضحة..»، وثالثهم: عبدالكريم البغدادي، رد عليه بكتابه: «كشف الشبهات التي أوردها عبدالكريم البغدادي». انظر: رسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة»، (ص١٤٠، ١٤٥، ١٤٨).

(١) أي: علوي الحداد، وجميل الزهاوي الشاعر العراقي، وأحمد زيني دحلان، ومحمد بن سعيد بابصيل، وجميعهم ممن ناوأ الدعوة السلفية، ورد عليهم الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ. وقد سبق ذكر رده على الحداد والزهاوي. أما رده على بابصيل وشيخه دحلان فهو بكتاب «البيان المبدي لشناعة القول المجدي». انظر للمزيد عنه: رسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للأخ محمد بن حمود الفوزان، ص(١٢٥).

١٥٨- وقال حليف السوء والغي والهوى ... وإلف التي لم يعطها أحدٌ مهرا
١٥٩- (وفي قطرٍ قد ضل مثل محمد ... إلى حسن يُعزى وقد أشبه الهرا
١٦٠- وألف في تضليل الأنام رسالة ... فأعظم بها زوراً وأعظم بها وزرا
١٦١- فهل بعد هذا الزيغ يعتب مسلم ... إذا خاض من أوصاف تضليله بحرا)
١٦٢- أقول نعم إني أكفِّرُ من غدا ... بدنياه يدعو غير من سَمَكَ الخضرا
١٦٣- ويمدح نهجاً للفلاسفة الألى ... ويختار شركاً ثم يحسبه أجرا
١٦٤- وينكر أوصاف الكمال لربنا ... كقولك إن الله يُعبد لا يدرى
١٦٥- فمثلك نوليه الضلالة والردى ... بنظم وشر لا مخافة لا عذرا
١٦٦- لتعلم أن الحَي فيه كماتُه ... وقد حددو للمعتدي البيضَ والسُمرا
١٦٧- وأن ثغور الدين حراسه بها ... فأصبح دينُ الله مرتفعاً قدرا
١٦٨- وشبَّهته بالهر يابن فويرة ... فلا غرو أن المرء قد أشبه النمرا
١٦٩- يحدد أنياباً له وأظافراً ... لقطع جلود طالما كسبت كفرا
١٧٠- سأقطع من هاماتكم كل قمحد ... بحول إله العرش أجزركم جزرا[1]
١٧١- وكل بني جهم وشيخ طريقة ... أبادره كبتاً وألقمه صخرا
١٧٢- وكم فارة بالفسق عاثت فقطعتْ ... لها إرباً أظفارُ من تَدْعُه هرًّا
١٧٣- بأي دليل أم بأية سنة ... ترى هجونا ديناً تخوض به بحرا
١٧٤- فلستُ بخمار ولا كنتُ حاكماً ... بقانون آراء لترميَنَا وزرا
١٧٥- ولستُ بجهمي ولا كنتُ مشركاً ... ولا خارجياً لا ولا زغت في المسرى
١٧٦- ولم أكُ ذا فحش ولا إلفَ خنا ... كما نقلوا عنك الغواية والسُكرى

---

(١) قمحد: ما خلف الرأس.

١٧٧- ولا رافضيًّا كي أضلَّل دايما بنظم ونثر ثم تَنظرنا شزرا
١٧٨- بملة إبراهيم في دين أحمد جريتُ وما قد زغت عن ذلك المجرا
١٧٩- ولو كنتَ درزياً لقلت فذا امرؤ يطالبنا وتراً لسبط أبي الزهرا(١)
١٨٠- وكنتَ كعُبَّاد الصليب إذا ادعوا على دعوة الإسلام في شامكم وترا
١٨١- فلستَ على شيء من الدين واقفاً لذلك قد عاديته في الورى جهرا
١٨٢- ولكنك القس الذي لخبائه تجلبب بالإسلام كي يغرس الكفرا
١٨٣- لذلك أبديتَ الهجا لذوي الهدى فحرَّرتَها نثراً وروجتها شعرا
١٨٤- وقال الذي لم يستحي من رذيلة ففاه بما يستوجب المقت والوزرا
١٨٥- (وألفتُ في فضل استغاثتنا به أجلَّ كتاب لم يدع للسوى عذرا)
١٨٦- سأنبيك عما قد مدحت جهالة لأنك لا تدري اليمين من اليسرى
١٨٧- كتابك فيه كلُ شرك وبدعة شواهدُ زور وسمه في الورى أحرى
١٨٨- به الكذب والتفليس والبدع التي فلاسفة اليونان تدعوا له جهرا
١٨٩- ومذهبُ جهم ثم أشياخ غيه عقيدتك الشنعا شرحت بها صدرا
١٩٠- مباحثه كانت حكايات كاذب وأضغاث أحلام ظننت بها خيرا
١٩١- وراجت لدى أوباش مصر وغيرهم فظنوا السراب الماء والخَزَف الدُّرا
١٩٢- فقرَّضه أحبار سوء وحزبه فتاه دعي نبهان من مدحهم كِبرا
١٩٣- فلما رأى محمود شكري كتابَه تداركه رداً وبادره كسرا

---

(١) أي: لو كان النبهاني درزيًّا، لقلتُ بأنه يطلب الثأر منا لمقتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ! ظناً منه ـ كسائر الروافض ـ أن أهل السنة راضون بمقتله! والحق أن الرافضة هم من غدر به وخذله حتى قُتل ـ رضي الله عنه ـ. ولبيان هذا يُنظر كتاب: «من قتل الحسين؟» لعبدالله بن عبدالعزيز.

١٩٤- وقابلـه نقـضاً وشـتت شـمله ... وعارضه بالحق والآية الكبرى

١٩٥- فأكرم بـه ليثاً جرياً غشمـشماً ... على هاك من عادى لدين أبي الزهرا[1]

١٩٦- فكان لهذا العصر إنسانَ عينه ... ونـاضره الرائـي وآيتـه الغـرا

١٩٧- أما ظن هـذا الغُمر أن كماتنا ... لـدى الثغر دأباً لا تفارقه شبرا

١٩٨- تذبُ عن الدين الحنيفي بأنفس ... كماة الهدى لم تخش زيداً ولا عمرا

١٩٩- وقال أخو الشيطان لا بل قرينه ... دعي بني نبهان من نجّس البحرا

٢٠٠- (فهلا عفا عنا لـذنب بزعمه ... لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا)

٢٠١- أتـدعو لـشرك في مقالة ناصح ... وتزعم عن جهم أتى المذهب الأحرا

٢٠٢- فكيف تريد العفو عما جنيته ... وذنبك شرك ليس يُغفر في الأخرى

٢٠٣- فمن جال في الميدان أوحَلَّ في الحمى ... سيلقى حماة البأس في حلة خضرا

٢٠٤- لنفسك لُـم أو فانعها بقصائد ... بما كسبت وزرا بما أتلفت قدرا

٢٠٥- فـأكرم بمحمـود الألـوسي في الـورى ... وأنعم بهذا الشهم شكراً له شكرا

٢٠٦- فـألقمكم صـخراً بغايـة رده ... وقد حزَّ منك النحر بل قصم الظهرا

٢٠٧- فغايته كم كسَّرت من قوائم ... وكم شاد بيتاً للهدى وسما فخرا

٢٠٨- كليث أبي شبلين ما قط ينثني ... عن المطلب الجلا يميناً ولا يسرى

٢٠٩- فتىً عَطَّر الأرجاء منه فواضل ... فأوصافه مسك زكى عنبرا نشرا

٢١٠- يحاكي ضياء الصبح إن عسعس الدجى ... بعلم وفضل طَبَّق السهل والوعرا

٢١١- به بلغ الدين الحنيفي قصده ... وقطَّب وجهُ الزيغ دوماً فما افترا

٢١٢- (وقولك كم قد صغت فيه قصيدة ... ونوعت في إمداحه النظم والنثرا

---

(١) الغشمشم: الجريء، الذي لا يُثنيه عن مراده شيء.

٢١٣- فكانــت عــلى الأحبــاب جنــة عــدنهم   وكانت على أعداء خير الورا جمرا

٢١٤- شواهد حق أطلعت في سطورها   بدور علوم كل سطر حوى دُرا)

٢١٥- أقول لعمري إن شعرك لم يكن   ليُصلح ما أفسدتَ من جهة أخرى

٢١٦- فلــو أنــك اســتهديته باتباعــه   لكنت بنظم الشعر في مدحه بَرا

٢١٧- وهيهات أن يرضى بإفك وبدعة   كما جئته جهراً وروجته شعرا

٢١٨- فيجدي الفتى مدحُ الرسول إذا غدا   بمنهجه يسري إذا اجتنب الوزرا

٢١٩- وما كنتَ قد ألفته في استغاثة   أضلُ كتاب لم يدع لكمو عذرا

٢٢٠- فغايتنــا كانــت مــن الله نعمــة   وكانت على أعداء خير الورى جمرا

٢٢١- فيا أمة الهادي لقد طال صبركم   على ملحد بالدين والمصطفى أزرا

٢٢٢- أيهجو بني السمحاء في الشام جهرة   أما في بنيها من يوسِّده القبرا

٢٢٣- فهلا هجا للشرك والغي والهوى   وأغرا بني الإسلام في أمة أخرى

٢٢٤- وقولك يا ضلِّيل يا أخسر الورى   بدنيا و في أخراه قد ربح الخسرى

٢٢٥- (يذم هداة المسلمين وغيرهم   كشيخ منار السوء يمنحهم شكرا

٢٢٦- خبائــث أرواح تحــن لبعــضها   فسحقاً لهم سحقاً وخسرا لهم خسرا)

٢٢٧- أقول هداةَ المسلمين الذين هم   على منهج القرآن والسنة الغَرا

٢٢٨- أولئــك أهــلٌ للمــدائح والثنــا   وأنوارهم قد عمت البر والبحرا

٢٢٩- ومنهم رشيدٌ ذو المنار وشيخُه   فأكرم به شيخاً وأكرم به حَبرا

٢٣٠- إمام الهدى في مصر أحرز شهرة   فصير عيش المارقين بها مُرا

٢٣١- وقد خدم الإسلام والدين والنهى   وشتت أهل الغي إذا عمهم ضَرا

٢٣٢- فشيخ الهدى يُدعى محمد عبده ... به انتعشت مصرٌ به قد سمت قدرا[1]

٢٣٣- وأعلا منار الدين بعد دثوره ... ولم يخش فيما قال زيداً ولا عمرا

٢٣٤- فلما انقضت أيامُه وحياته ... وراح إلى دار الخلود له البشرى

٢٣٥- تخلف عنه في الفضائل كلها ... رشيدُ الرضى تلميذه من علا البدرا

٢٣٦- فذم الذي يرضى الإله بذمه ... ومن يستحق المدح أسدى له خيرا

٢٣٧- فأثنى على محمود شكري وسفره ... ومن يتق الأهواء يمنحه شكرا

٢٣٨- خبائثُ أرواح تحن لبعضها ... نقول فذا حق به خبرٌ يُدرى

٢٣٩- ولكنها أرواحكم ونفوسكم ... فسحقاً لها سحقاً وخسراً لها خسرا

٢٤٠- فكم بدعة أحيت وكم سنة نفت ... وكم نشرت شراً وكم روجت كفرا

٢٤١- مشايخ دجالون لا در دَرُّكم ... مفاسدكم قد عمّت البر والبحرا

٢٤٢- (وقولك هم أعداء طه فبعضهم ... عداوتهم كبرى وبعضهم صغرا

٢٤٣- وقد جعلوا لي حصةً من كبارها ... لما علموا من حبه حصتي الكبرى)

٢٤٤- أقول لعمر الله إنك مفتر ... على فئة هم حبه هم به أحرى

٢٤٥- وهم دونكم أحباب طه ودينه ... وهم شيدوا الإسلام شدوا له ظهرا

٢٤٦- يوالون من والى ويجفون من غوى ... ولم يطلبوا من غيره النفع والضرا

٢٤٧- وأنت الذي صيَّرت دعوة غيره ... من البِر ترجو أن تنال به أجرا

٢٤٨- وإنك والله العظيم لضدُّه ... لكونك جهمياً ومن يعبد القبرا

٢٤٩- وتدعو لدى الجلا رجالاً حسبتهم ... وهم تحت أطباق الثرى ملكو الأمرا

٢٥٠- وحصتك الكبرى نعم غير أنها ... لقد كبرت إثماً فزدت بها خسرا

---

(١) سبق في المقدمة بيان شيء من انحرافات محمد عبده ومدرسته العقلية بمصر.

٢٥١- يهـود عُزيـر قـد غلـت بنبـيهم | كذاك النصارى إذ دعو مريمَ العذرا
٢٥٢- وإخوانك الأرفاض في الآل قد غلو | ومن عَبَد المخلوق قبحاً له دهـرا
٢٥٣- ولم يظفـروا في ذي المحبـة ذرة | من الدين بل نالوا المذلة والخسرا
٢٥٤- ولـو كنـتَ ذا حـب لـدين إلهنـا | لواليـت قرآنـاً وسـنته الغـرا
٢٥٥- ولـو كنـتَ ذا حـب لطـه وهديـه | لقـدمتَ مـا يـرضى وقبلتـه عـشرا
٢٥٦- ولو كنتَ حقاً لابن إدريس تابعـاً | لجانبت مَنْ للاعتزال غـدا حَبرا
٢٥٧- ولو كنتَ من نبهان أصلاً ومولـداً | لأوليتهم حمـداً وواليتهم جهـرا
٢٥٨- ولو كنتَ من نبهان بطناً و محتـدا | لقلتَ بني نجدٍ سمو في الهدى البدرا(١)
٢٥٩- ولـو كنـتَ مـن أتبـاع سـنة أحمـد | لقلتَ هم الأخيار كـانوا بـلا إمـرا
٢٦٠- إخالك يا دجال من عنصري الـردى | ولـست بنبهـانيٍّ بطنـاً ولا ظهـرا
٢٦١- بـأي دليـل أم بـأي شريعـة | تُكفـر قومـاً أيـدوا دينـه نَـصرا
٢٦٢- بـأي دليـل أم بأيـة سـنة | تـرى حـبَّهم وزرا تـرى بغـضهم أجـرا
٢٦٣- بـأي دليـل أم بأيـة حجـة | تُنفر عـنهم كـلَّ مـن سـكن الغبرا
٢٦٤- بـأي دليـل أم بـأي شريعـة | تقول بني نجد أتت كـل مـا ازورا
٢٦٥- وقـال عـدوُ الله في هذيانـه | وما جاء مـن غـي ومـا قالـه شـعرا
٢٦٦- (ضعاف النهي أعرابُ نجد جدودهم | وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا)
٢٦٧- ضعاف النهي من جانب الوحي جهده | وحكـم قانونـاً وبالـدين قـد أزرى
٢٦٨- ضـعاف النهـي مـن أسـكنوك بـدارهم | فـصار شـقي القـوم أرفعهـم قـدرا
٢٦٩- ضعاف النهي من وازر الغي والهوى | علينا وساموا ديننا الخسف والخسرا

---

(١) المحتد: الأصل.

٢٧٠- ضعاف النهي من أعلن الخمر والخنا ... ولم ترَمنهم من تصدى لها نكرا

٢٧١- ضعاف النهي من طاف حول قبورهم ... ولمثلهم قد جوَّز النذر والنحرا

٢٧٢- لصاحب عبَّادان أو بدويكم ... وجيليٍّ بغداد ومن سكنوا القبرا[1]

٢٧٣- كبار الحجى أهل النهى أهل نجدنا ... أجلّ الورى ديناً وأعظمهم قدرا

٢٧٤- ففي كل قطر كل أروع وارث ... لآباء صدق قبله فتحوا القطرا

٢٧٥- وقد ملكت خير البلاد جدودُهم ... وما رهبوا قتلاً وما رهبوا أسرى

٢٧٦- وهذا بإقرار الغوي بفضلهم ... كما قاله نظماً برائية صغرى

٢٧٧- فماذا يقول الواصفون بوصفهم ... وقد أعجزت أوصافنا النظم والنثرا

٢٧٨- فخذ طعنة نجلاء من يد فارس ... تمزق منك النحر والهامَ والظهرا

٢٧٩- ودونك عقداً يُخجل النظم نظمُه ... وخوداً رضت منك القبول لها مهرا

٢٨٠- بديهة فكر قد حوت كلَّ معجز ... لأعدائه إذ أججت في الحشا جمرا

٢٨١- وناظمها ذوا الفقر ذاك محمد ... سلالة مرزوق وقد ألف الكرّا

٢٨٢- إلى قطرٍ يُعزى وذاك عرينه ... وقد حل قِدماً من محافلها الصدرا

---

(١) البدوي هو الصوفي الشهير الملقب عندهم بالسيد (!) أبوالعباس أحمد البدوي، ولد بمدينة فاس بالمغرب، ثم رحل أبوه إلى مكة سنة ٦٠٣هـ، وعمره إذ ذاك سبع سنين، وكان لكثرة ما يتلثم لُقب بالبدوي، اعتزل الناس ولازم الصمت، ثم سافر إلى العراق، ثم إلى مصر، حيث استقر في طنطا، وفيها هلك سنة ٦٨٦هـ. انظر: «جمهرة الأولياء» للمنوفي (٢/ ٢٣٧). ولمعرفة حقيقة دعوته، وأنه رافضي متستر بالتصوف؛ لنشر التشيع في مصر، انظر: «السيد البدوي ـ دراسة نقدية» لعبدالله صابر، و«السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر» لمحمد فهمي عبداللطيف. و«جيلي بغداد» هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني، المتوفى (سنة ٥٦١هـ). انظر لبيان حاله، ومعرفة أكاذيب الخرافيين عليه: رسالة «الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية ـ عرض ونقد» للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ـ وفقه الله ـ.

٢٨٣- فتىً لا يداري في أمور كثيرة ولا ينثني عجزاً لخطبٍ علا قدرا

٢٨٤- وقد زايل الأهوال حتى أبادها وكافحها دهراً وناظلها فِكرا

٢٨٥- وكم فل جمعاً أشبهوك بغيهم وشتت شملاً من ذويك حكوا وزرا

٢٨٦- كمن كان في البحرين ماثل فأرةً وفي هَجَر قومٌ لئام أتوا شرا(١)

٢٨٧- وكالفارسي الغُمر أحمدَ من غدا يناضل جهلاً في الكويت فما بَرّا(٢)

٢٨٨- فلمْ لا هجا رستاق مع قِطر كوهج لما قلدوا جهماً لما ابتدعوا نُكرا(٣)

---

(١) لعله يقصد شرف اليماني، نزيل البحرين، وإمام وخطيب أحد جوامعها، الذي ردَّ عليه الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ بكتابه: «تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف، ودعي باليماني شرف». (انظر: الشيخ ابن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة، ص١٢٦)
ومما يرجح هذا: قول المرزوقي في تقريظه لكتاب الشيخ ابن سحمان «كشف الشبهتين»:

وفاسقٍ كان بالبحرين قلدهم في يوم عيد هذا من غير ما فكرِ

ومعلومٌ أن شرف اليماني هاجم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في خطبة يوم العيد، انظر: «الدرر السنية» (١٢/ ٥٠٤).
وقوله: «وفي هجر..» لعله يقصد بعض آل المبارك «الأشاعرة» سكان الأحساء، الذين رد عليهم ابن سحمان. (انظر المصدر السابق، ص١٤٠). ومما يُرجح هذا: قول المرزوقي في تقريظه لكتاب «كشف الشبهتين» للشيخ ابن سحمان:

آل المبارك قوم السوء في هجر لئامُ طبعٍ عُداة الدين والأثرِ

انظر: الطبعة الأولى من «كشف الشبهتين»، (ص٨٣).

(٢) لم يتبين لي من هو. ويوجد في علماء الكويت المعاصرين للمرزوقي: الشيخ أحمد الفارسي. انظر: «علماء الكويت وأعلامها» للأستاذ عدنان الرومي، ص(٢٣١-٢٤٥).

(٣) رستاق، وكوهج: قريتان من قرى الساحل الشرقي للخليج.
جاء في كتاب «تاريخ لنجة» للأستاذة كاملة القاسمي (٢/ ٩٢٢) أن رستاق «قرية متوسطة» تتبع لنجة. وجاء في كتاب «تاريخ لنجة» للأستاذ حسين العباسي (ص٤٧ و٥١) أن كوهج: «مهد العلم والتعليم في تلك الديار»، تتبع منطقة بستك القريبة من لنجة. وقال الأستاذ محمد غريب حاتم عنها: «اشتهرت قرية كوهج بمدارسها الدينية». (تاريخ عرب الهولة، ص١٦٧)

٢٨٩- فيا من شكانا عند يوسف خفية ... فيوسفُ كالعنقاء تُذكر لا تُدرى[1]

٢٩٠- دهاه لدى الميدان قاصمةُ البلا ... فعاد حقيراً خائباً نائلاً خُسرى

٢٩١- ألا فابرزوا جهراً لجند بني الهدى ... لتوردكم حتفاً وتجزركم جزرا

٢٩٢- فيا أيها المغرور ذو الجهل والهوى ... دعيُّ بني نبهان من جوز الكفرا

٢٩٣- أولاء أتو ما قد حكيتَ تعمدا ... وزدتَ عليهم في فظائعك الأخرى

٢٩٤- فردك أهلُ الحق في كل بدعة ... بمحكم قول الله والسنة الغَرا

٢٩٥- وقد عَلم الأقوامُ في كل موطن ... بأنك فأرٌ لا تساوي ولا بَعْرا

٢٩٦- ولستَ بكفوٍ أن تُجاب بكلمة ... لكونك لا علماً حويت ولا قدرا

٢٩٧- هجوتَ بني التقوى لشهوة من غوى ... فذق غَمَّ ما أبديت من فكرهم دهرا

٢٩٨- أُصِبتَ بداء لا يفوت من الردى ... فهيهات أن تلقى لما قلته عذرا

٢٩٩- ومن كال مُدَّ الشر نجزيه جهرة ... على المُدِّ أصواعاً ونُسلفه عشرا

٣٠٠- لصُغراك بين الناس خُذها عجالة ... وإن لم تتب عنها ترى الآية الكبرى

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) لعله يقصد: يوسف بن شبيب الذي رد عليه الشيخ ابن سحمان بكتابه «كشف الشبهتين».

الحمدلله الذى جنبنا زيغ الزائغين وانتحال الجهمية والمشركين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبين * و على آله واصحابه الطاهرين * اما بعد ففي سنه ١٣٢١ﻫ رأيت رائية لرافع الرأية الحزب الشيطانى * الملحد الشهير يوسف النبهانى * فاذا هي مشتملة على الافك و خبث الانتحال * و مدح الجهمية القبورية الضلال * و تكفير العرب الحنابلة النجديين * و هجا لاكابر العلماء السلفيين * كمحمود شكرى و محمد عبده و الافغانى جمال الدين اذا تيقنت انه خاتمة الدجاجلة الثلاثين * و نه من منازة الدجال الاعور اللعين * فبادرت لنظاله فى الميدان * و لو انه الآن فى خبر كان * ليعلم حزبه ان للدين حماة وانصار * و انه ما نال من اسفاره الا الوزر و العار * و لو لى حذر العقاب * لما حررت له جواب *

والله المرجوا ان يجزل لي الثواب * بقمع هذا الملحد المرتاب اللهم اياك اعبد و اياك استعين * فيما ارجوه واخافه من امر الدنيا والدين

صورة الصفحة الأولى من منظومة الشيخ محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ

﴿ ٤٤ ﴾

و كم قل جما اشبهوك بغيهم ... وشتت شملا من ذويك حكوا وزرا

كمن كان في البحرين ما ثل فارة ... و في هجر قوم لئام اتوا شرا

و كالفار ستي الغمر احمد من غدا ... يناضل جهلا في الكويت فما برا

فلولا هجا رستاق مع قطر كوهج ... لما قلدوا جهما لما ابتدعوا نكرا

فيا من شكانا عند يوسف خفية ... فيوسف كالعنقاء تذكر لا يدرى

دهاه لدى الميدان قاصمة البلا ... فعاد حقيرا خا ئبا نا ئلا خسرى

الا فابرزوا جهرا الجند بنى الهدى ... لتورد كم حتفا و تجزركم جزرا

فيا ايها المغرور ذو الجهل والهوى ... دعي بني نبهان من جوز الكفرا

اولاء اتو ما قد حكيت تعمدا ... وزدت عليهم في فضائحك الاخرى

فردك اهل الحق في كل بدعة ... بحكم قول الله و السنة الغرا

و قد علم الا قوام في كل موطن ... بانك فار لا تساوي و لا بعرا

و لست بكفوان تجاب بكلمة ... لكونك لا علما حويت و لا قدرا

هجوت بني التقوى لشهوة من غوى ... فذق فما ابديت من فكرهم دهرا

اصبت بداء لا تفوت من الردى ... فهيهات ان تلقى لما قلته عذرا

ومن كال مد الشر نجزيه جهرة ... على المد اصواعا و نسلفه عشرا

لصغراك بين الناس خذها عجالة ... وان لم تتب عنها ترى الآية الكبرى

محمد بن حسن المرزوقي القطري

صورة الصفحة الأخيرة من منظومة الشيخ محمد بن حسن المرزوقي ـ رحمه الله ـ

الضوء القرآني والسني على عقيدة النبهاني

لفضيلة الشيخ
عبدالقادر حبيب الله السندي
- رحمه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفىٰ. وبعد:

فلقد كنت حررت بعض الملاحظات الخفيفة على كتابة محمد حسن بن علوي بن عباس، تلك الكتابة التي كتبها مدحاً، وثناءً على محمد زاهد الكوثري، وأحمد زيني دحلان، وكنت قد بينت بعض حال المذكورَين في مقال متواضع نشرته مجلة الجامعة الإسلامية الغراء في عددها الثالث من السنة السابعة، وهو بعنوان: **(عرض ونقد لما كتبه محمد علوي مالكي حول الكوثري، والدحلان)**.

وكنت قد نفيت في المقال المذكور معرفتي لبقية الرجال الذين ترجم لهم، وهم الذين تتلمذ عليهم والده علوي بن عباس، أو كانت له بهم صلة علمية، إلا أنني قد أمعنت النظر مرة ثانية فيما كتبه محمد علوي في رسالته **«إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية»** المطبوعة بدمشق الشام في عام ١٣٨٧هـ؛ فوجدت رجلاً آخر قد ترجم له في رسالته المذكورة؛ وهو «يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني الشامي» صاحب «كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»، ذلك الكتاب الذي رد عليه العلامة الإمام محمود شكري الألوسي في كتابه البارع العظيم «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، هذا الكتاب المبارك الذي يقول عنه شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل النائب للشئون الدينية بالمسجد الحرام، وإمام الحرم المكي ـ متعنا الله بحياته ـ

ناقلاً عن العلامة الشيخ رشيد رضا: غاية الأماني في الرد على النبهاني، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق، من الجهالات، والنقول الكاذبة والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم، وأنصار السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال: وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير، فأنكره العلماء عليه؛ كالإنكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما، فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله، ونقوله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه، والرد عليها، أنه لا يوثق بعلمه، ولا نقله، هو من قبيل السب، حاشا لله، ما هو إلا ما نعتقده فيه أو في كتبه بعد النظر في بعضها، ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة، ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له. اهـ[1].

قلت: ولقد وجدت محمد علوي مع وجود كلام أهل العلم في النبهاني قد أثنى عليه في رسالته المذكورة ثناءً عطراً، ووصفه بأوصاف كبيرة، ولقبه بألقاب ضخمة، وهو بعيد عنها بُعد المشرق من المغرب،

---

(١) «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، (١/ ١٠).

فلما كان هذا الثناء العظيم، والوصف مخالفاً للواقع، وتأييداً له في طعنه في أئمة الدعوة المحمدية من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في النهج القويم، والصراط المستقيم، والعقيدة الصافية النقية؛ كالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الرشيد البار الإمام ابن قيم الجوزية، ومن معهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ كالإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى؛ أحببت أن أُبين بعض حال النبهاني وما كان عليه من سوء الحال وشنيع المقال، مع بيان منزلته العلمية، وما قام به من الطعن في دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ونشره الكفر الصريح، والضلال المبين، والبدع المذمومة بجميع أنواعها، ناقلاً ذلك عن كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ليس ذلك تشنيعاً على أحد أو شماتة فيه، ولكن بياناً للحق ـ إن شاء الله تعالى ـ، ورفعاً لشأن الدعوة المحمدية، ونشرها، ودفاعاً عن الإسلام وعن دعوته الكريمة السامية.

ولقد وُجد في رسالة محمد علوي ملاحظات أخرى ضرورية، وهي خطيرة جدًّا، سوف أتعرض لها ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما بعد في حلقات مسلسلة؛ بياناً للحق وتوضيحاً له، وأداء للأمانة العلمية، وتبرئة للذمة أمام الله تعالى، الذي أخذ الميثاق والعهد على أهل العلم بتبليغ الحق وتفسيره أمام الخلائق، مع دعائي وتضرعي إلى الله جل وعلا أن يجعلنا وسائر أهل العلم من دعاة الحق وأنصاره، وأعوانه، حتى نلقى الله تعالى بلقاء كريم مُرْضٍ. فإن وفقت في هذه الكتابة بإصابة الحق والصواب؛ فهو محض كرم وفضل وتوفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فهو من

نفسي، ومن الشيطان، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال محمد حسن في رسالته المذكورة مترجماً للنبهاني: العلامة أبوالمحاسن يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني، الشامي، الشافعي مذهباً، المولود سنة ١٢٦٦هـ والمتوفى ١٣٥٠هـ، حسان آل البيت، وبوصيري عصره، الشاعر، المفلق، الذائع الصيت، محب آل البيت، متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، مداوم المطالعة، ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها، بل اقتصر على المدائح النبوية، والموضوعات الدينية، وأول ما ظهر من مؤلفاته «الشرف المؤبد لآل سيدنا محمد»[1].

قلت: لا يوافقكم أهل العلم العاملون بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ممن عَرفوا هذا الرجل معرفة جيدة بتشبيهكم له بحسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ، الذي نافح عن رسول الله ﷺ، وعن رسالته السامية المخرجة من ظلمات الشرك والبدعة إلى نور العلم الصحيح، والتوحيد الخالص، والعقيدة الصافية النقية، قال الحافظ: وفي الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب قال: مر عمر رضي الله تعالى عنه على حسان في المسجد وهو ينشد الشعر فلحظ إليه، فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي ﷺ يقول: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس؟ وقد أخرج

(١) «إتحاف ذوي الهمم العلية»، ص(٢٦-٢٧).

الشيخان أيضاً من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: «**أهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك**».

وقال الإمام أبوداود في سننه: حدثنا لوين، عن ابن أبي الزناد عن أبيه، عن هشام بن عروة[1]، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إن روح القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله ﷺ**»[2].

قلت: فهذه الأحاديث نص صريح على أنه ﷺ رضي بشعر حسان ووافقه على ما دعا إليه؛ من تقوية العقيدة الإسلامية، وهجاء الكفار المعاندين لدعوة رسول الله ﷺ في شعره، فدعا له ﷺ بالتأييد، والتوفيق والسداد.

فأين منزلة هذا الصحابي الجليل المؤيد بدعوة رسول الله ﷺ له، من منزلة النبهاني الذي قضى حياته كلها تقريباً في معارضة الدعوة المحمدية، وهي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟! كما سوف يأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

كفى النبهاني كفراً بواحاً، ومعصية كبيرة، ومخالفة صريحة لرسول الله ﷺ ولدينه المتين ونظامه الرفيع أن يرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت، وهي محكمة مدنية، لا دينية، لا يخفى حالها

---

(١) في الأصل عن أبي الزناد وفي السنن (٤/ ٣٠٤): حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة وهشام عن عروة اهـ. الناشر.

(٢) «الإصابة» (١/ ٣٢٦).

السيئ ونظامها اللعين المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

قال الأستاذ عمر رضا كحالة ـ عن النبهاني ـ: «تولى القضاء في قصبة جنين من أعمال نابلس، ورحل إلى القسطنطينية. وعين قاضياً بكوي سنجق من أعمال ولاية الموصل، فرئيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثم بالقدس، فرئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت»[1].

وقال الأستاذ خير الدين الزركلي: «قال صاحب معجم الشيوخ: للنبهاني كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام؛ كابن تيمية وابن القيم حملات شعواء، وتناول مثل الإمام الألوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني، وآخرين، ورد عليه محمود شكري الألوسي في غاية الأماني في الرد على النبهاني، والثاني الآية الكبرى على الرائية الصغرى»[2].

قلت: كيف هو محبُ آل البيت النبوي ويرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت؟! يقول العلامة الألوسي بعدما نقل عنه العقائد الفاسدة الكفرية؛ كعقيدة وحدة الوجود والاتحاد والحلول. قال رحمه الله تعالى: «هذا حال النبهاني في عقائده، وجهله في العلوم العقلية والنقلية أشهر من أن ينبه عليه؛ كما ستعلمه إن شاء الله تعالى، لكن بقي علينا بيان حاله وما هو عليه إلى اليوم من أفعاله، وأعماله، وحيث أني لم أقف على حقيقة أمره ـ وإن كان ما نشره من الكتب تطلعنا على حلوه

---

(١) «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) «الأعلام» (٩/ ٢٢٩).

ومره ـ سألت عنه بعض الأفاضل من الأصحاب ممن رآه واجتمع به، وعرف ما عنده من الفصول والأبواب، فكتب كلاماً طويلاً فيه، وعرفني بظاهره، وخافيه، فمن ذلك قوله: أن النبهاني قد قضى شطراً من عمره في المحاكم النظامية، وتسمى أيضاً بالمحاكم القانونية، ثم ذكر كلاماً طويلاً في بيان حال تلك القوانين، وما فيها من المخالفة لقواعد الدين، ثم قال: إن النبهاني تولى رئاسة الجزاء في بيت المقدس عدداً كثيراً من الأعوام، وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الأحكام، قال: ثم تحول إلى رئاسة محكمة البداية في بيروت، وبين ما يرى في هذا المحل من الوظائف والمواد، ثم قال: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

قلت: إن كان صادقاً عليه ذلك المقال، يكون تائهاً في أودية الجهل والضلال، فكيف يدعي الإيمان فضلاً عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان، وهو مُعرض عن هديه، وسنته، ناءٍ عن العمل بشريعته؟! فهلا قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]»[١].

قلت: فليقارن بين ما ادَّعىٰ من المحبة لرسول الله ﷺ ولآله، وبين ما تولى من المناصب الهامة في تلك المحاكم القانونية المدنية المخالِفة لما جاء به رسول الله ﷺ، من النظام العادل الموافق للطبيعة البشرية جمعاء، فعجباً لهذه المحبة المزعومة، ودعوى صاحبها الطويلة

(١) انظر: «غاية الأماني» (١/ ٥٣).

العريضة، وهو بعيد عنها بُعد المشرقين عن المغربين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما البوصيري؛ فهو محمد بن سعيد البوصيري الشاعر، فلم يكن من أهل العلم ولا البصيرة[١]، وكان يعاني من الكتابة، كما حكى ذلك العلامة ابن العماد في (شذرات الذهب)، والصفدي في (الوافي بالوفيات)، وابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله تعالى، فما له معروف عندهم، وهو صاحب قصيدة (البردة)، وأكثر شعره مخالف لدعوة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وكانت وفاته في مصر في القرن السابع في بوصير، قرية من قرى مصر، وليست له منزلة علمية كبيرة، فلا بأس أن تُشبهوا النبهاني به؛ لأنهما وقفا موقفاً واحداً، يحاربان دعوة رسول الله ﷺ، تلك الدعوة الكريمة التي لأجلها أوذي رسول الله ﷺ أشد الأذى من قريش، وانجرحت قدماه بالطائف، فهاجر لأجلها من مسقط رأسه ﷺ مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فلقي في سبيل نشرها ما لقي من ألوان المتاعب والمصاعب، التي لا نظير لها في تاريخ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأجلها سقطت ثنيتاه في غزوة أُحُد. وقد يكون حال البوصيري المذكور أحسن بكثير من حال النبهاني الذي ذهب مذهباً بعيداً جدًّا، وقد نقله عنه الشيخ محمود شكري الألوسي في كتابه (غاية الأماني في الرد على

---

(١) إنما اشتهر بقصيدته الشهيرة «البردة». ينظر لبيان القوادح العقدية التي اشتملت عليها: مقال: «قوادح عقدية في بردة البوصيري»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف. (مجلة البيان، عدد ١٣٩).

النبهاني)، إذ قال رحمه الله تعالى: «الأمر السابع من تلك الأمور: أن من علم حال النبهاني وما هو عليه من المعرفة، وما يعتقده من العقائد، ويراه من الآراء، لم يلتفت إلى ما ذكره في كتابه الذي سماه (شواهد الحق)، ولا غيره من هذيانه الصريح، فإن الرجل جاهل ـ كما ستعلمه من رد كتابه هذا ـ، سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات، ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه، أعدل شاهد على ذلك، وأصح دليل على ما هنالك، فضلاً عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه، وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله، ومع ذلك نذكر كلام بعضهم فيه، ليحمد الله من عوفي من شقائه، وعضال دائه.

قال العلامة السيد الفاضل السيد بدر الدين الحلبي في كتابه (الإرشاد والتعليم) عند ذكره مقالات الأمم ـ ما نصه: ومن شنيع مقالاتهم في الإسلام قولهم: إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان، يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا وهو فيه موجود، قال حفظه الله تعالى: وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لأحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين، ولا رأيناها في كتب العقائد، ولا كنا نظن أحداً يقول هذه المقالة الشنيعة، وإنما ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي صاحب الكتب الكثيرة في الأدعية والصلوات، في منظومة له سماها (طيبة الغراء)، ناقلاً لها عن البرهان الحلبي.

ثم أجابه الشيخ محمود الألوسي بقوله: ويا ليت شعري، أي دليل قام عند هذا الذي قال هذه المقالة الشنعاء حتى قال بها؟! هل تلا في ذلك آية منزلة من كتاب الله تعالى، أو حديثاً صحيحاً من سنة رسول الله ﷺ؟!

إن قال ذلك، فقد كذب وشهد على نفسه بالكذب، أو ساق الدليل الذي أورده المتكلمون على أن الباري جل شأنه لا يحويه زمان ولا مكان في النبي ﷺ، فحكم له بما حكم به للباري جل وعلا، فهو عين الشرك الصريح، ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقيها أهل الغفلة من المنتمين للعلم في آذان العامة، فتصادف منهم قبولاً، وتجتمع عليها قلوبهم حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم، وربما كفَّروا من أنكرها عليهم، ورأوا أن إنكار ذلك نوع من الإلحاد في الدين، واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة ﷺ» اهـ.

قلت: هذه عقيدة أهل الحلول والاتحاد، وهم القائلون بوحدة الوجود، وإمامهم في ذلك محي الدين ابن عربي الحاتمي المكي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرها من الكتب الكفرية، وهو القائل: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها، وقال عبدالكريم الجيلي: إن النصارى لم يكفروا بأصل الحلول، وإنما كفروا بالحصر الذي تضمنه كلامهم، إن الله هو المسيح لا غيره من الأشياء، ولو عمموا لم يكفروا. وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين، نقول: فقول النبهاني إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان ناقلاً ذلك عن البرهان الحلبي هو من شُعَب ذلك الوادي.

وهناك بوصيري آخر، وهو إمام أهل الحديث في عصره، وهو الإمام العلامة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن قايماز عثمان بن عمر الكناني المحدث شهاب الدين، ولد في محرم سنة ٧٦٢هـ، سمع الكثير من البرهان التنوخي، والبُلقيني، والعراقي، والهيثمي، وحدَّث، وخرَّج،

وألَّف تصانيف حسنة، منها زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة، وزوائد سنن البيهقي الكبرى على الكتب الستة، وزوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة، وهي مسند الطيالسي، ومسند مسدد بن مسرهد، والحميدي، والعدني، وابن راهويه، وابن جُميع، وابن أبي شيبة، وعبدُ بن حميد، وابن أبي أسامة، وأبي يعلي، ولم يزل مكبًّا على كتب الحديث وتخريجه إلى أن مات رحمه الله تعالى في محرم سنة أربعين وثمانمائة، قاله الحافظ تقي الدين بن فهد المكي. فإن أردتم تشبيه النبهاني بهذا الحافظ فلا يرضى أحد من أهل العلم بالحديث، فأرجو أن يكون قصدكم بالبوصيري محمد بن سعيد الشاعر المعروف!

وأما قولكم في حق النبهاني: متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، مداوم المطالعة، ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها.

قلت: ليس الواقع كما ذكرتم، بل الشواهد والحقائق التي سوف أنقلها لكم من كلامه في كتابه الذي سماه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)، ترد عليه ردًّا قاطعاً، فتجعله إنساناً لم يشم رائحة العلم، أو عنده علم إلا أنه خالف طريق العلم الصحيحة، عناداً وتكبراً وزوراً وبهتاناً على أئمة الدعوة المحمدية، وإن كان الأول فهو أهون، وإن كان الثاني فالخطب جَلل كبير خطير.

إذا كنتَ لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

قال في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) المطبوع بمصر سنة ١٣٢٣هـ: «الباب الثالث: في نقل كلام الإمام العلامة ناصر

السنة في هذا الزمان سيدي أحمد دحلان مفتي الشافعية في مكة المشرفة في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام)، وذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية: ينبغي أولاً أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبدالوهاب في إضلال العباد، ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ما تمسك به زور، وافتراء، وتلبيس على عوام الموحدين، فمن شبهاته التي تمسك بها: زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين، وفي زيارتهم قبره ﷺ وندائهم له بقوله: يا رسول الله، نسألك الشفاعة، وزعم أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]،وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]،وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا

تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن، كلها حملها على الموحدين، قال محمد بن عبدالوهاب: إن مَن استغاث أو توسَّل بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداه أو سأله الشفاعة؛ فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين، ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ أيضاً مثل ذلك»[1].

قلت: هذا كلام شيخ والدكم نقلته لكم حرفيًّا، والذي وصفتموه بقولكم: متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، يشهد عليه كلامه هذا بالجهل المركب، والسفاهة المتناهية، لم يسبق لها مثال سابق في تاريخ العلم، وأنا سوف أتصدى لكلامه هذا بالرد عليه فقرة فقرة، مستعيناً بالله جل وعلا، ومستمداً العون منه سبحانه وتعالى؛ لكي يتضح حاله وحال أتباعه الذين يُضللون الأمة الإسلامية، وما أكثرهم اليوم لا كثَّرهم الله تعالى.

فأقول: إن عنوان كتابه هذا ـ شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ـ غير صحيح، فضلاً عما في داخل الكتاب من الضلال المبين، والكفر الصريح، والكتاب أجدر به أن يسمَّىٰ: شواهد الضلال والكفر، والعياذ بالله.

أخرج الإمام البخاري ومسلم وأحمد في مسنده من حديث أبي

(١) «شواهد الحق» للنبهاني، ص(٧٥، ٧٦)، من طبعة سنة ١٣١٣هـ بمصر.

هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظَّمه، وعظَّم أمره، قال: «**لا ألفين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، وقد أبلغتك**» ثم ذكر الحديث[1]. قال الحافظ: «قوله: «**لا أملك لك شيئاً**» أي: من المغفرة؛ لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى، وقوله: «**أبلغتك**» أي: فليس لك عذر بعد الإبلاغ»[2].

قلت: فالشاهد في هذا الحديث الشريف على بطلان عنوان الكتاب ـ أي كتاب النبهاني ـ وعدم صحته واضح بيِّن، وهو أنه ﷺ، وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى ـ كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة ـ لا يغيث يوم القيامة أحداً قبل أن يأذن الله تعالى له بالشفاعة العظمى؛ ليشفع لمذنبي أمته ﷺ دون الكفار والمشركين، فكيف يُستغاث به بعد انتقاله ﷺ من هذه الدنيا الفانية إلى الرفيق الأعلى؟! مع أن يوم القيامة هو أقرب الأوقات وأنسبها للاستغاثة به ﷺ؟! وهو الصادق المصدوق ﷺ يقول يوم القيامة لصاحب الفرس والبعير ويكرر: «**لا أملك لك شيئاً، وقد**

(١) أخرجه البخاري، الجهاد (١٨٩). ومسلم، الإمارة (٢٤). والإمام أحمد في «المسند» (٢/٤٢٦).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ١٨٥-١٨٦).

أبلغتك» فالنبهاني في عنوان كتابه هذا يُكذب النبي ﷺ في مقالته تلك المباركة يوم القيامة، والتي أجمعت الدنيا كلها من السلف والخلف من علماء السنة المطهرة، وعلى رأسهم أئمة الهدى الأئمة الأربعة: الإمام الجليل أبوحنيفة، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وغيرهم رحمهم الله تعالى، على أن تلك المقالة صدق، وحق، ودين، وأن صاحب الفرس الذي يأتي إلى النبي ﷺ مستغيثاً به؛ أن ذنبه ذاك ليس من الشرك بل من الكبائر، والذي يتبرأ منه رسول الله ﷺ قبل أن يأذن له ربه جل وعلا بالشفاعة، فكيف حال من يدعوه من دون الله تعالى، ويستغيث به في أمور لا يستطيعها أحد إلا المولى جل وعلا؟!

ومن هذا القبيل: خطابه ﷺ لابنته البتول فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعمته صفية بنت عبدالمطلب الهاشمية القرشية رضي الله تعالى عنها. أخرج الإمام البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: **«يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً.. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ من مالي لا أغني**

عنك من الله شيئاً»[١]، ومن هذا القبيل ما أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بإسناد صحيح، خطابه ﷺ لعمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه، قال العباس رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، أنا عمك كبرت سني، واقترب أجلي، فعلِّمني شيئاً ينفعني الله به، قال: «**يا عباس، أنت عمي ولا أغني عنك من الله شيئاً، ولكن سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة**» قالها ثلاثاً. الحديث[٢]. فكأن النبي ﷺ ـ معاذ الله ـ عند النبهاني ومن سار على نهجه ـ الذي هو متمكن في اللغة العربية ومحب لآل البيت في نظركم في عنوان كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) ـ غير صادق في خطابه هذا لجملة من أقاربه ﷺ، وهم: عمه العباس، وعمته صفية، وابنته فاطمة رضي الله تعالى عنهم.

وهؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم في غزوة تبوك عن رسول الله ﷺ، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله تعالى عنهم، الذين اعترفوا بتخلفهم من غير عذر عند رسول الله ﷺ، فقال لهم ﷺ تلك المقالة المعروفة التي تناقلها ثقات المحدثين بأسانيدهم الصحيحة عن رسول الله ﷺ: «**قوموا حتى يقضي الله فيكم، وليس لكم عندي شيء يخرجكم من موقفكم هذا**»، ونهى جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن كلامهم إياهم، فكان أمرهم وشأنهم

---

(١) أخرجه البخاري في «الجامع الصحيح».

(٢) الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٦).

معروفاً معلوماً لدى جميع الصحابة رضي الله عنهم، وقد صور القرآن الكريم حالتهم التي وصلوا إليها في النهاية، إذ يقول جل وعلا في محكم كتابه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

لماذا لم يستغيثوا برسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم ﷺ؟! ولماذا لم يُغثهم رسول الله ﷺ في تلك الحال، وهو رؤوف رحيم كما وصفه ربه جل وعلا في كتابه إذ يقول جل وعلا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؟!

أهذه الآيات نزلت أيضاً في قريش ـ في نظر النبهاني الذي هو متمكن في اللغة العربية عندكم ـ؟!. فانظر حال من اعتذر بتخلفه عن رسول الله ﷺ، من الكذبة المنافقين وغيرهم، الذين قبل منهم رسول الله ﷺ عذرهم وبايعهم ودعا لهم بالمغفرة ﷺ، فكان دعاؤه لهم حسب ما ظهر له ﷺ من أمرهم وشأنهم، دون ما كان في قلوبهم وضمائرهم من الكذب والغش، ولم يفدهم ذلك شيئاً، بل زادهم نقمة وعذاباً، وقد صوَّر القرآن الكريم حالتهم إذ يقول جل وعلا: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ

رِجْسٌ وَمَأْوَنهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٤-٩٦].

فكفى النبهاني معصية كبيرة على أقل تقدير أن يكذِّب الله تعالى في كلامه هذا المبارك، ورسوله ﷺ في صحيح سنته المطهرة في عنوان كتابه هذا (شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق).

وقد استغاث به ﷺ في آخر حياته عبدالله بن أبيّ بن سلول، المنافق المعروف، عندما بعث ابنه عبدالله الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد مرجعه ﷺ من غزوة تبوك لكي يدعو له ويصلي عليه بعد موته، وفعلاً توجه إليه رسول الله ﷺ، فدعا له وصلى عليه صلاة الجنازة، وهو على قبره، وقد ذكَّر عمر رضي الله تعالى عنه النبي ﷺ بجميع مواقف هذا المنافق التي وقفها ضد الدعوة المحمدية.

ألم تكن هذه استغاثة تمكن منها النبي ﷺ في حياته الدنيوية في حق ابن أبيّ بن سلول؟ ولكن ماذا كان من أمرها، وشأنها فيما بعد؟! هل نفعت صاحبه مع اعترافه بمقام النبي ﷺ الرفيع عند مولاه جل وعلا؟!

نعم: ينزل القرآن بعد وقفات قليلة مبيناً حال هذه الاستغاثة، وقيمتها؛ إذ يقول جل وعلا مخاطباً نبيه ـ الشافع العظيم في يوم الجزاء ـ ﷺ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٨٠]، نقف هنا قليلاً لكي نطَّلع على موقف المصطفى ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة، هل توقف عليه الصلاة والسلام عن الاستغفار والدعاء له؟! أو

ثارت فيه عاطفته العظيمة ورحمته المثالية، ورأفته الشامخة كما وصفه الله جل وعلا، فاستمر في الدعاء والاستغفار للمنافق المذكور، وقال ﷺ: «**إن الله تعالى لم ينهني في هذه الآية صراحة عن الاستغفار والدعاء، وسوف أزيد عليه فوق السبعين ما لم أنه عنه**»، ولا يزال الفاروق يذكره مواقف هذا الظالم المنافق ويقول له ﷺ: فداك أبي وأمي إن الله قد نهاك في هذه الآية ـ وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا المعنى ـ، ولم يقتنع المصطفى عليه الصلاة والسلام بكلام عمر رضي الله تعالى عنه، ثم ينزل القرآن الكريم بفصل الخطاب، إذ يقول جل وعلا: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

فقد عرفنا إن شاء الله تعالى أثناء سرد هذه الأدلة من الكتاب والسنة أن تسمية النبهاني لكتابه ذاك باطل شرعاً، وعقلاً، أما الشرع فقد مضت بعض الأدلة على ذلك، فارجع إليها أيها الأخ الكريم بالنظر الصحيح والعقل السليم، وأما العقل، فهو يمنع الإنسان الفطري عن هذه الغواية، والضلالة، التي تمسك بها النبهاني ومقلدوه، لأنهاتخالف دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين بعثهم الله تعالى ببعثة مباركة عظيمة؛ بتوجيه الإنسانية كلها إلى خالقها، وبارئها جل وعلا في جميع أنواع العبادة، دون أن تصرف منها شيئاً لغير الله تعالى، سواء كان هذا الغير مَلكاً مقرباً، أو نبيًّا مرسلاً، أو وليًّا صالحاً. فإن عُبدوا واستغيث بهم بعد موتهم في أمر لا مجال لهم في التصرف فيه، ولا قدرة لهم في العطاء والمنع، فعبادتهم راجعة إلى الشيطان اللعين، لأنه هو الذي تسبب

في تحويل هذه الفطرة السليمة إلى الفطرة الخبيثة، وهذا واضح بيِّن جلي، لا يخفى على أحد ممن فَطَرَه الله تعالى على فطرة سليمة، فكان هذا الكتاب معولاً هداماً، ووسيلة خبيثة، وسعياً شيطانيًا في الوقوف أمام دعوة جميع الأنبياء والرسل، الذين يقول الله تعالى في حقهم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما قول النبهاني في استشهاده بكلام إمامه أحمد زيني دحلان وتلقيبه له بأنواع من الألقاب الضخمة، ومنها قوله فيه: الإمام العلامة ناصر السنة... إلخ. فقد قلدتموه أنتم أيضاً في رسالتكم (إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية)، بتلقيبكم له أعظم وأكبر مما لقبه به النبهاني، إذ قلتم: إنه شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، والحجة، والمشارك، الزاهد، الناسك، وغير ذلك من الأوصاف الكبيرة، وقد بينت بعض حاله، وكشفت عن بعض أمره، وهو لا يستحق هذه الأوصاف بحال من الأحوال، وكنت قد نقلت عن الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد رشيد رضا من مقدمته العلمية التي وضعها على كتاب (صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان) للعلامة الأثري الشيخ بشير السهسواني الهندي رحمه الله تعالى، ولقد عرفنا بعض المعرفة عن حقيقة هذا الرجل، أعني أحمد زيني دحلان، وما تمسك به من العقائد الفاسدة الخرافية، مع أدلتها التي هي أضعف من بيت العنكبوت، فارجع أيها الأخ الكريم إلى كتاب (صيانة الإنسان) فإن فيه زيادة، وكفاية، إن شاء الله تعالى.

وأما الشبهات التي نقلها محبكم، ومحب آل البيت في نظركم عن

شيخه أحمد زيني دحلان وهو بدوره يزعم فيقول: ناقلاً عن شيخ الإسلام ومجدد الملة المحمدية الحنيفية السمحة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، بنقل غير معزو إلى أحد من كتبه الجليلة ورسائله النافعة، إذ قال عامله الله بما يستحق: فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ. فأين قال ذلك شيخ الإسلام؟! وفي أي كتاب صرح فيه بأن مجرد التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من إخوانه الأنبياء والصالحين شرك يخرج عن الملة؟! فإن ثبت عنه رحمه الله تعالى ذلك بنقل صحيح في كتاب ما من كتبه العظيمة أو رسائله النافعة فيُحمل على الوسيلة الشركية التي يطلب فيها أصحابها من النبي ﷺ ما نفاه عن نفسه الزكية الطاهرة في أحاديثه الصحيحة المخرجة في الكتب الصحاح المعتبرة عند أهل الحديث، وما نفاه عنه مولاه جل وعلا في محكم كتابه، إذ قال جل وعلا مخاطباً نبيه ﷺ عندما كان يحاول بحرصه الشديد هداية عمه أبي طالب عند موته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال جل وعلا: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧]، وأما توسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بدعائه ﷺ في حياته فهذا مشروع ثابت بإسانيد صحيحة كثيرة، لا غبار على صحتها، ومن ينكر ذلك فهو ضال مضل، ولم ينكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى هذه الوسيلة أبداً، بل إنها جائزة ومستحبة في نظره، وأنظار أهل الحديث رحمهم الله تعالى، وهي أيضاً مشروعة في حق كل من كان من أهل الخير، والصلاح، والعبادة، والزهد، والورع، وهو على قيد الحياة

يُطلب منه الدعاء، ويقال له: ادع الله لي يا أخي بصلاح الدين والدنيا والآخرة، ونحو ذلك، وأما توسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بذاته الشريفة أو ذواتٍ أخرى من الأنبياء والرسل الصالحين الميتين، فلم يثبت في ذلك حديث صحيح خال من الشذوذ، أو عمل من أحد الصحابة بعد انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلا حديث الأعمى ـ الذي تشبث به النبهاني ودندن حوله، ومعه مقلدوه وأتباعه ـ وسوف أتكلم عليه بالإسهاب متناً، وإسناداً[1] إن شاء الله تعالى عند الرد على النبهاني باستدلاله به، وبأحاديث أخرى على دعواه الباطلة، كل ذلك بالتفصيل.

فكان هذا التوسل بذاته الشريفة، وبذوات أخرى عملاً محدثاً في الإسلام، نشأ عن الجهل، وقلة العلم بقواعد الشريعة الغراء، ومنافٍ لكمال عدل الله تعالى، ورحمته وشفقته على عباده، ومخالفاً للقواعد الإسلامية التي بنى عليها رسول الله ﷺ دعوته وجهاده لإعلاء كلمة الله تعالى، ولم يقل أحد من أهل العلم إن هذه الوسيلة شرك، بل إنه عمل محدث في الإسلام، وإن صاحبها المتمسك بها على خطر عظيم، جسيم، من أمر دينه، فليحذر منها، لأنه على قنطرة إبليسية خطيرة، تسقطه في أحضان الشرك في يوم من الأيام.

وأما مقالة النبهاني الشنيعة في شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

---

(١) يلاحظ أن المؤلف ـ رحمه الله ـ لم يف بوعده في تخريج الحديث ولعله يقصد ذلك في كتاب آخر. اهـ. الناشر. قلت: ولبيان ضعف حديث «الأعمى» الذي يحتج به القبوريون تُنظر رسالة: «هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة»، للشيخ عمرو عبدالمنعم سليم، (ص١١٢ - ١٢٥).

رحمه الله تعالى، وهي قوله: «إن كل ما تمسك به الوهابية، وابن عبدالوهاب في إضلال العباد فهو زور، وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين».

قلت: والأمر بالعكس كما سيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى عند كلامي عن الآيات القرآنية التي ساقها النبهاني في كتابه الباطل، وجعلها خاصة في كفار مكة الذين حاربوا دعوة رسول الله ﷺ، ولا يتناول منطوقها ولا مفهومها في نظره بعد وفاة النبي ﷺ أحداً من المسلمين الحاليين، فلا يوجد في زعمه كفر ولا شرك أصلاً بعد وفاة النبي ﷺ في ذرية الذين آمنوا به ﷺ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هكذا زعم هو وأتباعه الذين قلدوه في نظريته هذه.

ما هو مفهوم كلمة الوهابية عند النبهاني وأتباعه؟

لقد كنت في بلادي السند وأنا صغير لم أبلغ الحلم أسمع هذه الكلمة من أفواه مشايخ الطرق الذين كانوا دائماً وأبداً يحذرون عوام الناس وخواصهم منها، ووضعوا لها مفهوماً خطيراً، تقليداً لغيرهم ممن سمعوا منهم، لدعاية خبيثة ماكرة، مع علمهم أنها جاءت من أسيادهم المستعمرين الذين كانوا يحكمون البلاد الهندية وغيرها بالحديد والنار، لكي يصدوا بها الناس، لئلا يقبلوا على هذه الدعوة الكريمة التي جدد الله بها دينه، وأعلى بها كلمته، وكان العدو يخشى من ظهور هذه الدعوة الكريمة، وانتشارها في العالم كله، خصوصاً في القارات التي كانت تحت سيطرته وبطشه؛ لأن هذه الدعوة الكريمة كانت تقف أمام العدو بالمرصاد، وتحول بينه وبين مخططاته الاستعمارية الخبيثة.

ولم يكن هذا النوع من الدعوة الكريمة منحصراً وجوده في نجد

وحدها فقط، بل كان في كل مكان وزمان، هناك رجال مخلصون يدعون إلى هذه الدعوة الكريمة، إلا أن الدعوة لم تلق دعماً قويًّا، ومساندة فعّالة مثالية إلا في ديار نجد على يد الأمراء السعوديين، وعلى رأسهم الإمام محمد بن سعود تغمده الله برحمته ورضوانه، وجعل الجنة مثواه وسائر أبنائه وأحفاده رحمهم الله تعالى، فتقَوَّى أمر هذه الدعوة السامية، فصار لها صدى عظيم في أنحاء العالم، وأعدل دليل على ذلك أن الإذاعة البريطانية كانت تقول: إن الجيش الوهابي فعل كذا، وترك كذا، ومن هنا كان انتشار هذه الكلمة بمفهومها الخاص في أطراف العالم، نعم وصل صوت الدعوة الحلو الرنين، من أقصى الدنيا إلى أعلاها، ومن أعلاها إلى أقصاها، في وقت لم تكن وسائل المواصلات موجودة البتة بمثل ما توجد في الوقت الحاضر، إلا أن العدو اللعين الماكر اتخذ ـ بسياسته الماكرة الخبيثة، وحيله الإبليسية دفاعاً لنفسه، ومخططاته الاستعمارية ـ سماسرة مأجورين من كل نوع وصنف في كل مكان، ممن عُرفوا ببيع الضمائر رخيصة للاستعمار، وهم ينتسبون إلى العلم زوراً وبهتاناً، أمثال أحمد زيني دحلان بمكة، والنبهاني بالشام، وأحمد رضا خان بالهند، وغيرهم، عاملهم الله تعالى بما يستحقون.

نعم اتخذهم العدو، واشترى ضمائرهم بمبلغ كبير من المال؛ لكي يشوهوا حقائق هذه الدعوة السامية، فأساؤوا إليها بتلصيقهم إياها بأنواع من الدعايات المغرضة الفاسدة، فحرفوا مبادئها العليا، وقواعدها الرفيعة، وفي ضوء تلك الدعاية حرفوا القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة حسب هواهم الفاسد، فجعلوا لهذه الكلمة (الوهابية) مفهوماً

خاصًّا، ومعنىً بشعاً خبيثاً لكي يدندنوا حوله، فلما كان نجد قد ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة وعدم دعاء الرسول ﷺ لأهله، دون أن يحققوا ما هو النجد المعني في الحديث الشريف، ولم يلتفتوا إلى تلك القرائن الواضحة الظاهرة التي تنطبق على ذلك النجد، وما هو كلام أهل الحديث من أمة محمد ﷺ في نجد، الذي عناه رسول الله ﷺ في حديثه. وقد ذكر العلامة ياقوت الحموي في معجم البلدان عشرات من النجود وكذا غيره، وليس المراد الذي عينوه هم، فتركوا كل هذا مع علمهم ويقينهم أن نجداً الوارد في الحديث ليس هو الذي عينوه، وأشاروا إليه في هذه الدعاية الماكرة الخبيثة الفظيعة، التي أقامها الاستعمار وعملاؤه في أطراف العالم، على أنقاض هؤلاء السماسرة الدخلاء المأجورين، ومن هنا كان هذا المفهوم الجديد الخبيث شائعاً وذائعاً في أطراف العالم، وهو أن الوهابية تعادي الرسول ﷺ وتحرم الصلاة عليه، وهدمت القباب والأبنية التي كانت مبنية على قبور الصحابة وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم، وكان للاستعمار في كل بلد وقرية ممثل يقوم بنشر هذه السخافات والترهات، ومن هنا انتشرت كلمة (الوهابية) في العالم كله، في شرقه وغربه وجنوبه وشماله، بمفهومها الخاص، فانظر فلسفة المستعمر.

إن الداعي في نجد إلى هذه الدعوة المحمدية كان اسمه بلا خلاف بين جميع المسلمين (محمد بن عبدالوهاب)، فكان من الواجب أن تُنسب الدعوة بمفهومها الخاص عند هؤلاء بالقياس الصحيح عند جميع أهل اللغة (بالمحمدية)؛ لأن اسم صاحبها والداعي لها (محمد) وليس (عبدالوهاب)، إلا أنهم لم يرضوا بهذه النسبة الصحيحة الموافقة للواقع

واللغة العربية، خوفاً على كشف مؤامرتهم الخبيثة أمام عوام الناس من المسلمين وخواصهم، لأن الدعوة إذا حملت اسماً صحيحاً، ونسبة صحيحة فلابد لها من قبول، وإقبال عليها، لأنها تحمل اسم رسول الله ﷺ، وكنت ممن اغتر بهذه الدعاية الماكرة الخبيثة وأنا في بلدي ـ السند ـ، فلما أكرمني الله تعالى بالهجرة إلى هذه البلاد المقدسة وذلك في عام ١٣٦٨هـ من بلدي ومسقط رأسي، حظيت بلقاء إنسان كريم فاضل جاء من الهند إلى المدينة مهاجراً إلى الله تعالى، وكان حاله سابقاً كحالي، إلا أنه رحمه الله تعالى التجأ بعد الله تعالى إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن طريق الشيخ العلامة الطيب الأنصاري رحمه الله تعالى، فتلذذ بمطالعتها جدًّا، حتى اعتنق العقيدة السلفية عن طريق هذه الكتب النافعة، ولابد من ذكر هذا الرجل رحمه الله تعالى، وهو العلامة الأثري الشيخ رشيد أحمد بن إبراهيم الهندي رحمه الله تعالى المتوفى في ذي القعدة عام ١٣٨١هـ بالمدينة المنورة وكان رحمه الله تعالى قد أسس بعد اعتناقه العقيدة السلفية مدرسة ـ بناء على موافقة سامية كريمة ـ سماها دار العلوم السلفية، ومن هنا بدأت لي حياة جديدة بلقاء هذا الرجل الكريم، فكان يلقي إليَّ دروسه في المسجد النبوي الشريف مساءً، وكان يبكي كثيراً عند إلقائه الدروس في التوحيد فرحاً واستبشاراً، وكان يقول دائماً رحمه الله تعالى: لو مت يا بنيّ قبل اعتناق هذه العقيدة الصافية النقية لمت على غير ملة الإسلام، ولما كان يأتي اسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وكذا اسم الإمام ابن القيم والإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

أثناء إلقاء الدروس كان يترحم عليهم كثيراً، ويمجد ذكرهم وشأنهم، ودائماً يوصي الطلبة بمطالعة كتبهم رحمه الله تعالى، وفي تلك الأيام بالذات قد كشف الله تعالى عن قلبي الغطاء، ثم عرفت بعد ذلك أن الدنيا والله في غيبوبتها وضلالها إلا ما شاء الله تعالى، ولقد تأكدت حينئذٍ تماماً أن هذه الوهابية المزعومة في أنظار هؤلاء لا تعادي الرسول ﷺ أبداً، وإنما هي التي تحبه وحدها، لما درست عنها دراسة وافية شافية، وعما تعتقده في رسول الله ﷺ، وهي التي توجب الصلاة على الرسول ﷺ، وتجعلها ركناً من أركان الصلاة، فإن تركها أحد عامداً أو ناسياً، بطلت صلاته عندها، وهذا هو مذهب أهل الحديث، بينما تنص كتب أخرى فقهية من التي تمسك بها هؤلاء الذين أقاموا هذه الدعاية الكبرى على أن الصلاة على رسول الله ﷺ ليست ركناً من أركان الصلاة عندهم، فإن تركها أحد ناسياً سجد سجدتي سهو، فلا تبطل صلاته عندهم.

ومن هنا كتب العلامة المحدث الشيخ مسعود عالم الندوي كتاباً بارعاً عظيماً في ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى باللغة الأردية دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وعن دعوته الكريمة، وفند جميع شبه أهل الباطل: من عباد القبور والأضرحة التي تمسكوا بها، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء، وجعل الجنة مثواه ـ هذا هو مفهوم الوهابية عند النبهاني في كتبه ورسائله، وللمقال بقية في العدد القادم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فهذه حلقة ثانية من المقال الذي نشرته مجلة الجامعة الإسلامية الغرَّاء في عددها الثالث الصادر من السنة الثامنة في شهر ذي الحجة لعام ١٣٩٥هـ. والذي وعدت فيه القراء الكرام بإتمام الموضوع في حلقات مسلسلة، وها أنا مع الموعد المذكور داعياً المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، الذي رسمه الله جل وعلا على لسان المصطفى ﷺ للإنسانية كلها.

وكم كنت سعيداً في هذه الكتابة المتواضعة أن تكون مناقشتي مع إنسان ينتسب إلى رسول الله ﷺ نسباً وصهراً، فوالله إن له في نفسي لمنزلة كبيرة من الناحية المذكورة، وأما الحق فهو واضح بين لا غبار عليه أمام من رزقه الله تعالى فهماً ثاقباً، وعلماً نافعاً، وبصيرة تامة، ولقد ظل رسول الله ﷺ في حياته المكية بصفة خاصة بعد البعثة شارحاً هذه الدعوة الكريمة التي لأجلها خلق الله الكون، وبعث الرسل، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أمثلة رائعة في دعوته السامية أثناء وجوده بمكة، والمدينة، أثناء أسفاره المتعددة لإعلاء كلمة الله تعالى، حتى لقي ربه جل وعلا، فلم يترك خيراً ﷺ إلا ودلَّ الأمة إليه، ولم يترك شرًّا إلا وحذر الأمة منه، فكان أعظم الخير الذي أتى به ﷺ هو توحيد الله تعالى ذاتاً وصفة وعبادة، فهو محور أساسي للكائنات كلها، تدور حوله جميع أعمال الخير والبر، إن صح هذا الأساس أو البنيان فقد صحت بقية الأعمال

والعكس بالعكس، ومن أعظم الشر الذي حذر منه رسول الله ﷺ الأمة هو الشرك بجميع أنواعه الظاهرة والباطنة.

ولقد شرح القرآن الكريم هذين المعنيين، وكذا السنة النبوية المطهرة، شرحاً وافياً وفصلاه تفصيلاً كاملاً، فلم يتركا المجال لأحد كائناً من كان ممن ادعى النبوغ في البلاغة، والفصاحة، أن يخالف هذا الأساس المتين، والبرهان الواضح، والحجة القوية الباهرة: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٩-١١٠]، ولقد ظل النبهاني الذي مدحتموه في رسالتكم مخالفاً لدعوة رسول الله ﷺ طوال حياته ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فقد أوضحت ذلك في المقال السابق؛ لكونه تولى تلك المناصب الهائلة ضارباً بأحكام الباري جل وعلا وأحكام رسوله ﷺ عرض الحائط، ولم يبال بشيء يردعه عما أقبل عليه وفرح به، من تحاكمه وحكمه إلى الطاغوت الكافر اللعين، وأما الباطن فلتنكره لدعوة رسول الله ﷺ، وهي دعوة التوحيد الخالص، فكتب كتاباً خبيثاً لا يزال وصمة عار يحارب فيه أولئك الأمجاد الكرام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين جدد الله تعالى بهم الدين، وأعلى بهم كلمته ونشر بهم رسالة نبيه ﷺ، وأسفاً على النبهاني وعلى أتباعه الذين يمجدونه ويرفعون ذكره، وحاله معروف واضح أمام من أعطى أدنى فهم وعلم، ومعرفة في الدين، ولقد زعم النبهاني في كتابه (شواهد الحق) ـ وهي شواهد الضلال

والكفر ـ أن الآيات القرآنية التي ساقها في التوحيد ونبذ الشرك أنها لم تكن تشمل المؤمنين الموحدين في نظره، وليست العبرة بعموم اللفظ عنده، وقد خالف في ذلك جهابذة المفسرين، ومع ذلك هو متمكن في اللغة العربية ومتبحر فيها!! وها أنا أبدأ بالرد عليه فيما زعم وحرف كتاب الله تعالى، مستمداً العون من الباري جل وعلا، والتوفيق والسداد في القول والعمل، مسترشداً في ذلك بما جاء عن الله تعالى، في كتابه الحكيم، وفي صحيح سنة رسوله الكريم ﷺ، وبأقوال أهل العلم من السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

زعم النبهاني في هذا الكتاب: أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، قال النبهاني عقب هذه الآيات: وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن، كلها حملها ـ أي محمد بن عبدالوهاب ـ على الموحدين، وقال في موضع آخر من كتابه ـ قبل سرد هذه الآيات ـ: وزعم ـ أي محمد بن عبدالوهاب ـ أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين. ثم ساق هذه الآيات الكريمات.

فأقول: لقد صدق العلامة محمود شكري الألوسي في كتابه (غاية الأماني في الرد على النبهاني) إذ قال رحمه الله تعالى: «فإن الرجل جاهل ـ أي يوسف النبهاني ـ كما ستعلمه من رد كتابه هذا، سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه الصريح، أعدل شاهد على ذلك وأصح دليل على ما هناك، فضلاً عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله»، ثم ذكر فيه بقية الكلام[1].

قلت: الآية التي ساقها النبهاني من سورة الأحقاف، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]، إن هذه الآية نزلت بمكة تصف حال المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وهي اللات والعزى والهبل وغيرها من الأصنام، والآية تحكي قصة حال المشركين، وعن سفاهة

(١) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/ ٥٣).

عقولهم، وفساد فطرتهم، إذ كانوا يدعون من دون الله تعالى هذه الأصنام، وإن كانت عبادتهم، ودعاؤهم لم تكن مقصودة لها، لأنهم اتخذوها علامات، وشعائر لأصحابها، لكي يتصوروا وجودهم عن طريق هذه الأجسام الحجرية عند الدعاء والاستغاثة بهم، ولقد أخرج الإمام البخاري في الصحيح، وكذا الإمام ابن المنذر وابن مردويه في تفسيرهما عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب: أمَّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني عطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق، فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت[1].

قلت: فهذه الرواية الصحيحة تزيل شبهة قوية تمسك بها النبهاني ومن سار على منهجه من الأقزام، بأن قريشاً كانت تعبد الأصنام الحجرية معتقدة فيها الخير والشر، والأمر ليس كذلك، وإنما كانت تعبد مسمياتها كما تشير إليه هذه الرواية، ولقد شرح هذه الرواية الحافظ في الفتح شرحاً مفصلاً ورد على الواقدي في زعمه إذ قال: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة رقم (٧١)، باب (١)، حديث رقم (٤٩٢٠)، (٨/ ٦٦٧)، (الفتح). انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٩).

صورة فرس، ونسر على صورة طائر، ثم قال الحافظ: وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها، والله أعلم[١].

قلت: الذي حكم عليه بالشذوذ هو منكر؛ لأن الواقدي متهم بالكذب فلا عبرة بروايته، وأما أصنام قريش: فمنها اللات، والعزى، والهبل، وأساف، ونائلة، فهي أيضاً أسماء لرجال صالحين، قال الإمام ابن الأثير في (النهاية): وفي حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾؟ [النجم: ١٩]، قال: كان رجل يلت السويق لهم، يريد أن أصله اللاتّ بالتشديد؛ لأن الصنم سمي باسم الذي كان يلت السويق عند الأصنام، أي يخلطه، فخُفف، وجُعل اسماً للصنم[٢]، وقد أخرج البخاري في الصحيح بإسناده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾: كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج[٣] وقال الحافظ في (الفتح): وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، ولفظه فيه زيادة، كان يلت السويق على الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه، واختلف في اسم هذا الرجل، فروى الفاكهي من طريق مجاهد قال: كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها،

---

(١) «الفتح» (٨/ ٦٦٩).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٣٢٠).

(٣) البخاري، حديث رقم (٤٨٥٩).

ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً، ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبدوه[١]، ثم قال الحافظ: فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات، قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدوها، وبنوا عليها بيتاً، وقد تقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام[٢].

قلت: وهكذا سائر الأصنام التي عبدت من دون الله تعالى، كانت هي علامات وشعائر فقط، من دون الله تعالى، كانت هي علامات وشعائر فقط، وإنما العبادة كانت لمسمياتها، كما روى لك حبر الأمة، وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد عَرَّف الإمام ابن الأثير ـ وهو إمام في اللغة ـ الصنم بقوله: هو ما اتخذ إلهاً من دون الله تعالى، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن[٣].

قلت:فعلى هذا التعريف تدخل فيه القبور وغيرها التي تعبد من دون الله تعالى، وإن كانت عبادتها راجعة إلى الشيطان لا إلى أصحابها، إلا إذا كانوا راضين بها في حياتهم، فهؤلاء هم الطواغيت. وقد أوقع رسول الله ﷺ اللعن على الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، سدًّا للذرائع وقطعاً لوشيجة الشرك، ومن الجهل الواضح أن يقال لإنسان يدعو غير الله تعالى

---

(١) «الفتح» (٨/ ٦١٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٥٦).

في أمر لا مجال للمخلوق ولا قدرة له على إنجازه، ثم يكون هذا الداعي لغير الله تعالى والمستغيث بسواه موحداً ومؤمناً في نظره، كما زعم النبهاني في كتابه (شواهد الحق). نعم يجب على المسلم أن يفكر في هذه الآية الكريمة وما في معناها وفي سياقها البليغ الفصيح الذي لا قدرة للإنسان مطلقاً أن يأتي بشيء من هذا الأسلوب البلاغي الحكيم، إذ يقول جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]، فاستعمل جل علا في هذا السياق المبارك لفظة «من»، وهي تستعمل لذوي العقول عند جميع أهل اللغة ما عدا النبهاني ـ ومن سار على نهجه في الضلالة ـ، فإنه خالف اللغة العربية وقواعدها، ولقد سبق أن خالف السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، وخالف نص القرآن الكريم، وظاهره، ومنطوقه، ومفهومه، ولو لم يكن كما ذكر، فكيف ارتضى لنفسه أن يقبل رئاسة محكمة الحقوق المدنية ببيروت، ومات عليها، وهي محكمة لا دينية ولا مذهبية وكيف ينسب نفسه إلى الشافعي وهو بريء منه؟!، ولقد سبق أن نقلت عن (غاية الأماني في الرد على النبهاني) ما قال فيه جهابذة العصر، وكيف جاز لمحب آل البيت النبوي أن يخالف النظام السماوي العادل المبارك الذي أتى به رسول الله ﷺ من عند مولاه جل وعلا؟ فكما ارتكب النبهاني في قبوله تلك المناصب الكفرية جريمة كبيرة، ارتكب في تفسير هذه الآيات القرآنية وتحريفها على غير مراد الله جل وعلا، وعلى غير مراد رسوله ﷺ، إنها محنة عظيمة للإسلام أن يبتلى بأشخاص لا حظ لهم من العلم النبوي الصحيح من علم الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف

الصالح فيفتوا الناس بالضلال، والكفر، فضلوا وأضلوا.

نعم، لازلت في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف، بأن الأصنام لم تتخذ غاية في الدعاء والعبادة، والاستغاثة، وإنما كان مقصود كفار قريش كما أخرج البخاري وغيره رحمهم الله تعالى في دعائهم واستغاثتهم بهؤلاء الرجال الصالحين، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ولقد صور القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة وغيرها موقفهم من عبادتهم، ودعائهم لغير الله تعالى، بأنهم لم يكونوا قد قصدوا دعاءهم وعبادتهم لهذه الأصنام ولا لأصحابها ـ أي مسمياتها ـ، وإنما كان قصدهم من ذلك العمل الشنيع، أن يقرب هؤلاء الأصحاب إياهم إلى الله زلفى، فكان المقصود عندهم هو الرب جل وعلا، كما نصت آية الزمر على هذا المعنى، فلم يكونوا قد اعتقدوا في هذه الأصنام الحجرية وغيرها الضر والنفع ذاتيًا. ولقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى في آية أخرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقد أورد الإمام السيوطي في تفسيره الدر المنثور أثراً، إذ قال رحمه الله تعالى: أخرج عبد ابن حميد عن محمد بن كعب القرظي رضي الله تعالى عنه، في قوله تعالى: ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]. قال رحمه الله تعالى: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم

بعدهم يأخذون كأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم، فكنتم تنظرون إليهم، فصوروا، ثم ماتوا، فنشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها؛ فعبدوها[1].

قلت: فالأمر في ذلك واضح بيِّن، جلي، لا يخفى على أحد، إلا مَن خبثت فطرته، وبخست قريحته من عُبَّاد القبور والأضرحة، وقد عاملهم الشيطان نفس المعاملة التي عاملها قوم نوح، ثم مع قريش. وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير مفسراً هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٥]: استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى أنه لا امرأً أبعد عن الحق، وأقرب إلى الجهل، ممن يدعو من دون الله الأصنام فيتخذها آلهة، ويعبدها، وهي إذا دعيت لا تسمع، ولا تصح منها الإجابة، لا في الحال، ولا بعد ذلك اليوم، إلى يوم القيامة. ثم قال رحمه الله تعالى: وقال بعضهم: بل المراد عبدة الملائكة وعيسى، فإنهم في يوم القيامة لمظهرون عداوة هؤلاء العابدين.

قلت: هذا المعنى هو الصحيح؛ لأنه يؤيده قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وكيف يعقل وصف الأصنام وهي جمادات بالغفلة؟ وكيف جاز وصف الأصنام بما لا يليق إلا بالعقلاء؟ وهي لفظة «من»، وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾، أجاب الإمام الرازي عن هذا الاعتراض ـ مع ذكره ـ بقوله: قلنا إنهم لما عبدوها، ونزلوها منزلة من يضر

---

(١) «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٩).

وينفع، صح أن يقال فيها: إنها بمنزلة الغافل الذي لا يسمع، ولا يجيب، ثم قال: وهذا هو الجواب أيضاً عن قوله: إن لفظة: «من» ولفظة «هم» كيف يليق بها؟

قلت: مع منزلته العلمية الكبيرة في الإسلام، وباعه الطويل في الكلام، والفلسفة وغيرها من العلوم، لم يصب الإجابة الصحيحة إلا في آخر كلامه؛ إذ قال رحمه الله تعالى: «وأيضاً يجوز أن يراد كل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والأصنام، إلا أنه غلب غير الأوثان على الأوثان»[1].

قلت: هذا المعنى الأخير الذي ذكره، هو الوجيه والموزون؛ لأنه أيّده القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

قلت: فهذه الآية نص صريح على أنهم عبدوا عيسى عليه الصلاة والسلام، واستغاثوا به، ودعوه في أمور لم تكن له بها قوة على كشفها عنهم، فإذا كان عيسى عليه الصلاة والسلام وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام قد عُبِدوا من دون الله تعالى، كما نص

---

(١) «التفسير الكبير» للرازي (٦/ ٢٨).

القرآن الكريم، فغيره من الأولياء والصالحين من أمة محمد ﷺ من باب أولى، ولما لاحظ الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ هذا المعنى في الأمة المحمدية ألقى أول خطبة بعد الخلافة، كما أخرجها البخاري في الصحيح، وابن ماجه في السنن، والإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، وجاء في تلك الخطبة التاريخية المباركة: فتكلم أبوبكر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. الحديث[١].

قلت: فهل كان أبوبكر وعمر وهابيين في نظر النبهاني وأتباعه؟ لولا خوف الصديق رضي الله تعالى عنه من وقوع الأمة في الشرك، لما كان رضي الله تعالى عنه قد خطب بهذه الخطبة بهذه الصراحة الواضحة في هذا الوقت الحرج على الأمة، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في الجامع الصحيح من خطبة عمر رضي الله تعالى عنه في هذا الباب أيضاً، وذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك في الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ، فتشَهّد، وأبوبكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر، الباب رقم (٥)، الجزء الرابع.

رسول الله ﷺ حتى يدبرنا. ويريد بذلك أن يكون آخرهم، ثم قال رضي الله تعالى عنه: فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، ثم ذكر الحديث[1].

ولقد برع الحافظ في الفتح في الكلام على هذا الحديث براعة علمية لا نظير لها في عصره فيما علمت، إذ تكلم على تخريج الحديث وزياداته وفنون إسناده، ولطائف معانيه، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، ولم يترك شبهة إلا أزالها، وأثبت رحمه الله تعالى تلك المعاني السامية، التي حملها هذا الحديث الشريف في طياته، في إثبات الهداية القرآنية الإلهية، وكذا أثبت وفاة الرسول ﷺ وفاة حقيقية، وأن البقاء لله جل وعلا، ولا يزال القرآن الكريم يدعو بصراحة في آياته وسوره إلى المقصد الأعلى والأسمى الذي بعث لأجله رسول الله ﷺ، وسائر إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في تثبيت العقيدة الصافية النقية: وهي عقيدة توحيد الألوهية وعقيدة توحيد الأسماء والصفات، فلا مجال لهؤلاء الخفافيش، ولا قدرة لهم في الإساءة إلى هذا الأصل العظيم، والبنيان الراسخ، والحجة القوية الباهرة التي ترك عليها رسول الله ﷺ أمته، ولا يمكن أن تنجح دعوة ما كائنة ما كانت، إن خالفت هذا الأصل الوثيق، والخط المستقيم، والمنهج الرفيع، فإن دعا أحد إلى إصلاح أحوال البشرية على غير الخط الذي رسمه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فإن دعوته لا تنجح أبداً، فإن ضربت لك أمثلة حية على ما

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٠٦) «فتح الباري».

قلت، ناقلاً ذلك عن الحوادث التاريخية المتواترة، منذ أن طلع نجم الإسلام في الآفاق إلى يومنا هذا، لما كانت تكفيني هذه الصفحات، وللعاقل اللبيب أن يقلب صفحات التاريخ الإسلامي الحافل، أو ينظر فيما وقع أمام عينه، وبصره من حوادث خطيرة، ضاعت فيها النفوس البريئة وانتهكت لها الأعراض، وسفكت عليها الدماء، ونهبت فيها الأموال، ثم يتذكر بعثة رسول الله ﷺ، هذا الانقلاب التاريخي العظيم، الذي تنفست فيه الإنسانية لأول مرة في التاريخ الإنساني الطويل، بنفس الراحة، والعزة، والكرامة، والشرف، وغير ذلك من المعاني السامية. نعلم بهذا التقرير الواضح، أن النبهاني كان كاذباً في دعواه التي ادعاها وهو أنه ليس هناك شرك، ولا كفر في أمة محمد ﷺ، وأن تلك الآيات القرآنية التي ساقها في كتابه، وزعم أنها لا تشمل المؤمنين الموحدين الحاليين في نظره، ولو دعوا غير الله تعالى، واستغاثوا به، وأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم وهم في قبورهم ليس بشرك، وإنما الشرك في نظره دعاء الأصنام فقط، ولا يبالي بالقواعد الأساسية التي وضعها علماء التفسير، من السلف الصالح، في فن أصول التفسير؛ ومنها: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

ماذا يقول النبهاني وأتباعه ومقلدوه في آية الحج؟! وهي قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

قلت: لم تترك هذه الآية الكريمة أي شبهة قد يتمسك بها أهل الباطل، فإنها تصرح أن الذي يستحق الدعاء والاستغاثة لابد من أن توجد فيه صفة الخالق، وهي أن يخلق الذباب، ولقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في سورة فاطر إذ قال جل وعلا: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠].

قلت: هذه الآية تفند الشبه التي تمسك بها النبهاني وأتباعه، والآية صريحة واضحة بيِّنة لا غبار على معناها، أن من يُدعى من دون الله يجب أن تتوفر فيه هذه الصفة التي نص عليها القرآن الحكيم، وهي أن يخلق أرضاً، أويكون له شرك مع الله تعالى في خلق السموات، فلما لم توجد هذه الصفة، ولن توجد في مخلوق ما، مهما بلغ الرتبة العليا في منزلته عند مولاه جل وعلا، فلا حق له أن يسمح لأحد بدعائه إياه في أمر لا مجال له، ولا قدرة معه على كشف الأمور المفصلة، التي اختص الله تعالى وحده على كشفها وحلها، وهنا آية أخرى مماثلة في هذا المعنى في سورة الرعد، إذ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

قلت: هذا وصف دقيق فيمن يستحق الدعاء، والاستغاثة والخوف، والخشية، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، وغير ذلك من العبادات.

فهل يوجد هذا الوصف الذي أورده القرآن الكريم في سوره وآياته في غير الله تعالى من نبي مرسل، وولي صالح وشهيد؟ حتى يستحق الدعاء والاستغاثة؟ لا والله، ورب محمد ﷺ، ويقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فهذه الآيات كلها تتفق على معنى واحد، ولكن أين العقول الراجحة، والقلوب الواعية، والضمائر الحية التي تدرك هذا المعنى الظاهر؟ ويقول تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالآيات هذه تنادي بأن الذي أتى به النبهاني أنه فرية عظيمة، وافتراء مكشوف على الإسلام، والمسلمين، وأن الشبهة التي تمسك بها شبهة هزيلة نشأت عنده عن جهل مركب وفساد عريض في قلبه، وقد اكتفيت بالكلام على آية الأحقاف عن بقية الكلام على الآيات التي ساقها النبهاني ـ فإن الكلام عليها بمثل هذا الكلام الذي أوردته على هذه الآية من الإطالة.

نعم يجب على المسلم التقي البار أن يتدبر في آيات القرآن الكريم التي فصلت هذه القضية، فشرحتها شرحاً وافياً ولم تترك أي شبهة قد يتمسك بها ممن لا عقل له، ولا ضمير، وقد فسدت قريحته وخبثت فطرته بحكايات واهية كاذبة، وأرى من الضروري أن أورد هنا قصة غزوة أُحُد التي فيها عِبَر ومواعظ، وما جرى فيها لرسول الله ﷺ في ذلك اليوم

العصيب، وما جرى لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: من محنة عظيمة شاقة، إنها قصة جهاد طويل، وجهود مباركة أقدم عليها رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، أخرج الإمامان البخاري ومسلم، وكذا الترمذي، وابن ماجه في سننيهما، والإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحُد، وشُج في جبهته، حتى سال الدم على وجهه، فقال ﷺ: «**كيف يُفلح قوم فعلوا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم**» فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ولقد عقد الإمام البخاري باباً في الجامع الصحيح بعنوان (باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)، ثم ذكر الحديث، وقال الحافظ في الفتح شارحاً هذا الحديث: قوله: وقال حميد، وثابت عن أنس، شج النبي ﷺ يوم أُحُد فقال: «**كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟**» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾، ثم قال الحافظ: قال ابن إسحاق في (المغازي): حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحُد، وشجّ وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم**» فأنزل الله الآية، ثم ذكر رواية مسلم، فقال: وأما حديث ثابت، فوصله مسلم من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس، أن النبي ﷺ قال يوم أُحُد وهو يسلت الدم عن وجهه: «**كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وأدموا وجهه**»، فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية.

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبدالله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده، فقال: لن تمسَّك النار، وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: فما حرصت على قتل رجل حرصي على قتل أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ يوم أُحُد، وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبدالله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أُحُد فشج وجهه، وكسر رباعيته فقال:خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم من وجهه: «**مالك أقمأك الله**»، فسلط الله عليه تيس جبل؛ فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[1].

قلت: هكذا ترى وتشاهد في هذه القصة ما جرى لرسول الله ﷺ في ذلك اليوم، وما تلفظ به ﷺ عندئذٍ، وماذا كان جواب ربه جل وعلا في تلك الساعة؛ فتعلم أنه بشر لا يملك من الأمر شيئاً؛ إلا بإذن الله. فكيف يُدعى أو يُستغاث به بعد موته ﷺ؟!

تدبَّر أيها المسلم في دعوة القرآن الكريم الصريحة الواضحة، البينة، وماذا جرى لرسول الله ﷺ في سبيل إنجازها، ونشرها، وإيصالها إلى الناس، اقرأ القرآن قراءة تدبُّر وإمعان، وتفكير سليم، وافتح قلبك وضميرك لفهمها وتلقيها، وإياك وخزعبلات النبهاني والكوثري

(١) «الفتح» (٧/ ٣٦٥-٣٦٦).

والدحلان ومن سار على نهجهم في الكفر والضلالة، ثم اقرأ قوله تعالى في سورة الأعراف مرة ثانية: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ثم تدبَّر قصة أُحُد، وما جرى فيها لرسول الله ﷺ من محنة عظيمة، وما تلفظ به ﷺ، فإنك ستجد بين هذه الآية الكريمة وبين قصة أُحُد تطابقاً كاملاً، وموافقة تامة، وأن الله جل وعلا له حكمة بالغة فيما جرى لنبيه ﷺ يوم أُحُد، ويوم حنين، ويوم الطائف قبل الهجرة.

* * *

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *